

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة -

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري

دراسة ميدانية بريف الأبيار، بلدية الحاسي - ولاية باتنة -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير - تخصص علم الاجتماع الريفي -

إشراف الدكتور:

حسين لوشن

إعداد الطالبة:

كريمة بوحريق

لجنة المناقشة

أ.د/ مصطفى عوفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
د/ حسين لوشن	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مقررا
أ.د/ بلقاسم بوقرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا
أ.د/ نور الدين زمام	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا

السنة الجامعية: 2009-2010م/1430-1431هـ

شكر وإهداء

أوجه شكري لله عز وجل أن منحني نعمة النجاح وأن سهل لي سبل العلم
والمعرفة.

بعد الله أوجه خالص شكري لوالدي الكريمين علي سهرهما وتعبهما
والمجهود الذي قاما به ليروا ثمرته في هذه الحياة مني ومن بقية إخوتي
وأخواتي

أوجه شكري للأستاذ الدكتور المشرف: لوشن حسين علي المجهودات
والملاحظات القيمة التي فتحت لي بابا معرفيا جديدا ومدرسة أخرى لأتعلم منها
الكثير

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأخي نبيل الذي طالما قدم دعمه لي في
مشواري العلمي والذي من خلاله عبادت لي الطريق للتعرف على أناس كانوا في
حاجة التعاون وتدعيم العمل الذي هو بين يدي، ومن هؤلاء مهندس الإحصاء
بمديرية التخطيط والتهيئة العمرانية السيد شعايبي والمهندس بن مهدي.

كما لا يفوتني أن أتقدم بشكري لصديقتي سعاد بن خميس وبقية الطالبات
بقسنطينة، وأوجه خالص تشكراتي لأهالي المنطقة الريفية التي C.N.F.P.H بمركز
قمت فيها بعملتي الميداني التابعة لبلدية الحاسي بولاية باتنة

وفي الأخير أهدي هذه المحاولة العلمية المتواضعة لأهلي جميعا، إخوتي

فهرس مواضيع الدراسة:

العنوان

الصفحة

فهرس مواضيع الدراسة

فهرس الجداول

01المقدمة

28-05إشكالية الدراسة

05أولا : تحديد موضوع الدراسة

09ثانيا: أهمية موضوع الدراسة

10ثالثا: أسباب اختيار موضوع الدراسة

11رابعا: ضبط مفاهيم الدراسة

18خامسا: الأهداف الخاصة بالدراسة

19سادسا: تساؤلات الدراسة

20سابعا: الدراسات المشابهة

65-29الفصل الأول: المعالجة النظرية

30تمهيد

31أولا: النماذج النظرية التي تعالج وتفسر المجتمع الريفي

311: نظرية عبد الرحمان بن خلدون

362: نظرية المحك الواحد

38	3: نظرية المحكات المتعددة.....
43	4: نظرية الثنائيات الاجتماعية.....
49	5: نظرية المتصل الريفي الحضري.....
52	ثانيا : النماذج النظرية التي تعالج وتفسر البناء العائلي.....
52	1: النظرية التطورية.....
56	2: النظرية البنائية الوظيفية.....
59	3: النظرية التفاعلية الرمزية.....
61	4: النظرية التنموية.....
62	5: النظرية التبادلية.....
64	خلاصة.....

91-66 الفصل الثاني: واقع البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري.....

67	تمهيد.....
68	أولا: طبيعة المجتمع الريفي الجزائري.....
68	1: المجتمع الريفي قبل الإسلام.....
69	2: المجتمع الريفي بعد ظهور الإسلام.....
71	3: المجتمع الريفي قبل الاحتلال الفرنسي.....
72	4: دور المجتمع الريفي في الثورة الجزائرية.....
74	5: طبيعة المجتمع الريفي في الفترة الانتقالية.....

77	ثانيا: طبيعة البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري....
77	1: مراحل تطور البناء العائلي في الريف.....
83	2: أنماط وأشكال العائلة الريفية في الجزائر.....
85	3: الخصائص التي تمتاز بها العائلة الريفية في الجزائر.....
88	4: الأدوار التي يمثلها أفراد العائلة الريفية.....
89	5: بعض المشكلات التي تواجهها العائلة الريفية في الجزائر...
91	خلاصة.....

137-92 الفصل الثالث: تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري.....

93	تمهيد.....
94	أولا: الوظائف التي لعبتها العائلة في الريف الجزائري.....
94	1: الوظيفة الإنجابية.....
95	2: التنشئة الاجتماعية.....
100	3: نقل القيم الاجتماعية وترسيخها.....
111	4: الوظيفة الاقتصادية.....
112	5: البناء والتعمير.....
115	ثانيا: التغير الذي مس البناء العائلي في الريف الجزائري.....
115	1: الطبيعة الاجتماعية للريف خلال العشرية السوداء.....
117	2: دور المشاريع التنموية في تغيير وضعية الريف.....

123	3: وسائل الإعلام والاتصال ودورها في تغيير العائلة الريفية...
126	4: تغيير القيم التقليدية للعائلة الريفية.....
130	5: بناء العائلة الريفية المتغيرة ومظاهرها.....
133	6: المجتمع الريفي وبعض القراءات الإحصائية.....
137	خلاصة.....

149-138 الفصل الرابع: الإجراءات المنهجية للدراسة.....

139	أولاً: مجالات الدراسة.....
139	1: المجال الدراسي.....
140	2: المجال الجغرافي والبشري.....
141	3: المجال الزمني.....
141	4: المنهج المستخدم وأسلوب اختيار العينة.....
145	ثانياً: الأدوات والوسائل المستخدمة في الدراسة.....
145	1: الاستمارة.....
146	2: الملاحظة.....
149	3: الوثائق والسجلات.....

213-150 الفصل الخامس: تحليل ومناقشة نتائج الدراسة.....

151	أولاً: تفريغ وتحليل البيانات الدراسية.....
203	ثانياً: مناقشة النتائج المتوصل إليها.....

208	ثالثاً: النتائج النهائية.....
208	1- عرض نتائج الدراسة في ضوء الدراسات المشابهة.....
211	2- عرض نتائج الدراسة في ضوء نظريات الدراسة.....
213	3- عرض نتائج الدراسة في ضوء التساؤلات.....
220	خلاصة عامة للدراسة.....
223	خاتمة.....
226	قائمة الكتب والمراجع.....
232	الملاحق.

فهرس الجدول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
1	يبين نمو السكان بالنسبة للمجتمعين الريفي والحضري منذ سنة 1886 إلى 1998	82
2	يبين تطور المجتمع الجزائري بالنسبة للسكان في الريف والحضر لعامي 1998 و 2005	133
3	يبين توزيع البلديات حسب النوع في الجزائر	134
4	يبين تصنيف البلديات حسب الإمكانيات الفلاحية في الوطن	135
5	يبين كيفية اختيار عينة البحث	143
6	يبين توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الجنس	151
7	يبين توزيع أفراد مجتمع البحث حسب السن	152
8	يبين توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الصفة العائلية	153
9	يبين عدد الأبناء لدى العائلة الريفية	154
10	يبين توزيع المستوى التعليمي حسب الفئات العمرية لأفراد العينة	155
11	يبين الأوضاع المهنية في المجتمع الريفي	157
12	يبين الشكل الحالي للعائلة الريفية	158
13	يبين تفضيل العائلات قديما إنجاب العدد الكبير من الأبناء	159
14	يبين اتجاه الوالدين الحالي في تفضيل عدد الأبناء والرغبة في جنس معين	160
15	يبين التوجه نحو عملية تنظيم النسل والفترات الزمنية بين ولادة الأبناء	162
16	يبين إمكانية تخطيط الزوجين لتنظيم النسل والاتفاق على ذلك في بداية الزواج	164
17	يبين توجه أفراد الريف نحو تشجيع تعدد الزوجات أو العكس	165
18	يبين حالات حدوث وفيات للأبناء حسب توزيع الفئات العمرية للوالدين في مجتمع البحث	166
19	يبين توجه العائلة الريفية نحو تقليل عدد الأبناء	168
20	يبين الجهة العائلية التي تقوم بتطبيع الأبناء بالصفات الاجتماعية والقيم العائلية	169
21	يبين إمكانية الاستعانة بأمكان معينة في تنشئة الأطفال	170
22	يبين الأسلوب الأمثل الذي يتوجه إليه الوالدين في تربية الأبناء	171
23	يبين اتجاه العائلة في أسلوب التنشئة مع الجنسين	172
24	يبين إمكانية التعامل بأسلوب الحوار في العائلة الريفية	173
25	يبين قبول الآباء وجهات نظر أبنائهم نحو موضوعات معينة وعلاقة ذلك بتفهم عنصر اختلاف الأجيال	174

176	يبين توجه القيم الخاصة بتعليم الأبناء في الريف	26
177	يبين توجه العائلة الريفية نحو تعليم وعمل المرأة	27
178	يبين العلاقة بين نظام الزواج والنسق القرابي في الريف	28
179	يبين المكانة التي يحظى بها الوالدين في اختيارات الأبناء	29
180	يبين ما إذا كان الأولياء في الريف يتدخلون لتغيير خيارات أبنائهم	30
181	يبين النظرة الحالية نحو موضوع الزواج المبكر في الريف الجزائري	31
182	يبين مساحة الاختيار التي تملكها الفتاة في موضوع الزواج	32
184	يبين الجهة التي تتوجه إليها العائلة الريفية في حال تعرضها لمشاكل	33
185	يبين حجم العلاقات الاجتماعية الموجودة بين الجيران في المجتمع الريفي	34
187	يبين وضعية الزراعة في الريف	35
188	يبين نظرة الأبناء نحو العمل الزراعي	36
189	يبين العلاقة بين نمط الزراعة المعمول به في الريف والاحتياج لليد العاملة	37
191	يبين ممارسة المرأة للصناعة التقليدية	38
192	يبين العلاقة بين الاستفادة من مشاريع فلاحية ووضعية الزراعة الريفية حاليا	39
194	يبين الإقامة في منزل الوالدين في بداية الحياة الزوجية في المجتمع الريفي	40
196	يبين شكل المشاكل المساكن الريفية حاليا من خلال مقارنتها مع المنازل السكنية قديما	41
198	يبين الاتجاه نحو إدخال أنماط حضرية على المساكن الريفية	42
199	يبين موضع المساكن الريفية بالنسبة للحقول الزراعية	43
200	يبين مواقع المساكن الريفية بالنسبة للمناطق المأهولة	44
201	يبين تقسيم المساكن الريفية حسب احتياجات العائلة	45
202	يبين نسبة استفادة العائلات من مشاريع البناء الريفي	46

المقدمة

تعتبر العائلة أهم وحدة اجتماعية في المجتمعات البشرية باعتبار أنها محور التفاعلات والعلاقات والوظائف التي تعبر في كليتها على طبيعة النسق الثقافي الذي يعبر عن مجتمع ما لذا فهي تحظى باهتمام الباحثين والتخصصات العلمية، كعلم النفس والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع.

وتمثل العائلة البيئة والمحيط الذي يتلقى فيه الفرد قيمه المنبعثة من المجتمع الذي يعيش فيه حيث نجد أن طبيعة البناء العائلي تختلف من مجتمع إلى آخر ليس في الوظائف الأساسية كالإنجاب والتنشئة الاجتماعية بل في طبيعة الوظائف الأخرى والمساحة التي تمثلها العائلة للفرد كالوظيفة الاقتصادية وتوريث القيم الاجتماعية...

فنجد أن العائلة الريفية في الجزائر تستمد طبيعة وظائفها وثقافتها من خلال المنظومة القيمية التي تمثل النموذج الاجتماعي المشروع في هذا المجتمع؛ حيث كانت تشجع على كثرة الإنجاب للتباهي والمفاخرة وأيضاً للاعتماد عليهم في العمل الزراعي الذي مثل فيما سبق النشاط الأساسي الذي يتميز به الريف، ونظراً لهذا التوجه نجد أن العائلة الريفية كانت من النوع الممتد الذي يهدف إلى تكوين علاقات اجتماعية مترابطة ومتكاثفة من خلال اشتراك الأبناء عند زواجهم مع والديهم في نفس المسكن نظراً لوحدة النشاط والقيم التي كانت تفرض هذا النوع من الارتباط حفاظاً على كيان العائلة في هذا المجتمع.

غير أن التطورات المتسارعة التي ألمت بالمجتمع الجزائري سيما في الألفية الثالثة جعلت العائلة الريفية تتغير في بعض القيم وطبيعة وظائفها تكيفاً مع العوامل الاجتماعية المحيطة بها وحفاظاً على البناء الاجتماعي.

نحن في هذه الدراسة لا نتحدث عن تغير راديكالي ألم بالمجتمع الريفي وطبيعة تكوين العائلة بل العكس من ذلك، أردنا لفت الانتباه إلى أن هذه المؤسسة الاجتماعية بما تحويه من

أفراد وتفاعلات ومظاهر تتغير جزئيا تماشيا مع تأثيرات اجتماعية أحدثتها بعض العوامل مثل وسائل الإعلام والاتصال الحديثة.

ونظرا لقلة الدراسات المتعلقة بالعائلة الريفية الجزائرية حديثا وجدنا أن الصورة التي يحملها المتلقي هي صورة نمطية عن وحدة استاتيكية تكاد تكون كمبنى منزل لا تتعرض للتغير، وهي مغالطة اجتماعية أردنا التطرق إليها وإلقاء الضوء على هذا البناء والتغير الذي حدث فيه ولم يخل بالأنظمة الأساسية داخله، كنظام الزواج المشروع الذي يربط بين الرجل والمرأة، بغرض تكوين أسرة مستقرة وظيفتها الأساسية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية.

وهذه الدراسة هي من النوع الوصفي الذي يلقي الضوء على مظاهر تغير العائلة الريفية، وللوصول إلى هذه النتيجة قسمنا العمل إلى قسمين؛ جانب نظري احتوى ثلاث فصول وجانب ميداني اشتمل على فصلين.

الجانب النظري:

الفصل الأول: المعالجة النظرية.

تطرقنا فيه إلى بعض النظريات التي عالجت وفسرت المجتمع الريفي والبناء العائلي كنظرية ابن خلدون، المحك الواحد، المتعدد المحكات، البنائية الوظيفية، النظرية التطورية...نحن تطرقنا إلى الأفكار التي تضمنتها هذه النظريات، غير أننا كنا حذرين في تناولها ولم نتبناها جميعها في تحليلنا الدراسي نظرا لخصوصية الموضوع وحساسيته وهو تغير العائلة في الريف الجزائري، بحيث أن نوعية التغير تختلف من مجتمع إلى آخر وبأشكال متنوعة نظرا للضوابط القيمية التي تحكم المجتمعات.

الفصل الثاني: واقع البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري.

لقد حاولنا في هذا الفصل تتبع المسار التاريخي من خلال العوامل الاجتماعية التي صاحبت تكوين العائلة في المجتمع الجزائري، ومن خلال المراجع التي تحصلنا عليها ألقينا

الضوء على بعض من المراحل الاجتماعية الكبرى التي كانت لها تأثيرات معينة على وجود صورة البناء العائلي على طبيعته الحالية في يومنا هذا.

الفصل الثالث: تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري.

تطرقنا في هذا الفصل إلى الجزء الخاص من الدراسة، وهو إلقاء الضوء على مظاهر تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري، من خلال التعرف على بعض العوامل المهمة؛ كالعشرية السوداء، دور الإعلام والاتصال، دور المشاريع التنموية... والتي أحدثت تغيرا في بعض من القيم وطبيعة جزء من الوظائف.

الفصل الرابع: الإجراءات المنهجية للدراسة.

لقد تم من خلال هذا الفصل تحديد الإجراءات المنهجية للعمل الميداني من خلال اختيار المنهج المناسب وأدوات البحث العلمي وقبل ذلك اختيار مجتمع البحث والعينة الدراسية.

الفصل الخامس: النتائج الدراسية.

توصلنا في هذا الفصل إلى تفريغ البيانات الدراسية وتحليلها بالإضافة إلى عرض نتائج الدراسة في ضوء الدراسات المشابهة، وفي ضوء النظريات، وأخيرا في ضوء التساؤلات الدراسية.

لنصل في الأخير إلى خلاصة عامة للدراسة وهذه الخطوات التي انتقلنا فيه من العام إلى الخاص حاولنا من خلالها إقامة دراسة جادة وموضوعية ومهمة لتغيير الصورة النمطية الموجودة عن العائلة الريفية.

إشكالية الدراسة

- | | |
|---------|-----------------------------|
| أولاً: | تحديد موضوع الدراسة. |
| ثانياً: | أهمية موضوع الدراسة. |
| ثالثاً: | أسباب اختيار موضوع الدراسة. |
| رابعاً: | ضبط مفاهيم الدراسة. |
| خامساً: | الأهداف الخاصة بالدراسة. |
| سادساً: | تساؤلات الدراسة. |
| سابعاً: | الدراسات المشابهة. |

أولاً: تحديد موضوع الدراسة.

يتميز الإنسان كونه اجتماعي بالفطرة، فهو يعيش منذ ولادته وسط جماعة بشرية يتفاعل معها في علاقات اجتماعية، مما يعطي علم الاجتماع ميدانا واسعا من التفاعلات والظواهر والعلاقات التي يقوم بدراستها، وتمثل العائلة مسرحا مهما لتلك التفاعلات الاجتماعية، فهي محور البشرية وترتبط بكل ما يتعلق بحياة الإنسان من وظائف وقيم وأدوار.

تتكون العائلة وفق نظام اجتماعي يعرف بالزواج، وأخذ هذا النظام أشكالا عديدة ومختلفة عبر الزمان والمكان، وحسب المعتقد الديني أيضا، ويرى البعض أن الوظيفة الأساسية للزواج وتكوين العائلة هي حفظ النوع البشري، غير أن هناك من يرقى فوق ذلك كما أكد ذلك الأستاذ مالك بن نبي في أن "القضية عن المجتمع الإنساني ليست قضية حفظ النوع، لأن التناسل قد وفرته الحياة الطبيعية، فالإنسان يعيش لأهداف أخرى، والمجتمع الإنساني يقرر فكرته في مستوى آخر، ليس مستوى البقاء، ولكن مستوى تطور النوع ورقه"¹، فالإنجاب نتيجة طبيعية للزواج، لكن الهدف من تأسيس العائلة هو تكوين جماعة بشرية قادرة على أن ترقى بمستوى تطلعات وأهداف التنمية والرقى.

الجدير بالذكر؛ هو أن العائلة نظام عالمي ومعروفة منذ القدم، تتكون وفق ارتباط مشروع بين الرجل والمرأة، ولقد عرف هذا المبدأ انحرافا في بعض المجتمعات الغربية - خاصة - بمدعاة أن هذا نتيجة طبيعية للتغير ومجاراته والتماشي مع التطور والحدثة حتى أصبحت الأسرة في هذا العالم تتبنى زواج المثليين، وهنا حتى الوظيفة التي توفرها الحياة الطبيعية وهي الإنجاب قد ألغيت في هذا الانحراف الطبيعي، وهي مسألة لا نجدها حتى عند الكائنات الحية الأخرى التي لا تملك سوى الغريزة.

لقد أشرنا إلى هذه المسألة، لأن موضوع دراستنا وهو "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" ولنوضح بداية نوعية التغير الذي نريد دراسته، فنحن لا نوافق أبدا ذلك الاتجاه الذي يترفع عنه حتى الحيوان، ولنبين أيضا أن المجتمعات العربية والمجتمع

¹ مالك بن نبي. مشكلات الحضارة تأملات، ط6 (سورية: دار الفكر، 2006)، ص158.

الجزائري بالتحديد هو بمنى عن التغير الراديكالي الذي يحدث في العالم الغربي نظرا لاختلاف خصائص المجتمعات والضوابط التي تحكمها.

العائلة الجزائرية عرفت بنظام الزواج المشروع اجتماعيا بين الرجل والمرأة حتى قبل التواجد الإسلامي وذلك نظرا أن ثقافة المجتمع آنذاك كانت ترفض المشاعية الجنسية وكانت تبحث عن تكوين جماعات بشرية مستقرة بهدف المحافظة على الملكيات والأرض التي كانت تحت نفوذ الدول التي احتلت الجزائر مثل: الرومان، الوندال البزنطيين... الاستعمار الفرنسي، وفي خضم تلك المراحل التاريخية وجد الإسلام كشرعية حياة اجتماعية مكانا له في الدولة الجزائرية، ورغم أنه تعرض لمقاومة شديدة أبداهها السكان إلا أنهم لم يرفضوا هذه الديانة في الأخير، عكس ما حدث للأنظمة الأخرى التي حاولت فرض المسيحية ولم تستطع ومرد ذلك إلى عوامل متعددة؛ من بينها أن الإسلام كنظام اجتماعي لا يختلف عن النظام الذي وجد في مجتمعنا آنذاك فهو حمل قيما متعلقة بالدفاع عن الأرض، والتضامن الاجتماعي، والإقرار بنظام العائلة والذي كان موجودا في الجزائر.

إن هدفنا من وراء التطرق إلى هذه النظرة التاريخية الموجزة لم يكن بهدف السرد القصصي ولكن لنؤكد أن الجزائر عرفت نظام العائلة وأقرته وحافظت عليه منذ القدم من خلال الخصائص الاجتماعية لشعبها والعوامل التي أحاطت بها وجعلتها تقوي نظام التضامن لديها للتخلص من الاحتلال، فهذا المجتمع لم يكن يعرف بانتشار وشيوع الفوضى الجنسية ولم يكن ينتظر الدين ليشرع نظام الزواج، بل كان معروفا بنظام الاستقرار من قبل التواجد الإسلامي. وهذا الاستقرار فرضته ضروريات الحفاظ على الأرض والملكيات في وجه الأطماع الاستعمارية.

إن مجتمعا يحمل هذه القيم لم يعرف التغير الراديكالي الذي تحدث عنه كارل ماركس ومن يحملون توجهاته الفكرية، والعائلة الجزائرية لن تعرف تحولات مفاجئة وانقلابات جذرية، مع ذلك لا بد وأن نشير إلى أنها ليست جامدة مثل مبنى منزل أو حائط جداري، بل تعرضت لتغير في بعض من الجزئيات لتستطيع التكيف مع جملة من العوامل الاجتماعية المحيطة بها.

إن العائلة في المجتمع الريفي الجزائري لطالما اعتبرت أهم وحدة اجتماعية، وتمثل بشكلها الممتد النمط المفضل الذي يحفظ استمرارية الجماعة ونوعيتها من خلال نسقها القيمي

الذي يلزم الأفراد بالامتثال له عن طريق الذوبان في الجماعة العائلية التي تورث قيما لأبنائها عن طريق التنشئة الاجتماعية التي يشترك فيها الأهل جميعا بحكم ارتباطهم بسكن يجمع بين عدة أسر صغيرة؛ قد تشمل الجد والجدة وأبنائهم المتزوجين مع الأحفاد.

تميزت العائلة الممتدة في الريف الجزائري بعدة وظائف وقيم مرتبطة بثقافتها الاجتماعية فالوظيفة الطبيعية للأسرة وهي الإنجاب؛ كانت تتميز لدى هذا النمط العائلي بكثرة النسل والتباهي والمفاخرة به، خاصة إنجاب الذكور وذلك لأن التوجه الاقتصادي آنذاك كان يتميز بنشاط موحد وهو العمل الزراعي الذي يحتاج لليد العاملة، لذا كانت العائلة الريفية تفضل إنجاب الذكور للاستفادة منهم وتحقيق الاكتفاء الذاتي في اليد العاملة.

من خلال الأمور السابقة حمل النسق القيمي للعائلة الريفية بذور التفرقة بين الجنسين انعكست من خلال عدة أمور؛ كإبراز الدور الذكوري في القيادة المنفردة في العائلة، تقليص مساحات اختيار المرأة في مسألة التعليم والزواج، تقليص مساحات القيام بدورها الاجتماعي من خلال المشاركة في صناعة القرارات العائلية.

والطبيعة الاجتماعية المحافظة لسكان الريف، فرضت نوعا من القوقعة والانعزال عن الحياة الاجتماعية العامة، ومؤشرات ذلك الزواج داخل النسق القرابي والذي كان من ضروريات الحياة الاجتماعية في الريف وذلك حفاظا على الملكيات التي لا بد وأن تبقى ضمن العائلة بالإضافة إلى المحافظة على الخصوصية القيمية والنموذج الاجتماعي المعمول به في الريف.

لكن وكما ذكرنا سابقا فإن العائلة ليست عبارة عن مبنى إسمنتي ثابت؛ فهي جماعة بشرية تشمل أفراد يتفاعلون فيما بينهم وبين العالم الخارجي الذي هو عبارة عن أحداث ووقائع اجتماعية تخص مجتمعا في فترة زمنية معينة، والذي حدث في الجزائر في السنوات الأخيرة صاحب مجموعة من العوامل والنقاط التي أحدثت تغيرا في العائلة الريفية، وهو تغير ديناميكي يتكيف مع الظروف المحيطة به وليس تغيرا جذريا.

ومن بين تلك العوامل التي ساهمت في تغير العائلة الريفية؛ العشرية السوداء والتي لها دور بارز في تغير الذهنيات من خلال هجرة الريفيين المؤقتة إلى المدينة في تلك الفترة هروبا من قرب الريف من معاقل الجريمة، وبهذا النزوح المؤقت تداخلت الأنساق الثقافية مع

بعضها وبدأ الإنسان الريفي بالتغير نتيجة لما لمسه في المدينة، وهو بدوره نقل هذا التغير إلى أفراد العائلة في مجتمعه.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال سيما في الألفية الثالثة، فتح أبواب أخرى لتغير الذهنيات وتجديد الاتجاهات، من خلال نشر ورفع مستوى الطموح والتطلعات خاصة أنه وبحسب الإحصائيات المقدمة من طرف الديوان الوطني للإحصاء ONS لسنة 2005، فإن الشباب الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة يمثلون نصف سكان الريف عبر الوطن وهم موزعين على ما يقارب الاثنى عشر مليون عائلة ريفية، وهذه الفئة صاحب وجودها ذلك التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال التي جعلت منهم أكثر تقبلاً للتغير في بعض من الأمور والمسائل.

ورغم أن دراستنا لا تبحث في العوامل التي أحدثت تغير العائلة الريفية، إلا أننا تطرقنا إليها لمزيد من التوضيح حول الموضوع الذي هدفنا من خلاله الكشف عن مظاهر تغير العائلة الريفية واستبدال الصورة النمطية التقليدية المطبوعة في الأذهان للعائلة الريفية التي لا تتغير أبداً.

نحن في هذا العمل نتوافق مع أفكار البنائية الوظيفية، والتي لم تنف وجود التغير الديناميكي الذي يتكيف مع العوامل الاجتماعية المحيطة به، وفي هذا الصدد، تناول تالكوت بارسونز وهو أحد رواد هذه النظرية أن الأسرة النووية، هي نتيجة للتغير الصناعي والحراك الجغرافي ...، وهذا يتوافق مع طبيعة دراستنا التي تنفي التغير الجذري والانقلاب المفاجئ لكنها تؤكد على التغير الذي يأتي في مظاهر معينة ولم يخل بنظام العائلة في طبيعة تأسيسها من خلال نظام الزواج المتعارف في المجتمع.

وتغير العائلة الريفية لا بد وأن يأخذ مظاهر ومؤشرات، يستطيع الباحث من خلالها أن يقرأ ويؤكد على اتجاه هذا التغير ودلالاته الاجتماعية، والتساؤل الذي يتبادر إلى أذهاننا في هذا الصدد؛ هو ما هي المظاهر والمؤشرات التي من خلالها نستطيع إثبات التغير الذي يوجد في العائلة الريفية الجزائرية؟

وللإجابة على هذا السؤال قمنا بالتحديد التدقيق للقيم والوظائف التي نريد التركيز عليها ومنها؛ تغير طبيعة الوظيفة الإنجابية، أساليب التنشئة الاجتماعية، القيم المتعلقة بالمرأة

الريفية فيما يخص مسألة التعليم والزواج، تغير التوجه الاقتصادي، ونمط البناء العمراني وأهم مظهر لتغير العائلة الريفية هو انتشار النمط النووي للبناء العائلي.

ثانيا: أهمية موضوع الدراسة:

إن أي موضوع يطرح للبحث العلمي، يجب أن يتسم بالأهمية والقيمة العلمية وموضوع دراستنا هو "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" موضوع له من الأهمية ما يوجب وضع دراسات وأبحاث متعددة في هذا الصدد وهذا لاعتبارات مهمة وهي أن البناء العائلي في المجتمع الريفي، يعتبر الوحدة الأساسية المسؤولة على الكثير من الأدوار والوظائف؛ كعملية الإنجاب والتنشئة الاجتماعية للأطفال وترسيخ القيم المتعارف عليها في هذا المجتمع ونقلها من جيل الآباء إلى جيل الأبناء، بالإضافة إلى وظيفتي البناء والتعمير إلى جانب الوظيفة الاقتصادية للعائلة الريفية.

من جهة أخرى و كما هو معروف فإن البناء العائلي في المجتمع الريفي بناء محافظ على خصائصه الاجتماعية و أدواره المعروف بها، غير أن الدلائل الحالية تشير إلى عكس ذلك وهو تغير وظائف ونطاق العائلة الريفية، فوجدنا أن هذا الموضوع وهو تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري موضوع جدير بالاهتمام والأهمية لندرة الدراسات الجزائرية في هذا المجال وعدم تغطيتها الجوانب الكافية التي يستطيع الباحث العمل من خلالها كأرضية علمية تخص البحث في مجال علم الاجتماع الريفي.

ثالثا: أسباب اختبار موضوع الدراسة:

إن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع وهو "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" تتعلق بأسباب ذاتية وأسباب موضوعية:

1- **السبب الذاتي:** وهو إحساس الباحث بمشكلة معينة لا بد من إزالة الغموض الذي يكتنفها، والمشكلة في هذا البحث هو كشف اللثام عن التغير الذي حصل في البناء العائلي داخل مجتمع يبدو عليه طابع المحافظة والثبات، و تبني أدوار مختلفة عن طابع الحضر. حيث تشير الدلائل إلى توجه الريف من خلال الوحدة الأساسية وهي العائلة، إلى تبني أدوار جديدة تكاد تكون أقرب إلى أدوار الحضر، ورغبتنا هي الكشف عن التغير في أدوار ووظائف العائلة الريفية من خلال عدة مؤشرات كالإنجاب والتنشئة والقيم والسكن والاقتصاد.

2- **السبب الموضوعي:** إن اختيارنا لهذا الموضوع كان نتيجة لإطلاعنا على واقع ندرة الدراسات المتعلقة بالمجتمع الريفي خاصة تلك المتعلقة بالعائلة وأهم وظائفها وبالذات نقطة التغير في هذا البناء الذي يعتبر أهم مؤسسة اجتماعية بالمجتمع الريفي الجزائري. وبهذا فإن اختيارنا كان مدروسا و معتمدا ولم يكن تلقائيا أو اعتباطيا.

- أهمية البناء العائلي في المجتمع الريفي كوحدة أساسية مسؤولة عن وظيفة الإنجاب وعملية التنشئة، وإرساء القيم المتعارف عليها في هذا المجتمع والوظائف المتعلقة بالبناء والتعمير إلى جانب الوظيفة الاقتصادية ... كل هذا وغيره أدى بنا إلى اختيار البناء العائلي كمتغير أساسي في دراستنا نظرا لأهميته في المجتمع الريفي.

- الرغبة العلمية في كشف الغموض عن تغير هذا البناء وتغير أدواره ونطاقه.

- محاولة إثراء المكتبة بإضافة علمية جديدة تكون سندا لبحوث ودراسات مستقبلية جديدة.

رابعاً: ضبط مفاهيم الدراسة:

إن أي موضوع يطرح في حقل البحث العلمي، يرتكز على مفاهيم أساسية تعتبر مفاتيح الدراسة، وبما أن موضوع دراستنا هو **تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري** فإن أهم ما يجب إزالة الغموض عنه هو ما يلي: التغير، التغير الاجتماعي، البناء العائلي، البناء العائلي، وأخيراً المجتمع المحلي لتخصيص التطرق إلى مفهوم المجتمع الريفي والذي يعتبر ميدان هذا البحث.

1- التغير: إن أول مفهوم يستوجب التوضيح في هذه الدراسة فهو مفهوم **التغير** ويعد هذا الأخير من أصعب المصطلحات ضبطاً وأوسعها من خلال تعدد الرؤى الفكرية التي تناولت هذا المفهوم.

حيث نجد أن الدكتور حسين خولي وضح بأن "اصطلاح change يعني انتقال أي شيء أو ظاهرة من حالة إلى أخرى، أو هو ذلك التعديل الذي يتم في طبيعة أو مضمون أو هيكل شيء أو ظاهرة"¹.

نجد أن هذا التعريف لمصطلح التغير؛ وضح طبيعة العملية وهي الانتقال من شيء إلى شيء، غير أنه لم يتناول شكل هذا الانتقال، هل هو إيجابي أم سلبي، دائم أو مؤقت...

لهذا السبب نجد أن ما تطرق إليه كان قاصراً بعض الشيء في الإيضاح، لذا سندرج المفهوم الذي تناوله **خليل أحمد خليل** حول التغير، حيث أشار إلى أنه "التبدل، وهو التطور أي التحول من طور إلى طور، وهو الصيرورة أي الانتقال من صورة إلى صورة، بلا تضمين قيمي، كالقول إن التغير هو التقدم، فالتغير يتضمن تقدم والتأخر معاً، والأهم عدم الخلط بين التغير والتغيير، إذ أن مفهوم التغيير يتضمن معنى التغير المنشود نحو الأفضل أي معنى التقدم والتحسين، بينما مفهوم التغير له معنى الحدث الواقعي، المحايد"².

نلاحظ من هذا الطرح أن التغير يشمل نقاط عديدة وهي، التطور والانتقال الواقعي المصاحب لأي ظاهرة أو مجتمع أو أي شيء... وهذا بدون إطلاق أحكام قيميّة كأن نعتبر التغير ظاهرة إيجابية أو سلبية، فهو - مصطلح التغير - قد يشمل التقدم و التأخر معاً.

¹ محمد عمر الطنوبي. التغير الاجتماعي، (مصر: منشأة المعارف، 1996) ص52.

² خليل أحمد خليل. معجم المصطلحات الاجتماعية، (لبنان: دار الفكر اللبناني، 1995) ص130.

2-التغير الاجتماعي: وهو "كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة، ولما كانت النظم في المجتمع مترابطة ومتداخلة متكاملة بنائيا ووظيفيا، فإن أي تغير يحدث في ظاهرة لابد وأن يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التي تصيب معظم جوانب الحياة بدرجات متفاوتة"¹.

لقد تطرقنا إلى مفهوم التغير الاجتماعي، كون العائلة أهم مؤسسة اجتماعية في الريف ولنبين أن أي تغير قد يمس أجزاء هذا البناء قد يشمل تغيرا في المجتمع الريفي.

3-البناء:وهو "في مدلوله اللفظي ما عليه يتكون من مبنى معين كالمنزل والمدرسة واستعمل اصطلاحا للدلالة على كل تنظيم ثابت، مكون من أجزاء يتصل بعضها ببعض لأداء وظيفة معينة، وتتغير هذه الوظيفة بتغير الأجزاء التي يتكون منها هذا التنظيم، وتغير الصلات التي تربط بين هذه الأجزاء"².

ونحن في هذه الدراسة سنتناول البناء العائلي بالتحديد والتغير الذي طرأ عليه في المجتمع الريفي الجزائري، أي سنبحث في تغير أجزاء من هذا البناء التي افترضنا أن تغيرها أدى إلى تغير هذه الوحدة الاجتماعية وهي العائلة.

4-العائلة: عند جمعنا للمادة العلمية حول هذا الموضوع لاحظنا فرق في استخدام المصطلح وعدم توحيده، ونقصد أننا صادفنا إدراج كلمة **العائلة** محل **الأسرة**، وأحيانا أن العائلة هي الأسرة الممتدة، وفي مراجع أخرى وجدنا أن العائلة هي مصطلح عربي يستخدمه علمائنا في مجال البحث الاجتماعي العائلي. بحثنا في سبب هذا الخلط الغير متعمد، فوجدنا أن الترجمة الحرفية هي العامل الأساسي في هذه النقطة.

فكلمة family بالإنجليزية أو la famille بالفرنسية تقابلها كلمة أسرة باللغة العربية ومن هذا المنطلق، وبالإضافة إلى وجود عدة أشكال للأسرة اختلف علماء الاجتماع في وضع مصطلح العائلة على اعتبار أن المصطلح يخص علم الاجتماع في ميدان البحوث العربية.

¹ مصطفى الخشاب. دراسة المجتمع،(مصر: مكتبة الأنجلو المصرية،1977)،ص188.

² إبراهيم مذكور. معجم العلوم الاجتماعية،(مصر:الهيئة العامة المصرية للكتاب،1975)،ص99.

غير أننا في هذه الدراسة، اعتمدنا على ما أدرجه الباحث الجزائري مصطفى بوتقنوش في دراسته عن "العائلة الجزائرية" حيث أنه لم يدرج فروق معينة بين المصطلحين وهما العائلة أو الأسرة "فعندما تطلب من شخص تعريف عائلته فذلك يعني عائلته الخاصة أي الثنائي الزوجي وأبناؤهما، كما يعني الأسرة التي يعيش فيها والجامعة لأسلافه وأخلافه"¹.

من هذا المنطلق عملنا في هذا البحث من خلال توحيد المفهوم، أي استخدام مصطلح العائلة للدلالة على الأسرة بأشكالها المتعددة.

ونجد أن كلمة -عائلة- لغويا هي مشتقة من فعل عال، يعول[...]. وأن العائل هو الذي يكسب ويتعب، ليؤمن مستلزمات الحياة لمجموعة من الأشخاص، هم أقارب بالدم، منحدرين من صلب رجل واحد، هو العائل، وأن الأشخاص المعولين هم زوجته وأولاده من ذكور وإناث والذين هم حصيلة زواج شرعي.²

والعائلة "هي المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع امرأة أو عدد من النساء ومعهم الخلف الأحياء، وأقارب آخرين وكذلك الخدم"³.

من خلال المنطلقات السابقة نجد أن العائلة تمثل أهم وحدة اجتماعية يرتبط فيها الرجل بالمرأة عن طريق رباط مقدس يقره المجتمع بمختلف مؤسساته: الدينية والقانونية والاجتماعية، ... ونجد أن العائلة لها أهمية كبرى في المجتمعات العربية لما تمثله من مقدس ديني لقوله تعالى:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" ⁴

1 مصطفى بوتقنوش، أحمد دمري. العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1984) ص 38.
2 علي عبد الله الجبالي، علم خصائص الشعوب علم الأقاليم، (سوريا: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2007) ص 177.
3 مصطفى بوتقنوش، أحمد دمري. المرجع السابق، ص 14.
4 سورة النساء، الآية: 1.

ونجد أن علماء الاجتماع تناولوا موضوع الأسرة بالدراسة والتحليل، وعلى سبيل المثال اعتبرها كونت "الخلية الأولى في جسم المجتمع وأنها النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور وأنها الوسط الطبيعي الاجتماعي الذي ترعرع فيه الفرد"¹.

نجد أن كونت بالإضافة إلى تنويعه بأهمية الأسرة في المجتمع تطرق إلى عملية التنشئة الاجتماعية وبأنها الوسيط الطبيعي الذي يتربى فيه الفرد ويتلقى منها قيم مجتمعه والدور الذي سيلعبه في هذا المجتمع.

المنتبع لما سبق ذكره، وجدنا تناولنا العائلة في شكلين أساسيين وهما العائلة التي تضم الرجل وزوجته وأبنائهما والعائلة التي تضم الأسلاف والأخلاف وتتمثل في عدة أجيال.

ويطلق على الشكل الأول العائلة النووية وهي "في معناها الضيق تعني وجود علاقة أبوية بين أفراد يقتسمون المسكن معاً، وهؤلاء هم الأب والأم والأبناء"².

أما الشكل الثاني فهي العائلة الممتدة "يرتبط فيها الأفراد بعضهم ببعض من خلال أصل قرابي واحد وتحتوي على نماذج من الأسرة النواة وقد عرفها روسر وهاريس بأنها علاقة معينة بين مجموعة من الأفراد تربطهم المودة والتراحم من خلال الزواج والإنجاب [...] وتمتد لثلاثة أجيال بدءاً من الأجداد وحتى الأحفاد"³.

ولأهمية الأسرة أو العائلة في المجتمعات وجدنا أنها تشمل عدة خصائص مشتركة يتفق عليها أغلب الباحثين وعلماء الاجتماع فهي "اجتماع موحد عن طريق الروابط الدموية ويعيش أفرادها تحت سقف واحد أوفي مكان سكني معين في خدمة مشتركة لأفرادها"⁴.

ومن جهة أخرى نجد أن قانون الأسرة الجزائرية عرف العائلة أنها "الخلية الأساسية للمجتمع وتتكون من أشخاص تجمع بينهم صلة الزوجية وصلة القرابة"⁵.

المفهوم الإجرائي للعائلة:

¹ سامية محمد جابر وآخرون. الأسرة والمجتمع، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 2006) ص7.

² راضية لبرش. "نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت والمتغير" رسالة ماجستير (جامعة باتنة، 2002) ص9.

³ حسين عبد الحميد رشوان. الأسرة والمجتمع دراسة في علم اجتماع الأسرة، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2003) ص34.

⁴ yvonne castellan. la famille, (France: press universitaires de France, 1995) p3.

⁵ وزارة العدل. قانون الأسرة، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993)، المادة رقم 02، ص 01.

لقد تناولنا فيما سبق ذكره العائلة في معناها العام ونمطيتها الأكثر انتشارا في مختلف المجتمعات، وبما أننا سندرس العائلة في المجتمع الريفي الجزائري، فلا بد من تحديد بعض السمات والخصائص التي تميزها في هذا المجتمع عن باقي المجتمعات.

والعائلة في المجتمع الريفي هي عبارة عن أهم وحدة اجتماعية يلتقي فيها الرجل والمرأة عن طريق زواج شرعي يقره المجتمع، وينتج عنه في أغلب الأحوال أبناء، تربطهم علاقات تضامن وتكافل وتحقيق أمن اقتصادي ... ، بالإضافة إلى ذلك نجد أن النمط الأكثر شيوعا للعائلة الريفية هي العائلة الممتدة التي يعيش في أحضانها أكثر من جيل وتجمع الجد والجدة وأبنائهم الذكور المتزوجين والغير متزوجين، مع الإناث الغير المتزوجات وأيضا الأحفاد، وتربطهم علاقات قوية تعتمد على العمل المشترك وتقديس القيم والاشتراك في السكن...

5- البناء العائلي: تطرقنا فيما سبق لمفهوم البناء والعائلة كل على حدى، وبما أننا استخدمنا مصطلح البناء العائلي في دراستنا هاته، فلا بد من إدراج هذا المفهوم ويقصد بهذا المصطلح "شبكة المتطلبات الوظيفية التي تنظم العلاقات والتفاعلات بين أعضاء الأسرة"¹ فالبناء العائلي هو التنظيم المكون من أجزاء تتمثل في وظائف وفاعلين وأدوار وعلاقات بين أعضاء الأسرة حيث أن لكل واحد منهم دور معين ووظيفة تنتظم من خلال البناء العائلي.

6- المجتمع المحلي: "وهو مجموعة من الناس تقوم في منطقة جغرافية محددة ويشتركون معا في الأنشطة السياسية والاقتصادية ويكونون فيما بينهم وحدة اجتماعية ذات حكم ذاتي تسودها قيم عامة ويشعرون بالانتماء نحوها مثل المدينة الصغيرة أو القرية"².

7- المجتمع الريفي: إن مفهوم المجتمع الريفي يختلف من باحث إلى آخر وهذا نسبة لاختلاف الزمان والمكان، حيث نجد من يعرف الريف على أساس أنه المجتمع الذي يتجاوز سكانه 2500 نسمة وآخر يشير إلى الريف على أنه المجتمع الذي يزاول سكانه مهنة

¹ Jacques Miermont. Dictionnaire de thérapies familiales théories et pratique (paris :1987) p498.
² فاروق مداس. مصطلحات علم الاجتماع، (الجزائر: دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، 2003) ص231.

الزراعة، ومفهوم آخر على أساس أن الريف هو كل منطقة بعيدة عن مناطق السكن الحضري، إلا أن هذه الإشارات قاصرة المعنى ولا نستطيع تعميمها .

فالريف في و.م.أ مختلف عنه في إفريقيا وآسيا، والريف في مصر يختلف عن الريف في الجزائر.... إلخ

إلا أننا نستطيع وضع بعض المفاهيم التي تمس المجتمع الريفي بصفة عامة كونه مجتمع محلي، فالريف "هو المجتمع الجزئي المحافظ الذي يعيش على إستغلال الطبيعة إستغلالاً مباشراً، ويقوم على القرابة" ¹ .

نلاحظ أن هذا التعريف للمجتمع الريفي يتناول أكثر من نقطة وهي أن المجتمع الريفي جزء من مجتمع أكبر وهو الدولة، يكون محافظاً في طبيعته الاجتماعية وأقل ديناميكية من الحضر، تمثل الأرض المصدر الأول للاكتفاء الذاتي وتحقيق الأمن الغذائي. ويقوم على علاقات القرابة والنسب التي تؤسس للتضامن والخدمة المشتركة.

إلى جانب ما سبق نجد أن العلامة ابن خلدون كان من السابقين لدراسة المجتمع الريفي والذي يطلق عليه اسم **البدواة** ولقد حدد خصائص هذا المجتمع في المقدمة ² وذلك بأن أهل البدو ممن يقومون بأعمال الغرس والزراعة والقيام على الحيوان من الغنم والبقر والنحل...

"وفي اصطلاحات علم الاجتماع عم استعمال كلمة **المجتمع الريفي** بعد أن ظهر فرع خاص من علوم الاجتماع يهتم بدراسة ظواهر الحياة الريفية وأصبحت هذه الكلمة تطلق على مجموعات السكان الذين يعيشون على الزراعة ويتميزون بكيان خاص ولهم مصالح خاصة كما أنهم يتمسكون بقيم معينة تختلف عن قيم سكان المدينة" ³.

المفهوم الإجرائي: مما سبق نستطيع القول أن المجتمع الريفي مجتمع جزئي في الدولة، وجوده ضروري لدفع صيرورة الحياة، يتميز بالثبات النسبي حيث أنه أقل حركة من المجتمع الحضري و يعتبر أفرادهم ممن يتمسكون بالقيم والعادات والتقاليد... تربط بينهم

¹ عبد المجيد عبد الرحيم . علم الاجتماع الريفي، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1975) ص21.

² عبد الرحمن ابن خلدون. المقدمة (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2007) ص134.

³ عبد الحميد بوقصاص. النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري (قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية) ص68.

علاقات أولية تهدف إلى الدفاع عن المصلحة الواحدة للجميع...مجتمع يقدر العائلة ويعتبرها أهم وحدة اجتماعية على الإطلاق و هي مسؤولة عن عملية توفير الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي من خلال العمل الزراعي والفلاحي ،على أساس أنه النشاط الرئيسي في هذا المجتمع بالإضافة إلى أن العائلة هي المصدر الأساسي لتوريث القيم والعادات عبر الأجيال و يتميز المجتمع الريفي بأنه يحتوي العائلات الممتدة كأكثر الأنماط العائلية شيوعا وانتشارا بهذا المجتمع، في الأخير لابد وأن ننوه بأننا في هذه الدراسة سنكشف عن التغير الحاصل في هذا المجتمع من خلال البناء العائلي.

خامسا:الأهداف الخاصة بالدراسة:

ما يطبع الدراسات العلم الاجتماعية، وسيما في الحقل السوسيوريفي، أنها تتطلق من أسس وموجهات وتخلص دائما إلى غايات ذات نفع علمي ومادي، وتكريسا لهذه الرؤية الموضوعية، يصبح من المنطقي أن نضع أهدافا في معالجتنا للموضوع الحالي، وسنضعها على النحو التالي:

- 1- تحديد وتيرة الإنجاب، وتقدير درجة تأثيره على نمط البناء العائلي في المجتمع الريفي.
- 2- معرفة وسائل وأساليب التنشئة الحديثة، وتعيين حدود تدخلها في المحافظة أو تغير البناء العائلي الريفي.
- 3- فهم نوعية القيم والمعايير والموجهات المكرسة في الوسط الريفي، واستنتاج قيمة الدور الذي تؤديه في تشكل البناء العائلي.
- 4- الكشف عن التغير الوظيفي في الجانب الاقتصادي للبناء العائلي في المجتمع الريفي.
- 5- معاينة نمط العمران والسكن الريفي، وتحديد درجة التغير في هذا الصنف من المجتمع. وللإشارة فإن العائلة في الريف الجزائري تعيش اليوم تفاعلات أصبحت تغير وتشكل في بناءها على نحو لم تعهده من قبل وهذا ما نحن بصدد دراسته في هذا العمل...

سادسا: تساؤلات الدراسة.

التساؤل الرئيسي:

إن التطورات التي مست مختلف المركبات في المجتمع الجزائري، سيما مع بداية الألفية الثالثة والتي تتبعها نقلات نوعية على مستوى المجتمع المحلي؛ أدت إلى تغير في نطاق ووظائف العائلة الريفية، فما هي أهم المظاهر والمؤشرات التي تعكس صورة تغير هذه الوحدة الاجتماعية في الريف الجزائري؟

التساؤلات الجزئية:

- 1- هل تتجه العائلة الريفية نحو تنظيم النسل، وكيف تغيرت الوظيفة الإنجابية في الريف؟
- 2- هل ترقى التنشئة الاجتماعية وبكل أساليبها بالأفراد الذين ينتمون إلى العائلة في الوسط الريفي من تعزيز التغير الحاصل في بنائها؟
- 3- ما هي المظاهر والدلالات التي تبين تغير القيم العائلية المتعلقة بالمرأة الريفية في مسائل معينة كالتعليم ونظام الزواج؟
- 4- ما هي أوجه النشاط الاقتصادي المتعدد في المجتمع الريفي والتي أصبحت تدل على أن الزراعة لم تعد النشاط الوحيد في البناء العائلي والذي يجمع بين أفرادها؟
- 5- كيف يتكيف السكن الريفي بنمط عمرانه وفضاءاته مع نمط البناء العائلي المتغير في المجتمع الريفي، وما هي العوامل المساعدة على ذلك؟
- 6- هل أصبحت العائلة النووية تعد شكلا ونمطا منتشرا في المجتمع الريفي؟ وهل تقلص تواجد العائلة الممتدة؟

سابعاً: الدراسات المشابهة.

تعد الدراسات السابقة أو المشابهة بمثابة قاعدة علمية تسهم في توضيح الرؤية لدى الباحث، حيث تعتبر نتائجها فرضيات أو انطلاقة لدراسات علمية جديدة، وفيما يخص موضوع دراستنا وهو " تغيير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري " حاولت الوقوف على دراسات مختلفة للاستفادة العلمية، غير أننا توصلنا إلى عدة نقاط منها:

1- ندرة الدراسات الاجتماعية الخاصة بالريف الجزائري، والتغيرات التي شملت الأسرة كأهم وحدة اجتماعية ، وأن وجدت تتناول جزئيات اجتماعية دون أخرى.

2- عدم الاستفادة من الدراسات الغربية في هذا المجال، ذلك لأن الطبيعة الاجتماعية للريف في أوروبا وأمريكا تختلف تماماً عن الريف الجزائري، خاصة فيما يتعلق بالقيم والتقاليد...الخ. التي تمثل صورة البناء العائلي.

3- وجدنا أن أغلب الدراسات التي تناولت المجتمع الريفي والتطورات الحاصلة فيه، هي دراسات مصرية، سنتطرق لواحدة منها وتتناول أوجه الشبه وأوجه الاختلاف، لأجل الاستفادة من هذه النقطة، رغم الاختلاف النسبي بين طبيعة المجتمع الريفي المصري ونظيره الجزائري، خاصة فيما يتعلق بظاهرة الثأر التي يشتهر بها المجتمع المصري.

الدراسة الأولى¹:

هي دراسة مصرية للباحثة عالية حلمي عبد العزيز حبيب بعنوان "بعض ملامح التغير في شكل الأسرة الممتدة في الريف المصري" قدمت للحصول على الماجيستر في علم الاجتماع وأجيزت عام 1986.

الدراسة كانت ذات طابع ميداني في إحدى القرى المصرية، حيث حاولت الباحثة الكشف عن العوامل البعيدة عن التصنيع والتحضر، والتي أدت إلى انقسام الأسرة الممتدة التقليدية في

¹ أخذت هذه الدراسة من. أحمد زايد وآخرون. الأسرة والطفولة دراسات اجتماعية واثروبولوجية، ط1 (مصر: دار المعرفة الجامعية) ص ص: 269-296.

الريف وظهور نمط جديد وهو الأسرة النووية، وما هي أنماط هذا الشكل الجديد وخصائصه والوظائف التي يؤديها.

أما عن الأهداف الأساسية للدراسة فكانت تركز على تغير شكل الأسرة بدرجة أساسية والبحث في بعض الظروف التي أثرت عليها.

وانطلقت الدراسة من فرض أساسي: وهو أن الأسرة الممتدة في الريف المصري شهدت تغيرات نتيجة لعوامل متعددة بعيدة عن عامل التصنيع، ودعمت الباحث دراستها بفروض وتساؤلات فرعية تمحورت حول: استبعاد عامل التصنيع والتحضر في ظاهرة تغير الأسرة المصرية، بالإضافة إلى الربط بين شكل الأسرة والبعد الطبقي في هذا المجتمع... الخ. وللتحقق من الفرضيات السابقة توجهت الباحثة إلى عينة البحث وقد أخذت العينة من مجتمع ريفي كانت من أهم شروطه البساطة وعدم التصنيع؛ والقرية التي وقع عليها الاختيار هي إحدى القرى بمحافظة المنوفية، وهي الموطن الأصلي للباحثة، ويبلغ عدد سكانها حسب تعداد 1976 عشرة آلاف نسمة.

واعتمدت الباحثة في دراستها الميدانية التي دامت العامين المنهج الأنثربولوجي فضلا عن استخدام بعض المناهج الأخرى كمنهج المسح الاجتماعي الوصفي، ومنهج دراسة الحالة مع التنوع في وسائل جمع البيانات من استمارة العمل الميداني والتي شملت 68 سؤالاً، إلى الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة والمصادر التاريخية والبيانات الإحصائية...

وتوصلت الباحثة في الأخير إلى مجموعة من النتائج خلصت إلى الإجابة على الفرض الرئيسي والتحقق منه؛ حيث وحسب تلك النتائج فإن الأسرة الممتدة في مجتمع البحث شهدت تغيرات جذرية في شكلها ووظائفها، وذلك في مجتمع تقليدي بعيد عن عوامل التصنيع والتحضر وهذا ما يثير الاستغراب!.

فمن جهة نجد أن الباحثة أكدت على تغير جذري في شكل ووظائف الأسرة الريفية الممتدة، ومن جهة أخرى استبعدت عامل التحضر والتصنيع الذي قد يكون له الأثر المباشر في هذا التغير.

مما سبق نستطيع التوصل إلى أوجه شبه وأوجه اختلاف بين الدراسة التي قدمتها الباحثة وبين الدراسة التي نعمل عليها.

أوجه الشبه:

- تشترك الدراستين في اتخاذ الأسرة كوحدة أساسية في البحث.
- الاهتمام بدراسة التغير الذي مس هذا البناء في المجتمع الريفي.
- الاهتمام بدراسة تغير شكل الأسرة الممتدة والتواجد المتصاعد لشكل الأسرة النووية.

أوجه الاختلاف:

تكمن أوجه الاختلاف بين الدراستين في جوانب النقص أو الإخفاق التي وقفنا عليها فيما قدمته الباحثة من خلال دراستها؛ حيث نجد أن:

إخفاق الباحثة تمثل في اختيارها لمجتمع البحث والمتمثل في الريف التقليدي الذي اشترطت أن يكون بعيدا وبمعزل عن عوامل التحضر والتصنيع، ونحن نرى ان التواصل الريفي الحضري من التواصل الريفي الحضري من خلال المشاريع التنموية والتصنيع... بالإضافة إلى عوامل أخرى كان لها دور كبير في تغير البناء العائلي الريفي وسهل من تواصل الثقافتين الريفية والحضرية.

نرى أيضا الباحثة أخفقت كونها أكدت على أن التغير جذري في الأسرة الريفية وهذا ما نعتقد انه صعب الوقوع - وسنتحقق من هذا في عملنا الميداني - وذلك لأن العادات والتقاليد الريفية التي تشكل النموذج الاجتماعي المعمول به في الأسرة، هو عبارة عن تراكمات ثقافية تنقل من جيل لآخر، ومهما كانت التغيرات التي تسمها إلا أن التغير الجذري والتأكيد على هذه الصورة ربما يعبر على أحكام مبالغ فيها لا سبيل إليها في الواقع.

لأن المجتمع العربي في عموميه يحافظ على سماته الاجتماعية الأساسية التي لا تتغير بسهولة وهذا في المجتمع الحضري، فما بالناس بالمجتمع الريفي الذي يكون أكثر حفاظا ومقاومة للتغير، غير أننا بهذا لا ننفي وجود التغير بل نوكد عليه في قيم دون أخرى بالإضافة إلى شكل الأسرة وتقلص بعض من أدوارها ووظائفها وليس كلها.

الدراسة الثانية¹:

هي عبارة عن دراسة علمية منشورة في مجلة شؤون اجتماعية الإماراتية لسنة 2009 الدراسة هي للأستاذ بين أيمن الشبول ومحمود نعامنة بعنوان "التغير الاجتماعي وبناء الأسرة دراسة إثنولوجية لبلدة الطرة"

الدراسة بطابعها الميداني أقيمت في بلدة الطرة الأردنية، تناول الباحثان من خلالها البناء الأسري والتغيرات المادية المعنوية، التي أتت نتيجة لعدة عوامل وأسباب كالاتصال بالمجتمعات المحيطة والتطور التكنولوجي المتسارع.

اعتمدت هذه الدراسة على عدة فروض علمية أهمها: أن الأسرة كسمة ثقافية يتكون منها مجتمع البلدة قد تعرضت لتغيرات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية وهذا التغير انعكس بدوره على النظام السلطوي للعشيرة وطور مفهوم العلاقات القرابية الذي مد من نطاق التعاون وسع أفق التنافس بين أفراد المجتمع.

وللتحقق من صحة هذا الفرض اعتمد الباحثان على مجتمع دراسي يقع في بلدة الطرة في شمال الأردن، وهي منطقة ريفية بالمعنى الاجتماعي وقدر عدد سكانها حسب إحصائيات 2006 بـ 15704 نسمة، واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي المقارن كونها دراسة راسية

¹ هذه الدراسة أخطت من: أيمن الشبول، محمود نعامنة. " التغير الاجتماعي وبناء الأسرة، دراسة اثنولوجية لبلدة الطرة" في مجلة شؤون اجتماعية عدد 104، (الشارقة: 2009) ص ص: 9-44.

في الزمان، معتمدين في ذلك على المعطيات الوصفية، واستعانت بأدوات بحثية كالملاحظة والمقابلة الشخصية، وعلى إثر هذه الخطوات توصل الباحثان إلى النتائج التالية:

- أن الأسرة كعنصر أو كسمة يتكون منها مجتمع البلدة، قد تعرضت إلى تغيرات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية اتسمت بتغيرات ديناميكية سريعة بفعل عوامل كثرة؛ منها التقدم التكنولوجي، دور الإعلام والاتصال ...

- تقصير أو عجز أحد الأبنية عن القيام بوظائفه وبدوره ينتج عنه إختلال توازن البناء الاجتماعي وبالتالي يؤدي إلى تغيير كلي لنظم الأنساق الاجتماعية ووظائفها في البناء الاجتماعي لهذا فإن التغير الذي طرأ على البناء الأسري في بلدة الطرة انعكس بدوره على النظام السلطوي للعشيرة وأضعف دور السلطة الأبوية داخل الأسرة وطور مفهوم العلاقات القرابية الذي حد من نطاق التعاون، ووسع أفق التنافس بين أفراد المجتمع، ويعتبر هذا نتيجة تلقائية وطبيعية نتج عن قصور في وظائف الأسرة والاختلال في النظم التي قامت عليها من جراء تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

أوجه الشبه بين الدراستين (دراسة الباحثين، ودراستنا نحن)

إن دراسة الباحثين التي قاما بها في بلدة الطرة الأدرنية هي دراسة علمية جادة ترمي إلى الكشف عن التغيرات الحاصلة على مستوى البناء الأسري، في الجانب الوظيفي والقيمي.

- الوحدة الأساسية في الدراستين هي البناء العائلي والكشف عن التغيرات الحاصلة فيه.
- الدراستين تناولتا جوانب متعددة كتغير نطاق العائلة وبعض من الوظائف والأدوار... ولم تقتصرا على جزئية دون أخرى.

أوجه الاختلاف: أو أوجه النقص التي لابد أن نحذر منها في دراستنا

- إن الانتقاد الموجه لهذه الدراسة، هو المنهج المقارن الذي استخدمته، وعدم وضوح كيفية توظيفه، وذلك أن طبيعة الدراسة هي وصفية تحليلية لتغير البناء الأسري في بلدة الطرة

الأردنية، حيث لم نلاحظ وجود وحدتي دراسة خضعتا للمقارنة، بالإضافة أن الباحثان لم يضعوا الأسرة موضع مقارنة بين الماضي والحاضر، بل اعتمدا على توصيف ونقل صورة التغير كنتيجة حتمية للتطور المتسارع ودور الإعلام والاتصال، ومع ذلك أكد على استخدامها المنهج المقارن.

- النقطة الثانية هي الاختلاف الموجود في الطبيعة الاجتماعية للمجتمعين الأردني والجزائري فرغم أنهما يشتركان في اللغة والدين وبعض السمات الثقافية، إلا أن هناك اختلاف في نظام اجتماعي معين، لا بد وأن نوضحه كنقطة جوهرية في الدراستين؛ وهو نظام العشائر الموجود في الأردن، فالريف في هذه المنطقة يكون خاضع لسلطة العشيرة التي تضع مجموعة من الأشخاص البارزين في الريف لتنفيذ الأحكام العرفية، تحت سلطة شخص يسمى بالمختار وهذا النظام غير موجود في الريف الجزائري، وهي مسألة معروفة أن الريف الجزائري ورغم أنه يخضع لحكم العادات والتقاليد إلا أنه لا يوجد شخص بعينه يتولى هذا الأمر، لذا فنجد أن الدراسة الأردنية أشارت إلى تغير نظام العشائر، وهذه النقطة التي لا تعيننا في دراستنا الخاصة بالمجتمع الجزائري.

وكحوصلة لما سبق نؤكد أن أهمية الاستفادة من الدراسات السابقة، غير أننا لا بد وأن نراعي بعض السمات الثقافية التي تخص مجتمعنا بعينه، فنحن لا نستطيع تعميم نتائج دراسة ما على كافة المجتمعات، حتى ولو اشتركت في الدين واللغة وبعض السمات الثقافية.

الدراسة الثالثة¹

هذه الدراسة هي مذكرة ماجيستر جزائرية للباحثة راضية لبرش وهي بعنوان "نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت والمتغير" وقدمت هذه الدراسة عام 2002.

الدراسة بقسميها النظري والميداني هدفت إلى إلقاء الضوء على نظام الزواج والتغيرات القيمية التي صاحبها إثر التطورات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية التي شهدتها البلاد مركزة على أجزاء معينة كتغير الزواج المدبر أو المرتب.

ولإعطاء الصبغة العلمية والدقيقة لهاته الدراسة نجد أن الباحثة اعتمدت على جملة من الفرضيات أساسها هو الانطلاق كون نظام الزواج في الريف الجزائري يشهد تغيرات عميقة أساسها خروج الزواج من دائرة القرابة عند الريفيين.

وللتحقق من فرضيات الدراسة قامت الباحثة باختيار لإحدى المناطق الريفية التابعة لولاية قسنطينة، وهي مزرعة **حجاج بشير** التي تحتوي 351 نسمة يشغلون مساحة قدرها 90 كلم²؛ وتم اختيار الباحثة لهذه العينة على أساس اعتبارات موضوعية كتجانس أهلها في الطباع والخصائص الريفية، قدم المزرعة التي كانت منذ العهد الاستعماري، بالإضافة إلى عوامل أخرى نوهت الباحثة بموضوعيتها.

استغرقت الدراسة الميدانية حوالي شهر استعانت فيها الباحثة بعدة مناهج علمية بالإضافة إلى الأساليب والأدوات البحثية التي اختارتها لإفادتها في موضوع بحثها، فنجدتها اعتمدت على المنهج الوصفي والمسح الاجتماعي كونه منهج وأداة ودعمتهم باستمارة عمل ميداني شملت 37 سؤالاً وطبقتها على 57 مفردة بحث.

¹ أخذت هذه الدراسة من: راضية لبرش. المرجع السابق، من ص إلى ص: 1-177.

اعتمدت أيضا على الملاحظة المنظمة من خلال وقوفها على التغيرات التي بدأت تظهر على أهل الريف، بالإضافة إلى استعانتها بالوثائق والسجلات.

مما سبق توصلت الباحثة إلى نتائج نهائية لإثبات الفرضيات الأساسية والتأكيد عليها حيث خلصت إلى أن الزواج المبكر عند أهل الريف لم يعد يلقي الاهتمام والتشجيع عليه بالإضافة إلى انتقال الاختيار للزواج من اختيار تقليدي عن طريق الوالدين أو أحد الأقارب إلى اختيار حر يقوم به المعني بأمر مباشر، وبعدها كان يرتب لهذا النظام داخل الجماعة الأسرية التقليدية أصبح يقوم به الفرد بمفرده، وما على الجماعة الأسرية إلا تكميل باقي الإجراءات الروتينية كصفة الإشهار والإعلان لا أكثر.

إن دراسة الباحثة **راضية لبرش** تناولت تغيير نظام الزواج في الريف الجزائري وأرادت الوقوف على أهم المؤشرات التي نستطيع من خلالها التأكيد على صحة فرضياتها؛ ويمكن القول أنها وفقت إلى حد كبير في إثبات فرضياتها ذلك أنها اختارت مجتمعا بحثيا يتوافق مع متطلبات الدراسة من خلال اختيارها لمزرعة **حجاج بشير** والتي تمثل القديم والحديث في نفس الوقت، فمن خصائص هذا المجتمع أكدت الباحثة على عدم عزله عن المدينة والتحضر، وذلك من خلال استخدامها لأداة الملاحظة مؤكدة ذلك في قولها: "أنها لاحظت وجود المدينة في بيوت ذلك الريف".

نحن بإشارتنا لهذه النقطة بالذات أردنا لفت الانتباه إلى الفرق بين دراسة الباحثة **راضية لبرش** والدراسة المصرية التي تناولناها قبل هذه، حيث أن الأخيرة أخفقت في إحداث التوازن بين الموضوع وهو **تغيير ملامح الأسرة الريفية** وبين العينة التي اختارتها فوقعت بذلك في أحكام مبالغ فيها وربما تكون بعيدة عن المنطق - وهذا حسب قراءتي للدراسة - بينما نجد أن الباحثة **راضية لبرش** قد وفقت في هذه النقطة إلى حد معينونستطيع استخلاص **أوجه شبه** أو قاعدة مشتركة بين دراستها والعمل الذي هو بين يدي " تغيير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري"

- أنه من خلال تناولنا لعنصر القيم وتغيرها في البناء العائلي ركزت على نظام الزواج وتغير القيم المحيطة به باعتباره قيمة مقدسة في المجتمع الريفي، لا تتغير كمبدأ ثابت غير أن تفاصيله تعرضت للتغير، من توجه الزواج خارج النسق القرابي بالإضافة إلى إعطاء مساحات أكبر للاختيار...

ودراسة الباحثة راضية لبرش تعد أرضية علمية ونتائجها تساعدني في تدعيم فرضيات دراستي في الجزء الخاص بعنصر القيم.

أوجه الاختلاف:

تناولت الباحثة نظام الزواج في الريف بين الثابت والمتغير وهو دراسة جزئية للبناء العائلي، أما العمل الذي نقوم به هو التغير العائلي كبناء اجتماعي شامل لعدة أدوار ووظائف ويكون نظام الزواج جزء من نسقه القيمي.

والنتيجة التي نستطيع التوصل إليها هي أن دراسة راضية لبرش هي من الدراسات التي يستفاد منها في مجال علم الاجتماع الريفي - خاصة مع ندرة الدراسات الجزائرية -.

واستفدت من هذه الدراسة فيما يخص نظام الزواج، غير أن الذي يؤخذ عليها هو تناولها لجزء واحد من نظام اجتماعي متنوع بقيمه ومبادئه ووظائفه.

وربما سنشير إلى أن بحثنا الذي بين أيدينا وهو "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" هو أشمل لأننا تناولنا عدة جوانب في الأسرة وتغيرها، وهذا ليس تركية للعمل بل لتوضيح الجوانب الايجابية للاستفادة منها وجوانب النقص لعدم الوقوع فيها.

الفصل الأول

المعالجة النظرية

- تمهيد

- أولاً: النماذج النظرية التي تفسر المجتمع الريفي

1- نظرية عبد الرحمن ابن خلدون

2- نظرية المحك الواحد

3- نظرية المحكات المتعددة

4- نظرية الثنائيات الاجتماعية

5- نظرية المتصل الريفي-الحضري

- ثانياً: النماذج النظرية التي تعالج وتفسر البناء العائلي

1-النظرية التطورية

2-النظرية البنائية الوظيفية

3-النظرية التفاعلية الرمزية

4-النظرية التنموية

5-النظرية التبادلية.

-خلاصة.

تمهيد:

إن المتفحص في علم الاجتماع، يجده من بين أكثر العلوم ثراء نظريا، وهذا ما يعكس الجهود العلمية الجادة التي قام بها العلماء في محاولتهم لفهم وتفسير الواقع الاجتماعي حيث صاحب هذا التراث السوسيولوجي تنوع الميادين والمجالات التي درسها هذا العلم فهو جمع بين السياسة والاقتصاد، والقانون والدين والحضر والريف... إلى غير ذلك من المجالات.

وما يهمننا في دراستنا هاته والمعنونة "بتغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" هو التراث النظري في مجال الريف والعائلة.

حيث سنحاول التعرض لأهم النظريات التي تناولت الريف، والبناء العائلي بالدراسة والتحليل السوسيولوجي.

والملاحظ أن بعض النظريات، كانت لها القدرة على التفسير الواقعي والعميق لطبيعة الوحدات الدراسية، ونظريات أخرى تناولتها بخلفيات فكرية وظروف مجتمعية أثرت على الدقة والتحليل المنطقي، مما جعلها قاصرة بعض الشيء في إقامة قوانين علمية أو تفسيرات تصلح لمختلف المجتمعات، وهي القضايا التي سنتعرض لها في هذا الفصل.

أولا : النماذج النظرية التي تفسر المجتمع الريفي:

يشكل المجتمع الريفي ميدان غني، قياسا بما تناوله علماء الاجتماع بالدراسة والتحليل وقد بذلوا جهودا أثمرت في تحديد خصائص الظواهر التي تنتشر به في مقابل المجتمع الحضري ونجد قبل هذا أن الفلاسفة وعلماء الجغرافيا، والعمران...، قد أشاروا إلى وجود فوارق واضحة بين مجتمع الريف ومجتمع المدينة، حيث أن هناك من ركز على الفروق البيئية أو الفروق العمرانية، أو الفروق المهنية دون ذكر فروق أخرى.

ورغم أهمية هذه الدراسات؛ إلا أنها كانت تعاني من بعض القصور وهذا لعدم المقدرة على إقامة نظريات تعتبر بمثابة أحكام علمية دقيقة وشاملة تصلح لاعتبارها نظرية علمية تعتمد في جميع الظروف.

فكانت كل دراسة أو محاولة نظرية منها متعلقة بظروف مجتمع معين في زمن دون الآخر، إلى أن اتخذ علم الاجتماع شخصيته العلمية وأصبح علما مستقلا بذاته، حيث قام العلماء بدراسات سوسيوريفية مكثفة لوضع أحكام علمية دقيقة وبناءة دائمة الصلاحية في كل مجتمع وفي كل زمن.

والواقع أن هناك من أصاب وبحث بعمق وهناك من وقع تحت تأثير ظروف مجتمعه، فكانت نظريته خاصة ولا يمكن تعميم كل جوانبها.

ونحن في هذا الجزء الأول من الفصل سنتناول النظريات التالية بالدراسة والتحليل محاولين التقريب بين تفسيرها للمجتمع الريفي وواقعها في المجتمع الجزائري-محل الدراسة- وهذه النظريات هي:

نظرية ابن خلدون، نظرية المحك الواحد، نظرية المحكات المتعددة، نظرية الثنائيات الاجتماعية ونظرية المتصل الريفي الحضري.

1- نظرية عبد الرحمن ابن خلدون:

إن العلامة ابن خلدون من أوائل السباقين لوضع أسس علمية دقيقة في دراسة المجتمع الريفي، ويعزى إليه الفضل في وضع اللبنة الأولى في هذا المجال، فلقد أسس دراسته على أساس مقارن يهدف إلى الإشارة للتكامل بين المجتمع الريفي والذي يطلق عليه مصطلح "المجتمع البدوي" وبين المجتمع الحضري.

ونجد أنه أشار إلى الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والنفسية ... التي تميز المجتمع الريفي عن بقية المجتمعات، من ممارسة زراعية وفلاحية وما يرتبط بها من علاقات القرابة والدم...إلخ.

وتعد نظريته من أهم النظريات التي نستطيع الاعتماد عليها في دراسة أي مجتمع على مختلف العصور حيث "أنه نجح في أن يمزج القديم مع الجديد والخاص مع العام، والثابت معه المتغير، فجمع بين العالمية والإنسانية والانتماء إلى الحضارة الإسلامية ... في بوتقة واحدة"¹.

وفي كتاب **المقدمة** "أشار العلامة ابن خلدون إلى مجتمع البدو قاصدا به مجتمع الريف، وإلى مجتمع الحضر قاصدا به مجتمع المدينة."² وعقد مقارنة علمية بينهما، هدفت إلى إبراز التكامل بين هذين المجتمعين، وليس لتحديد وإبراز التناقض بينهما.

ومن هذا المنطلق نجده قد اعتمد على عدة خصائص وعوامل كثيرة تضيف صبغة الدقة والشمولية في هذه النظرية، وأهم ما تكلم عنه العلامة ابن خلدون طبيعة المهنة في المجتمعين فأكد على أن سكان الريف "منهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر، والمعز والنحل، لنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البدو لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع [...] والمسارح والحيوان وغير ذلك"³.

مما سبق نجده قد اعتمد في وصفه للمجتمع الريفي على الأساس المهني، والذي يتمثل في النشاط الزراعي والفلاحي ورواجه في هذا النوع من المجتمعات، وذلك لما تقتضيه الضرورة الطبيعية واتساع الأراضي وخصوبتها، فكلما كانت هذه المناطق تحتوي أراضي ذات بيئة مفتوحة وخصوبة تساعد على الزراعة، اتجه هذا المجتمع نحو التريف وإلى حياة البداوة، والتي من أهم شروطها -حسب ابن خلدون- اتساع الأراضي وصلاحيتها للأنشطة السابقة الذكر، ولقد أضاف في نظريته أن "اختصاص هؤلاء بالبداوة أمر ضروري لهم وكان

¹ عبد الحليم عويس. "ابن خلدون وتطور الفكر الإسلامي" في مجلة الإحياء، عدد 11 (جامعة باتنة، 2007) ص59.

² محمود الأشرم. محاضرات في المجتمع الريفي، (سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1976) ص35.

³ عبد الرحمن بن خلدون . المرجع السابق، ص134.

حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت [...] والدفاع، إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة"¹.

لقد اعتمدت نظرية ابن خلدون في تفسيرها للمجتمع الريفي على البساطة في وصف هذا المجتمع الذي يلتقي أفراده من خلال الرعي والزراعة وتربية الحيوانات ليتعاونوا ويؤسسوا لحياة تكون صورة البساطة فيها أكثر ما يميزها وتعيش وفق حاجاتها الضرورية فقط، سواء في العمران أو القوت أو الدفء.

والمجتمع الريفي إذا - حسب دراسة ابن خلدون - لا يميل إلى الترف في حياته ولا يهدف إلى اقتناء الكماليات والمبالغة فيها، بل هو مجتمع يعتمد على البساطة في نمط حياته والنشاط الأساسي فيه هو الزراعة وما يصاحبها من مهن متقاربة في الممارسة والأدوات.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن ابن خلدون أكد على أن البدو هم أصل للمدن وأسبق منها وذلك لأن "أول مطالب الإنسان الضروري، ولا ينتهي إلى الكمالي والترف إلا إذا كان الضروري حاصلًا، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة [...] وجود البدو متقدم على وجود المدن والأمصار وأصل لها، بما أن وجود المدن والأمصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية"².

ومن بين مميزات أهل الريف التي أشار إليها ابن خلدون، اتصافهم بالقرب إلى الخير أكثر من المجتمع الحضري، مرتكزا في ذلك على ارتباطهم بالفطرة الإنسانية والتي يعبر عنها بالطبيعة المفتوحة التي تحيط بأهل الريف من كل جانب؛ حيث أكد في كتاب المقدمة على ذلك في قوله "أن أهل البداوة وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم [يعني سكان الحضر] إلا أنه في المقدار الضروري، لا في الترف، ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها [...] وهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها"³.

بالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه، نجد أن ابن خلدون أكد على أن الإنسان في الريف يكون أكثر شجاعة وإقداما على الإنسان في المناطق الحضرية، حيث أن طابع الحياة

¹ عبد الرحمن بن خلدون . المرجع السابق، ص134.

² المرجع نفسه، ص136.

³ المرجع نفسه، ص137.

الصعب يفرض السلوكيات المتعلقة بفنون الشجاعة والدفاع عن النفس وذلك لضمان الاستمرارية والبقاء على قيد الحياة. أما سكان الحضر فقد تعودوا حياة الترف والراحة وتفويض أمر الحماية لمؤسسات الدولة.

من جهة أخرى تطرق ابن خلدون إلى مسألة العلاقات الإنسانية ومساهمتها في تحديد طبيعة المجتمع ولقد أشار فيما يخص نسق العلاقات الاجتماعية في المجتمع الريفي إلى أهمية النسب والذود عنه في هذا المجتمع، فنجده أكد على أن "صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النُصرة على ذوي القربى والأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداة عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله في المعاطب والمهالك"¹.

في ظل هذه الرؤية، نجد أن العلاقات القرابية في المجتمع الريفي، من بين أكثر الخصائص البارزة التي تميز هذا المجتمع؛ حيث أن أغلب سكانه يعودون لنسب واحد أو أنساب متقاربة يزودون عن بعضهم، ويكون شكل التعاون بينهم تعاون تلقائي غير رسمي.

هذا على خلاف المجتمع الحضري، الذي يتميز بالعلاقات الرسمية بين الأفراد المعتمدة على تبادل المنافع والمصالح الشخصية.

من خلال الأفكار السابقة، نلاحظ أن العلامة ابن خلدون في معالجته لطبيعة المجتمع الريفي، وضع عدة أسس اعتبرت بمثابة القاعدة العلمية والمنطلق الفكري الذي يستفاد منه في مجالات علم الاجتماع الريفي والحضري معا.

حيث حفلت دراسته بتراث سوسيوريقي، يستطيع الباحث الاعتماد عليه في مجال بحثه فلقد ألم بجوانب كثيرة وشاملة يستفاد منها في أغلب الظروف.

ورغم أن المجال هنا لا يسمح بذكر جميع التفاصيل التي أتت بها نظريته؛ إلا أننا نستطيع أن نخلص إلى عدة نقاط وضعها قبل عدة قرون، ويستفاد منها في جميع النظريات الحديثة، وهذا ما سنلمسه في النظريات اللاحقة.

¹ عبد الرحمان بن خلدون . المرجع السابق، ص142.

وكخلاصة لما تقدم ذكره نستطيع وضع النقاط الأساسية لفكر ابن خلدون فيما يخص طبيعة المجتمع الريفي فيما يلي:

- 1- المجتمع الريفي أسبق وجودا من الحضر.
- 2- المجتمع الريفي يعتمد على الطبيعة في بنائه ويميل إلى الفطرة.
- 2- أهم المهن في الحياة الريفية هي الزراعة والفلاحة وما يصاحبها من مهن وحرف مترابطة.
- 3- يبتعد سكان الريف عن الحياة المترفة ويهتمون بالابتعاد عن اقتناء الكماليات.
- 4- إن الإنسان الريفي يتميز بقيم الحياء والاحترام والشجاعة.
- 5- أهم قيمة في حياة أهل الريف هي اتصافهم بالخير وابتعادهم عن الشر.
- 6- يتميز المجتمع الريفي بالعصبية والذود عن النسب واللحمة فيما بينهم.

في الأخير نؤكد أن نظرية ابن خلدون قد ألفت بجوانب مختلفة، تعد بمثابة أرضية علمية للبحث في المجال السوسيوريقي، وفي هذه الدراسة تناولنا نظرية ابن خلدون كبداية لتحليل النظريات المفسرة للمجتمع الريفي؛ لأنها كانت أول دراسة علمية جادة ودقيقة وتصلح لمختلف المجتمعات، خاصة تلك التي عاش في أطرافها وقتا ليس بقليل من الزمن "حيث عاش في المنطقة المغربية أكثر من نصف قرن"¹.

لذا فإن هذه النظرية ستكون من أقرب النظريات التي تفسر وتحلل المجتمع الريفي الجزائري - وهذا كما ذكرنا سابقا - لأنها نظرية تجمع بين الخاص والعام بالإضافة إلى الأسباب التي تم ذكرها.

¹ عبد الحليم عويس. المرجع السابق، ص40.

2- نظرية المحك الواحد:

بعد التعرض لنظرية ابن خلدون في المجال الريفي، لابد من وضع نظريات لعلماء آخرين قاموا بجهود واضحة في وضع معالم المجتمع الريفي، والقيام عليه بالدراسة والتحليل السوسيولوجي في مقابل المجتمع الحضري، وذلك ليس كونهما مجتمعين متناقضين بل باعتبارهما مجتمعين متكاملين يخدم أحدهما الآخر في ظل مجتمع أكبر وهو الدولة.

ومن بين الجهود العلمية التي قام بها رواد علم الاجتماع، تلك المبسورة في نظرية المحك الواحد. وتعتمد هذه الدراسات على محك واحد يستقي منه شكل المجتمع وتحديد طبيعته، ومن بين أهم المحكات الشائعة الاستخدام نجد محك "حجم المجتمع"¹.

وفي ظل هذه الرؤية نستطيع تحديد طبيعة المجتمع من خلال حجمه، فالمجتمع الذي تقل فيه الكثافة السكانية، هو مجتمع ريفي "وذلك لعدة أسباب منها هجرة أهل الريف إلى المدن وانخفاض المستوى المعيشي"².

غير أن الاعتماد على هذا المحك الوحيد في تمييز وتحديد طبيعة المجتمعات سيؤدي بنا حتماً إلى الوقوع في أخطاء علمية وهي عدم الدقة والكفاية وأيضاً عدم الشمولية "فالقرية [العربية] التي تصل إلى خمسة آلاف نسمة تختلف بالتأكيد عن نظيرتها الأوربية والأمريكية"³ فحجم المجتمع لا يعبر بالضرورة عن طبيعته، إلا إذا قترن بعوامل ومحكات أخرى تدعم هذا الرأي العلمي.

من جهة أخرى نجد أن "ستيوارد قد اتخذ المهنة بوصفها أساساً وحيداً للتمييز بين الريف والحضر"⁴. ويعد هذا المحك من الأسس المهمة في تحديد طبيعة المجتمع، ولقد أثبتت

¹ عدلي علي أبو طاحون. علم الاجتماع الريفي، (مصر: مكتب الجامع الحديث، 1997) ص27.

² محمد عبد الهادي دكلة، قاسم محمد الفرخان. المجتمع الريفي، (العراق: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1979) ص81.

³ محمود عودة. دراسات في علم الاجتماع الريفي، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 1992) ص74.

⁴ عدلي علي أبو طاحون. المرجع السابق، ص26.

معظم الدراسات -كما أسلفنا الذكر - أن أهم نشاط يمارسه سكان الريف هو النشاط الزراعي وما يرتبط به من مهن متقاربة كالرعي وتربية الحيوانات والصناعات التقليدية ... في مقابل مجتمع المدينة الذي يتميز بتعدد المهن وتنوعها من أعمال تجارية وصناعة وخدماتية.

مما سبق ذكره أن نظرية المحك الواحد، دعت إلى استخدام بعد واحد في تفسير المجتمع الريفي في مقابل المجتمع الحضري، وذلك باختلاف الدراسات، حيث وجدنا أن من أهم المحكات الشائعة في الاستخدامات النظرية في المجال السوسيوريقي، محك حجم المجتمع، أو محك المهنة.

وتعتبر الإسهامات النظرية في هذا المجال هامة، إلا أننا لا نستطيع تعميم أحكامها باعتبارها دراسات جزئية لا تصلح لتطبيقها على سائر المجتمعات.

لهذا فلا نستطيع الأخذ بنظرية المحك الواحد دون العودة إلى الاختلافات الحضرية بين الدول ومراعاة التقدم التكنولوجي وما منحه للمدينة من تطور سابق لها على الريف.

بالإضافة إلى هذا لا يمكننا الاستغناء عن العوامل الاجتماعية والنفسية والسياسية والدينية التي تساعد في تحديد طبيعة المجتمع الريفي، وهذا ما أغفلته نظرية المحك الواحد وتناولته نظرية ابن خلدون -كما رأينا سابقاً-.

ولتجنب الوقوع في أخطاء التحيز لا بد لنا من التوصل إلى محكات متعددة ومجموعة لإضفاء الصفة العلمية الدقيقة في تحديد طبيعة المجتمع الريفي؛ وهذا ما سنتناوله في النظرية التالية.

3- نظرية المحكات المتعددة:

محاولة لتغطية أوجه النقص في نظرية المحك الواحد، بذل العلماء جهود كبيرة وواضحة لإثراء المجال السوسيوريفي، مبلورين أفكارهم ورؤياهم العلمية في نظرية تعتمد في طياتها على محكات متعددة لتحديد دقيق في وضع معالم المجتمع الريفي، وهذا في ظل مقابلته مع المجتمع الحضري، -كما ذكرنا سالفًا- ومن بين أهم الرواد في هذه النظرية **سوروكين وزيمرمان** حيث "توصلا إلى أن المهنة هي المقياس الأساسي للاختلاف بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري ويمكن من خلال هذا الاختلاف الجوهرى اكتشاف مجموعة من الاختلافات الأخرى"¹.

1- طبيعة المهنة:

نستطيع تحديد طبيعة المجتمع الريفي من خلال نوعية المهن التي يمارسها سكانه فهي تتمحور حول الزراعة وما يصاحبها من نشاطات حرفية وتقليدية بينما يمارس سكان الحضر الصناعة والحرف الآلية والتجارة والمبادلة والأعمال الحكومية والمهن التي لا تقوم أساسا على الطبيعة.

2- البيئة:

يتمتع الريف ببيئة طبيعية مفتوحة حيث تكون علاقة الناس في المجتمع الريفي بهذه البيئة الطبيعية علاقة مباشرة، من خلال الاستغلال المباشر لموارد الأرض والطبيعة، بينما يكون المجتمع الحضري في عزلة عن الطبيعة وتتغلب فيه البيئة التي أوجدها الإنسان من مصانع وافتقار للهواء النقي.

3- الكثافة السكانية:

¹ محمد عاطف غيث. علم الاجتماع الحضري مدخل نظري، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 1988) ص79.

يتميز المجتمع الريفي بكثافة سكانية قليلة مع وجود مزارع مفتوحة وأراضي زراعية شاسعة، بينما يتميز المجتمع الحضري بكثافة سكانية أكبر في نفس المساحة والزمان فإذا أردنا تحديد طبيعة المجتمعات على أساس الكثافة السكانية نجد أن الحضر أعظم كثافة من المجتمع الريفي.¹

4- تجانس السكان وتباينهم:

إن من بين أهم الخصائص التي نستطيع من خلالها تحديد طبيعة المجتمع الريفي صفة التجانس النفسي والاجتماعي والثقافي بين أفراد هذا المجتمع ويرجع هذا إلى تقارب الأنساب في الريف وتوحد العائلات حيث "تمتاز الأسرة الريفية بالتماسك، بعكس الأسرة الحضرية التي تبدو فيها مظاهر التفكك، ومن مظاهر التماسك في الأسرة الريفية بقاء نظام العائلة [الممتدة] في كثير من الأحيان وقلة الطلاق والانفصال ووحدة القيادة"² وبالإضافة إلى هذا نجد أن سكان الريف يشتركون في العادات والأفكار والمهن ومستوى الحياة واللغة والتقارب في المستوى العلمي ...

5- نسق التفاعل الاجتماعي:

المعروف عن كل المجتمعات، أنها محكومة بمجموعة من الضوابط والموجهات التي تؤثر في نمط الحياة، فنجد أن القيم في المجتمع الريفي تساعد و تؤثر في تشكل علاقات أولية يميزها الجانب العائلي وتتميز "بالبساطة والمودة والإخلاص ذلك لأن الإنسان في المجتمع المحلي الريفي يتفاعل من الزاوية الإنسانية أساساً"³.

أما بالنسبة للمجتمع الحضري "فيتميز بنوع من التعقيد والسطحية، والعلاقات فيه رسمية مقننة تخضع للقانون"⁴.

إن الإطار النظري الذي قدمه سوركين وزيمرمان هو إطار تصنيفي، وهو يساعد على تصنيف المجتمعات وفقاً لعدد من المميزات والخصائص، فالمجتمع الريفي مثلاً مجتمع

¹ عبد المجيد عبد الرحيم. المرجع السابق، ص: 27-28.

² غريب محمد سيد أحمد. علم الاجتماع الريفي، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 1982) ص 128.

³ محمد عاطف غيث. علم الاجتماع الحضري مدخل نظري، المرجع السابق، ص 82.

⁴ عبد المجيد عبد الرحيم. المرجع السابق، ص: 29-30.

متجانس وحجمه صغير ويعتمد على مهنة الزراعة، في حين أن المجتمع الحضري مجتمع غير متجانس وأكبر حجما وكثافة من المجتمع الريفي، ويتميز بتنوع المهن واختلافها...¹.

نجد من خلال ما سبق أن هذين العالمين بلورا نظريتهما بالاعتماد على عدة محكات تساعد على تحديد معالم المجتمع الريفي وهذا من خلال مقابله للمجتمع الحضري.

من جهة أخرى وبالإضافة إلى هذين العالمين نجد واحدا من بين أهم العلماء الذين تناولوا المجتمع الريفي بالدراسة والتحليل وهو واحد من أقطاب مدرسة شيكاغو الأمريكية في علم الاجتماع الريفي- الحضري. **ريدفيلد** حيث كرس حياته العلمية خارج النطاق الحضري، وأولى اهتمامه بالمجتمعات الريفية، معتمدا على مزيج من الحقل الأنثروبولوجي ومفاهيم ودراسات علم الاجتماع، وهو في الأساس كان مهتما بالدراسات الأنثروبولوجية، إلا أنه أشار إلى ضيق نطاقها واقتصرها على المجتمعات البدائية، مقررًا بذلك التحول نحو الدراسات الريفية².

"ولقد بلور **ريدفيلد** صياغته النظرية هذه على أساس دراساته [...] لأربعة مجتمعات محلية في مقاطعة يوكاتان بالمكسيك، وهي مجتمعات متدرجة تضم قرية صغيرة يسيطر عليها طابع الثقافة الشعبية غير العلمية ومجتمعا قرويا أكبر ثم مركزا حضريا صغيرا فمدينة ميردا"³. ونتيجة لدراساته خلص **ريدفيلد** إلى وجود مجتمع بسيط أطلق عليه تسمية المجتمع الشعبي، وهو يتميز بإتباع التقاليد والقيم والمعايير التي تؤثر على سلوك الناس في مقابل وجود المجتمع الحضري وهو المجتمع المعقد في التركيبات الاجتماعية.

بالإضافة إلى أن المجتمع الشعبي (الريفي) هو مجتمع يتميز بانتشار وسائل الضبط الغير رسمية كالعرف، والعادات... واعتماد سكان هذا المجتمع على التفسيرات الغيبية في مختلف مجالات الحياة⁴.

وترتبط حياة الإنسان في الريف، ارتباط مباشر بالأرض، ويفرض عليه هذا الارتباط شكلا معينًا للحياة مضمونه العلاقات الأولية والقربانية التي يتميز أهل القرية الواحدة

¹ محمود عودة. المرجع السابق، ص71.

² عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص: 41 63.

³ محمود عودة. المرجع السابق، ص72.

⁴ عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص42 .

بالإضافة إلى تعديها إلى القرى المجاورة. وأيضاً فإن نمط العلاقات الاجتماعية الموجودة في المجتمعات الريفية، يلعب دوراً مهماً في ترسيخ القيم المتعارف عليها والمقبولة لدى الجماعة الريفية.

ونستطيع تلخيص الإطار النظري لريدفيلد في هذا الاتجاه من خلال مايلي¹:

- 1- أهمية البناء العائلي في المجتمع الريفي من خلال دوره الفعال في تمكين الأفراد من تمثّل مختلف المفاهيم والقيم والمعايير والمواقف والاتجاهات التي ترسخ من خلال قنوات التنشئة الاجتماعية.
 - 2- يتميز النظام الاقتصادي في المجتمع الريفي بالاكتماء النسبي، حيث يعمل أهله بالزراعة كنشاط أساسي مما يحقق لهم الأمن الغذائي، وكذلك يعتبر الريف كمورد أساسي للمدينة ويلعب دوراً فعالاً في الاقتصاد الوطني.
 - 3- يرتبط أهل الريف بعلاقات متقاربة أساسها العلاقات القرابية، بينما مجتمع المدينة يخضع للعلاقات الثانوية في الحياة الاجتماعية وارتباطها بالأشكال الرسمية للحياة.
 - 4- للأعيان والوجهاء دور بارز في تنظيم الحياة الريفية من خلال تمثّل القوانين العرفية واتخاذ مسؤولية تطبيقها، والعمل كسلطة قضائية غير رسمية في المجتمع الريفي.
 - 5- الثقافة الريفية تعد جزءاً من ثقافة كلية حيث أن "المجتمع في اعتقاده يتجه من ثقافة صغيرة بسيطة دعاها الشعبية إلى ثقافة عامة ومتطورة ومعقدة أكثر اتساعاً وتنوعاً وهي في المدينة"².
- ويشير ريدفيلد إلى الريف بأنه "يتميز بالصغر والعزلة والتجانس والامية ويربط بين أفرادهم إحساس قوي بالتضامن، والسلوك فيه تقليدي [...] وفي هذا المجتمع يطغى كل ما هو مقدس على كل ما هو علماني..."³ على عكس المجتمع الحضري الذي تطغى فيه العلمانية وفصل الدين عن مجريات الحياة.

¹ المرجع نفسه، ص: 64 65.

² عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص: 66.

³ عدلي علي أبو طاحون. المرجع السابق، ص: 31.

إن معالجة ريدفيلد للفروق التي تحدد طبيعة المجتمع، تعتبر من الدراسات المهمة في هذا المجال، ورغم أهميتها وتعدد المحكات التي استخدمها، إلا أن نظريته تعاني من بعض أوجه الضعف وذلك لأن ريدفيلد يفترض "أن المجتمع القروي يتميز بدرجة عالية من التجانس والاستقرار بينما يتميز المجتمع الحضري بمعدل مرتفع من عدم التجانس وعدم الاستقرار، ومع أن هذا الافتراض يصف الحالة الشائعة نظريا على الأقل، فإن المجتمع القروي قد يمر بفترات من التوتر الشديد وعدم الاستقرار"¹

بالإضافة إلى هذا وقع ريدفيلد تحت أحكام التحيز، وهذا في الجزء المتعلق بالمقدس والعلمانية وارتباط كل متغير بالريف والمدينة على التوالي، وهذه النتيجة لا تعمم على كافة المجتمعات، خاصة المجتمع الجزائري - محل الدراسة - فرغم الفروق الموجودة بين الريف والمدينة، فهي ليست إلى حد التخلي عن المقدس في مجريات الحياة الحضرية، والدليل على ذلك الأحكام القانونية والسياسية الموضوعة في الدستور الوطني، هي مستمدة في الأصل من أحكام الشريعة الإسلامية، ونجد أن المدينة تعمل في مختلف أنظمتها من خلال الارتباط المقدس شأنها شأن الريف مع اختلاف في أشكال التعامل به.

¹ محمود عودة. المرجع السابق، ص76.

4- الثنائيات الاجتماعية:

إن المجتمع الريفي من الميادين التي تناولها علماء الاجتماع بالدراسة والتحليل لأجل الوصول إلى تعميمات علمية تليق بالدراسات السوسيوريفية، وعدم الوقوع في الآراء المتحيزة الخاصة بمجتمع دون آخر، فمنهم من أصاب ومنهم من وقع في التحيز أو عدم الشمولية في العلم، وهذا قد يكون نتيجة للتأثر بظروف مجتمع دون آخر.

فبعد تطرقنا إلى نظرية ابن خلدون والمحك الواحد، والمتعدد المحكات، يليق بنا التطرق إلى نظرية الثنائيات الاجتماعية بمختلف روادها، وهذا لمزيد من التعمق في التراث السوسيولوجي في هذا المجال.

4-1- هربرت سبنسر (المجتمع البسيط، المجتمع المعقد)

لقد أقر سبنسر بضرورة إجراء المقارنات اللازمة بين المجتمعات للكشف عن حقائق التطور وهذا لا يتحقق إلا بإجراء الدراسات الإمبريقية التي من خلالها يمكننا إطلاق أحكام علمية موثقة مع ضرورة مراعاة الاختلافات والتنوع في النظم الاجتماعية المتعددة، وما يربط بينها من علاقات تختلف من مجتمع لآخر "وفي ضوء هذا التصور أو الرؤية شاد نموذجه الذي يرى فيه أن المجتمعات الإنسانية ليست على مستوى واحد في مسيرة التطور والتقدم، وذلك بسبب أن المجتمعات تتجه في حياتها من البساطة إلى التعقيد جراء عوامل ومتغيرات عديدة ومتعددة، واتجاهات مختلفة"¹ فالمجتمع ذو الطابع التقليدي الذي يتميز بأوجه البساطة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية هو المجتمع الريفي في حين نجد أن مجتمع

¹ عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص22.

المدينة تميزه حياة الحداثة والتطور المتسارع في مختلف أوجه الحياة، ويظهر هذا في تنوع المهن والترف واستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة¹.

في ظل هذه الرؤية نجد أن هريبرت سبنسر اعتمد في تحليله على ثنائية؛ البساطة والتعقيد وما يصحب ذلك من مميزات في البناء والوظيفة لكل من المجتمعين، فالمجتمع الريفي حسب هريبرت سبنسر، هو مجتمع بسيط يقوم على الزراعة وعدم التعقيد في تكويناته الأساسية بالإضافة إلى تأكيده على خاصية التعاون التلقائي بين الأفراد في هذا المجتمع وخضوعهم لقوانين ضبط اجتماعية تمثل قوة ملزمة للأفراد بضرورة الانضباط لهذه المنظومة القانونية الغير رسمية، وتمثل قوانين الضبط الاجتماعي* نتاج اجتماعي لما تتفق عليه الجماعة في الريف وتلزم الأفراد بالعمل بها داخل وخارج البناء الريفي.

من جهة أخرى نجد أن هريبرت سبنسر في ضوء ثنائيته الاجتماعية، اعتبر أن المجتمع الحضري هو مجتمع يتميز بصفة التعقيد في البناء والأدوار، وهذا ما يتضح من خلال تعدد المهن وتنوعها من تجارة وصناعة وعمل في البنوك وأعمال حكومية....، وتعد في العلاقات الاجتماعية واتصافها بالطابع الرسمي القانوني.

وأضاف هريبرت سبنسر أن المجتمع الحضري يتميز بتعدد وسائل الضبط القانونية التي تمارسها مؤسسات الدولة وتتخذ مسؤولية إلزام الأفراد بإتباعها، وبالرغم من تعقد الأنظمة في الحياة الحضرية، إلا أنها تعمل على تقوية عوامل الانسجام والتخفيف من حدة التباين بفضل محاولات خلق آليات جديدة تتماشى مع سرعة التغير والتطور².

مما سبق نجد أن هريبرت سبنسر قد توصل إلى خلاصة نظرية هامة في المجال سوسيوريفي حيث وضع ثنائية اجتماعية نستطيع الاعتماد عليها في تفسير طبيعة المجتمعات. غير أن العلامة ابن خلدون كان سابقا إلى وضع الفروقات التي تحدد كل من طبيعة المجتمع الريفي والحضري وهذا من خلال ما تطرقنا إليه سابقا.

4-2- تونيز و تشارلزكولي: (العلاقات العائلية، العلاقات الرسمية)

¹ Placide Rambaud. Société rural et urbanisation, (Paris :1974) p10.

* وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريقها قيود منظمة ومنسقة نسبيا على السلوك الفردي بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية في أداء الجماعة أو المجتمع لوظيفتها على نحو مستقر، أنظر، فاروق مداس المرجع السابق، ص153.

² عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص ص: 22 23.

من بين أهم الثنائيات الاجتماعية المعروفة، تلك المتمثلة في وصف العلاقات واختلاف نوعيتها حسب المجتمع؛ حيث "قدم العالم **فاردinando تونيز** الاصطلاحين المعروفين **جمائيشافت** أي المجتمع ذو الطابع العائلي والثاني المجتمع ذو الطابع الرسمي أو العقدي **جيز لشافت**"¹ حيث تمثل العائلة في الريف المؤسسة الرئيسية المسؤولة على نقل وتوريث القيم للأبناء عن طريق قنوات التنشئة الاجتماعية بالتركيز على "الوحدة والوفاء والانتماء والتعاقد في ظل علاقات تعاطف ونبذ الأنانية"².

ومن بين القيم التي تقوم العائلة بتوريثها للأبناء في الريف هي ضرورة احترام كبار السن على اعتبار خبرتهم في الحياة الاجتماعية، وتعد المكانة التي يحضون بها في هذا المجتمع مكانة مرموقة وذلك بفعل الاحترام والاعتماد عليهم كمرجعية ضبطية غير رسمية تمثل الفئة المسؤولة على وضع الآداب العامة والقواعد الضبطية المستخلصة من طبيعة المجتمع، وبالإضافة إلى مسؤولية هذه الفئة في وضع الأحكام، نجد أنها تتبنى مسؤولية إلزام الأفراد العمل بها.

من جهة أخرى نطاق العائلة الريفية ومن خلال العلاقات الاجتماعية القرابية تتميز بكبر الحجم، حيث نجدها "من النوع الممتد، ويكون اختيار شريك الحياة عن طريق أهل الشريكين"³

في ظل هذه الرؤية نجد بأن العائلة في الريف تمثل أهم وحدة اجتماعية تعمل على كثرة الإنجاب واشتراك أطراف متعددة في عملية التنشئة الاجتماعية وتوريث القيم، كالجدة والجد والأعمام والأخوال وهذا يكون بفعل الاشتراك في وحدة سكنية تجمع بين عدة أسر، وقد يكون تأثير العائلة إلى حد اختيار شريك الحياة مسؤولية الأهل - وهذا كما ذكرنا سابقاً -.

من جهة أخرى وفي الطرف الثاني لثنائية تونيز، نجده تطرق إلى نوعية أخرى من العلاقات تضيف طابع الرسمية بين الفاعلين في هذا المجتمع، ونقصد المجتمع الحضري الذي يتميز بنسق علاقات رسمية أساسها تبادل المنافع والعلاقات الشخصية، حيث طغت في هذا المجتمع روح الفردية والبحث عن المصالح الذاتية.

¹ محمود الأشرم. المرجع السابق، ص35.

² عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص30.

³ معن خليل العمر. ثنائيات علم الاجتماع، (الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2001) ص148.

والمجتمع الحضري جيز لشافت هو المجتمع ذو الطابع العلائقي الرسمي الذي يميل الأفراد فيه إلى استعمال العقل والتفكير الجاد أكثر من الارتكاز على العواطف وذلك عائد إلى طبيعة تعقد التنظيمات الاقتصادية والسياسية وتنوع المهن واختلاف الخصائص الاجتماعية والنفسية للسكان وتميزهم في السمات العقلية والذهنية وتفاوت الكفاءات والمقدرة...¹.

إعتمدت الثنائية الاجتماعية لدى تونيز على شكل العلاقات وتميزها بين المجتمعين فأساسها في المجتمع الريفي أنها تأخذ شكل العائلة، الجيرة، القرابة ... إلى غير ذلك من أشكال العلاقات الأولية المعتمدة على التضامن والحب والطابع الغير رسمي، وتمثل العائلة -كما قلنا سابقا- أهم وحدة اجتماعية في الريف وهي تختلف في نطاقها ووظائفها على الأسرة في المجتمع الحضري المتميز بالطابع الرسمي المقنن في العلاقات بين الأفراد.

إلى جانب تونيز؛ نجد الثنائية الاجتماعية التي بلورها تشارلزكولي، -في إطار نوعية العلاقات- وتمثل "الجماعة الأولية التي تتصف بسيادة علاقة الوجه بالوجه مقابل الجماعة الثانوية التي تتميز بالعلاقات الرسمية"²، مؤكدا على أن المجتمع الريفي يتميز بطبيعة العلاقات الأولية المبنية على القرابة والاشتراك في مختلف مناشط الحياة، في حين أن المجتمع الحضري يتميز بالعلاقات الثانوية وهي المبنية على المصالح الشخصية وبتبادل المنافع.

مما سبق نجد أن تونيز تشارلزكولي كانت لهم رؤية واحدة استندت إليها في تحديد طبيعة المجتمع ووصفه، وهذه الرؤية إعتمدت على نوعية العلاقات الموجودة في المجتمعين.

4-3- دور كايم (تضامن آلي، تضامن عضوي)

من بين الثنائيات الاجتماعية المشهورة، ثنائية دور كايم التي قام من خلالها بتحديد طبيعة المجتمعات، حيث بذل جهود علمية واضحة في هذا المجال من أجل المساهمة في سد الفراغات ووضع قوانين علمية تعطي لعلم الاجتماع صفة الدقة والشمولية وتعتمد رؤيته على أن "المجتمع الريفي أو الجماعة المشابهة له تتسم بعلاقة تماسك ميكانيكية، حيث يتعامل أفراد

¹ عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص30.

² علي فؤاد أحمد. علم الاجتماع الريفي، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981) ص38.

المجتمع تلقائياً ويستجيبون لبعضهم ميكانيكياً، كما أن هناك على الطرف الآخر علاقات ذات طابع عضوي تعتمد على تبادل المنفعة في استجاباتها و تماسكها"¹.

إن التضامن الذي يميز الجماعة الريفية هو التضامن التلقائي القائم على أساس الترابط القرابي والعائلي، أساسه الشعور بالروح الجماعية والمبادرة إلى التعاون في مختلف المهام وما يميز هذا المجتمع هو تقارب الأنشطة المهنية فيه (الزراعة وما يرتبط بها من مهن) وهذا ما يقرب بين الإمكانيات المادية أو الذهنية لدى أعضاء المجتمع الريفي، ويساعد على تقليص التباين الاجتماعي وتحقيق الانسجام في الخصائص النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي ظل هذه الرؤية نجد أن أهم ما يميز هذا المجتمع هو الاستجابة التلقائية الآلية. وفي الطرف الثاني للثنائية نجد أن دور كايم أشار إلى أن المجتمع الحضري يتميز بطابع التعقيد على مختلف الأصعدة والذي يتميز بنسق علاقات ثانوية -كما ذكرنا سابقاً- تعتمد على الطابع الرسمي المقنن في أغلب الأحوال والمفضي إلى شكل تضامن لا يتسم بالتلقائية والعفوية، بل يتم بشكل مدروس ليحقق منافع شخصية ومتبادلة.

ويعود طبيعة هذا التضامن إلى تنوع المهن واختلافها والتباين في الخصائص النفسية والاجتماعية والاقتصادية للأفراد حيث أن لكل عضو في هذا المجتمع وظيفة معينة يتبادل من خلالها المصالح مع الأعضاء الآخرين في المجتمع.

4-4- هوارد بيكر (المقدس والعلماني)

وضع هوارد بيكر ثنائية اجتماعية تحدد طبيعة كل من المجتمع الريفي والحضري مركزاً على جانب الدين وتتمثل هذه الثنائية في "النموذج المقدس والنموذج العلماني"² معتبراً أن النموذج المقدس هو ما يميز الحياة الريفية من خلال ارتباط سكان الريف بالقيم الدينية وتفسير جل الظواهر المعاشة من خلال التفسيرات الغيبية والابتعاد عن التفكير العقلاني وهذا الارتباط الكبير بالدين يجعل الإنسان في الريف يتمسك بقيم التضامن والتعاون والصدق والوفاء والكرم وغيرها من الصفات النفسية والاجتماعية التي تعتبر قانون الحياة الاجتماعية في الريف.

¹ غريب محمد سيد أحمد. المرجع السابق، ص117.

² غريب محمد سيد أحمد. المرجع السابق، ص117.

في حين نجد أن المجتمع الحضري هو مجتمع علماني يفصل واقع الحياة المعاش عن الدين ويرتكز في تفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية على التفكير العقلاني والمنطقي متجنب الوقوع في التفسيرات الدينية¹.

من خلال الطرح السابق نلاحظ أن هوارد بيكر وضع ثنائية متناقضة الطرفين فيما يتعلق بتفسير طبيعة المجتمعات؛ حيث ربط كل ما هو مقدس وديني بالحياة الريفية ونفى ذلك كله عن الحياة الحضرية، وقد يكون طرحه متأثر بظروف مجتمعه الخاصة، حيث أن درجة التحضر بأمريكا - موطن العالم هوارد بيكر - وسرعة التغير بها، وهو ما أدى لوجود وبروز الفوارق الكبيرة بين المجتمعين الريفي والحضري وتوجههما إلى المنظومة الدينية حيث طفت العلمانية على الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المدينة، وهذه الرؤية لا تصلح كتعميم نظري نظرا للفروق المختلفة بين المجتمعات؛ فالمجتمع الجزائري بشقيه الريفي والحضري، هو من المجتمعات التي يعتمد في وضع قوانينها على التشريع الديني كمصدر أول، ونجد أن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مرتبطة بالتشريع الديني، ولم يتم فصل الدين عن الدولة في القوانين الأساسية المحركة للمجتمع.

فالمقدس في المجتمع الجزائري - محل الدراسة - مرتبط بالحياة الاجتماعية سواء في المدينة أو الريف وبهذا فنحن لا نستطيع العمل من خلال هذه الثنائية لتفسير واقع مجتمعاتنا الريفية والحضرية نتيجة لخصوصية مضمونها، وصلاحتها كنظرية اجتماعية في مجتمعات دون الأخرى.

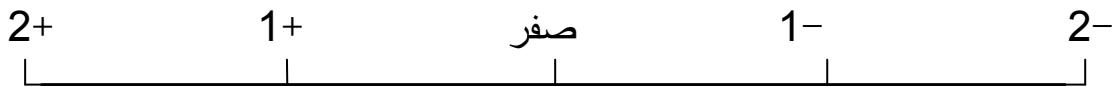
¹ معن خليل العمر. المرجع السابق، ص ص: 149 150.

¹ السيد عبد العاطى السيد. علم الاجتماع الحضري، الجزء الأول (مصر: دار المعرفة الجامعية، 1998) ص57.

ف نجد في ظل هذا التصور، أن النقطة أ تعبر عن حالة الريفية الكاملة، ثم يبدأ المجتمع نحو التحرك إلى الصورة الحضرية - وهذا من خلال بقية النقاط على المتصل - إلى أن يصل إلى النقطة هـ وهي تعبر عن حالة الحضارة القصوى.

وضع هذا المتصل لهدف الوصول إلى أفضل أداة تقنية ومنهجية التي تمكن الباحث من التمييز الفعلي بين المجتمع الريفي والحضري من خلال الفهم العميق لطبيعة كل من المجتمعين، وعلى إثر هذا المتصل.

توالت المحاولات العلمية الجادة لوضع متصل ريفي-حضري، يعتمد على الإستعانة بأحد المتغيرات للمساهمة الدقيقة في تصنيف المجتمع؛ بحيث نجد أن لكيرت likert وضع هو أيضا متصلا متدرجا، معتمدا على متغير المهنة وهو بالشكل الآتي:



شكل رقم -2-

عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص 47.

انطلاقا من رؤية لكيرت، نجده أسس لهذا المتصل على اعتبار المهنة السائدة في المجتمعات حيث نجد أن 2- تعبر عن المجتمعات الريفية المستغرقة في العمل الزراعي وما يصحبه من مهن متقاربة كالحدادة والتجارة البسيطة القائمة على خدمة العمل الزراعي وكلما توجهنا للطرف الثاني من المتصل في الجهة اليسرى، نجد أن نسبة التريف تتناقص على إعتبار التناقص في التوجه نحو العمل الزراعي؛ وهذا ما نجده في الدرجة الأولى -1 حيث تشير إلى مجتمع نسبة التريف به 75 بالمئة، ونجد أن نسبة 25 بالمئة على الأقل من مجموع السكان تحولوا نحو أعمال أخرى غير الزراعة كالأعمال المكتبية والإدارية والتعليم وغيرها.

وعلى هذا الأساس نجد أن المجتمعات التي تقع عند درجة 2- و 1- هي مجتمعات ريفية باختلاف درجة تواجد العامل الحضري بها، فالمجتمع الأول الواقع عند الدرجة 2- هو مجتمع ذو طابع ريفي بدرجة 100 بالمئة، والمجتمع الثاني الواقع عند الدرجة 1- هو مجتمع ريفي مع تواجد طابع حضري بنسبة 25 بالمئة، في حين أن المجتمع عند الدرجة

صفر، هو من المجتمعات التي يصعب تصنيفها، فنجد أن السكان الريفيون والحضريون يتواجدون بنسبة 50 بالمئة لكل فئة، وهذا بالاعتماد دائما على متغير المهنة، من خلال أن يمثل العمل الزراعي 50 بالمئة وتكون 50 بالمئة خارج النطاق الزراعي، كالعمل الصناعي ...

ومن جهة أخرى نجد أن النقاط الواقعة على يسار النقطة صفر، وهما النقطتان 1+ و 2+ تعبران عن المجتمعات ذات الطبيعة الحضرية، فالنقطة 1+ تعبر عن المجتمع الذي يعمل 75 بالمئة من سكانه بأعمال غير زراعية، أي يشتغلون بمهن تخدم الطابع الحضري كالأعمال المكتبية، والبنوك، والصناعة ...

ويتميز هذا النوع بقربه إلى الحضرية القصوى، مع بقاء نسبة ضئيلة من سكانه لا تزال تعمل بالمهن الزراعية.

أما العلامة 2+ فهي تعبر عن المجتمعات الحضرية، التي لا يوجد بها شكل من أشكال الحياة الريفية فالسكان بهذا المجتمع لا يشتغلون بالمهن الزراعية 100 بالمئة¹.

في ظل هذه الرؤية، نجد أن فكرة المتصل الريفي-الحضري، هي محاولة جدية لإثراء الدراسات السوسيوريفية-حضرية.

وأيضا جاءت كمحاولة لسد الثغرات في بقية النظريات، حيث إعتمدت هذه النظرية على وضع مقياس أو خط متدرج يوضح كيفية تحديد طبيعة المجتمعات من خلال الاعتماد على الإحصاء والحساب بصفة عامة.

غير أن الجزء الذي أغفل في هذه النظرية هو الاعتماد على مقياس المهنة دون الأخذ بعين الاعتبار بقية العوامل المهمة، كالنسق القيمي وطبيعة العلاقات الاجتماعية والفروقات الفردية،... التي تحدد الطبيعة الكاملة للمجتمع.

وكما ذكرنا سابقا في النظريات السابقة؛ أن الدراسة العلمية للمجتمعات لا بد وأن تركز على عوامل كثيرة ومتغيرات متعددة، لإطلاق أحكام نظرية وعلمية شاملة، فالاعتماد

¹ عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص ص: 46 48.

على متغير دون الآخر ينقص بعض الشيء من الدقة الموجودة في هذا المجال من البحوث والدراسات.

ثانيا: النماذج النظرية التي تعالج وتفسر البناء العائلي:

تعتبر العائلة من أهم المواضيع التي تناولها علماء الاجتماع بالدراسة والتحليل وذلك باتخاذهم رؤى فكرية مختلفة اعتمدوا عليها في الدراسة، وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل من خلال النظريات التالية محاولين إثراء الموضوع من منظور سوسيولوجي، بحيث تمثل العائلة أهم وحدة اجتماعية وركيزة أساسية في المجتمع الجزائري الريفي.

-1

النظرية التطورية:

لقد قطع البناء العائلي أشواطاً كبيرة منذ فجر التاريخ، فمن الحياة البدائية التي لم يعرف فيها نظام اجتماعي، أو علاقات واضحة، إلى عهود متتالية كثيرة تطورت فيها أشكال التجمع الإنساني من خلال تعدد أشكال الزواج في تلك العهود.

ولقد وقف الباحثون والمختصون على هذه المسألة بالدراسة والتحليل، فمنهم من تعمقوا واستندوا إلى معطيات علمية، ومنهم من درسوا بسطحية معتمداً على الأساطير والتصورات التخمينية.

ويليق بنا في هذا المجال، أن نتعرض للنظرية التطورية للأسرة كتراث سوسيولوجي أسهم به العلماء، وحاولوا من خلاله إعطاء صورة واضحة عن أشكال مختلفة عرفها نظام العائلة عبر التاريخ فنجد أن هيربرت سبنسر، ينطلق من مقولة أساسية وهي "أن التطور هو المفهوم الرئيسي لفهم العالم ككل، ومكانة الإنسان فيه"¹.

من هذا المنطلق نجد أن ضرورة إدراج هذه النظرية يعود لتوضيح الرؤى الفكرية والعلمية حول فهم طبيعة البناء العائلي من خلال معرفة مسار تطوره، وسنقف على تطور البناء العائلي من خلال التعرض إلى تطور نطاقه وأيضاً شكل الانتساب والقرابة.

تط

أ-

ور نطاق الأسرة:

¹ عبد العزيز رأس مال. كيف يتحرك المجتمع، ط2، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999) ص29.

منذ بداية الحياة الإنسانية، لم تتمكن الدراسات العلمية من الوقوف بصورة دقيقة على عدد أفراد الأسرة، غير أن المعروف أن نظام المعاشر كان أقدم أشكال التجمع البشري، والمعشر يتكون من عدة وحدات أسرية باختلاف البيئة، فقد تبلغ المئات في بيئة ولا تتعدى العشرات في أخرى.

وتعددت أشكال الزيجات في ظل هذا النظام من الزواج المتعدد إلى الزواج الأحادي، حيث كانت تعيش هذه الأقوام على الصيد وقطف الثمار والزراعة البدائية.

ومن جهة أخرى نجد نظام المجتمعات التوتمية، وتعتبر من أقدم أشكال التجمعات البشرية حيث عاشت بصورة بدائية أين يتسع فيها نطاق الأسرة من خلال الأعداد الكبيرة المرتبطة بعلاقة انتماء لتوتم واحد¹؛ والتوتم هو "عبارة عن نوع من الحيوان أو النبات تتخذه العشيرة رمز لها ولقب لجميع أفرادها معتقدة أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزل وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس"².

وكان أساس القرابة في هذا المجتمع هو الانتساب إلى توتم واحد، إما حيوان أو نبات أو مظهر طبيعي ... مع قدسيته لدى هاته الشعوب فحرم لمسها أو ذبحها وأيضا تم تحريم الزواج بين الرجال والنساء المنتسبون إلى توتم واحد.

وفي مرحلة أكثر تقدما في تاريخ البشرية، نجد أن شكل العائلة تغير، وأخذ يتناقص ويضيق عما كان عليه في المجتمعات التوتمية وبطل الاعتقاد بتقديس التواتم، وانتقل إلى تقديس الأجداد حيث كان رب الأسرة في هذه الحقبة التاريخية له مطلق السلطة في تحديد نطاق العائلة فكان يستطيع إضافة من يشاء إلى العائلة حتى ولو لم يكونوا من أصلابه، وينبذ من يشاء ولو كانوا من أصلابه وعرف هذا النظام بنظام الأسرة الأبوية الكبيرة³.

واستمر نظام العائلة البشرية بالتطور متخذا أشكالا عديدة باختلاف المجتمعات، فمن المجتمعات العشائرية بإفريقيا وأقوام الهند، إلى نظام العائلية التوتمية بأستراليا وأمريكا إلى نظام الأسرة الأبوية الكبيرة ببلاد اليونان والرومان...، ثم أخذ نطاق العائلة بعد ذلك في التغير شيئا فشيئا، خصوصا مع توالي الشرائع السماوية التي نظمت الحياة الاجتماعية

¹ مصطفى الخشاب. دراسات في الاجتماع العائلي، (بيروت: دار النهضة العربي، 1985) ص: 49-50.

² محمد عبد الواحد حجازي. الأسرة في الأدب العربي، (مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006) ص: 15.

³ مصطفى الخشاب. دراسات في الاجتماع العائلي، المرجع السابق، ص: 50-51.

وأشكال الزواج، فلم يعد من حق رب الأسرة أن يدخل في نطاقها من يشاء، بل أصبح ذلك مقصوراً على نسائه وأولاده¹.

من خلال ما سبق، يتضح لنا أن العائلة أخذت أشكالاً عديدة تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الزمان ولمزيد من التوضيح السوسيو تاريخي، لابد لنا أن نتعرض لتطور العائلة من خلال تطور شكل الأنساب والقرابة.

ب- تطور شكل الانتساب في العائلة:

لقد تعرضت العائلة للتطور والتغير منذ فجر التاريخ، ولم تستقر على حال واحدة لغاية تنظيمها من قبل الشرائع السماوية، ورغم محاولات دحضها وتغيير أشكال الزواج المشروع، إلا أن مجتمعاتنا الإسلامية مازالت تشجع على وجوب الاهتمام بالنظام العائلي كأهم وحدة اجتماعية في المجتمع وكرؤية أساسية في البناء الاجتماعي.

ونحن في هذه النظرية لا نحاول إثبات أن العائلة نظام غير مستقر، بل غايتنا هي إجراء لمحة تاريخية من خلال ما توفر لنا من معلومات حول التغير في النطاق أو شكل الانتساب. وإدراجنا لهذه النظرية، كان بهدف إلقاء نظرة على تاريخ هذا البناء وكيفية استقراره على حالته المشروعة الآن.

بالعودة إلى البحث في أشكال الانتساب نجد أن "معظم الأبحاث الاجتماعية تكاد تتفق في تقرير أن الأم كانت منذ فجر الحياة الاجتماعية محور القرابة وإليها ينسب الأولاد"².

وربما يعود هذا الأمر لبقاء الأم مع أطفالها مع اختلاف الآباء، أو اختلاط الأنساب وعدم استقرار نظام الأسرة، حيث كانت المشاعية والإباحية هي الصفة المسيطرة على مختلف الأنشطة الحياتية، وأيضاً يرجع "سبب ظهور النسب الأمي في المجتمع إلى قوة ونفوذ المرأة في المجتمع وإلى إمكانيتها الكبيرة في التأثير في سير الأحداث"³.

¹ مصطفى الخشاب. دراسات في الاجتماع العائلي، المرجع السابق، ص52.

² المرجع نفسه، ص53.

³ إحسان محمد الحسن. العائلة والقرابة والزواج، ط2، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1985) ص41.

وفي مرحلة أخرى من الوجود الإنساني، وجد وانتشر النظام الأبوي "فكان الأب هو أساس القرابة، وكانت المصطلحات الاجتماعية مؤدية كذلك إلى القرابة، ومعززة لسلطة الأب في هذا الصدد"¹.

وفي محاولة لتفسير انتقال الإنتساب من أموي إلى أبوي، نجد أن المفكرين والباحثين خلصوا إلى الاعتبارات التالية وهي:

- توجه الإنسان بعد مرحلة الصيد وقطف الثمار إلى الزراعة (العمل المستقر)، وبقاء الرجل بجانب زوجته وأولاده.

- اكتساب الرجل القوة العضلية في مراحل الصيد، فأدى ذلك إلى فرض سيطرته على المرأة.

- اتساع ظاهرة الحروب بين الأقوام والعشائر، وظهور قوة الرجل والاعتماد عليه، مما أدى إلى التوهين، من النظام الأموي².

إن البحث في أصل الظاهرة، يفسر لنا واقعها الحالي، فالتحليل التطوري التاريخي يزيل الغموض واللبس عن مجريات الوقائع الاجتماعية، ومن خلال ما سبق يتأكد لنا أن العائلة تطورت وتغيرت على مستوى النطاق وشكل الانتساب باختلاف درجة التغير نظرا للضوابط والقيم الفوقية التي تحكم المجتمعات.

¹ مصطفى الخشاب. دراسات في الاجتماع العائلي، المرجع السابق، ص55.

² المرجع نفسه، ص56.

2- النظرية البنائية الوظيفية:

إن من أهم النظريات السوسيولوجية التي أثبتت قدرتها على التحليل وتفسير الواقع الاجتماعي هي النظرية البنائية الوظيفية، حيث لعبت دورا كبيرا في تطوير علم الاجتماع وبالخصوص في مجال علم اجتماع الأسرة.

ومن هذا المنطلق تعتبر هذه النظرية من أهم مرتكزات هذه الدراسة؛ حيث سنتناولها بالتحليل والتفسير السوسيوعائلي، معتمدين على تفسير مفهوم كل من البناء والوظيفة على حدى وبعدها التعرض لكيفية معالجة البناء العائلي من المنظور السوسيولوجي للنظرية البنائية الوظيفية.

أ- البناء الاجتماعي:

إن من أهم مصطلحات هذه النظرية التي تستوجب التوضيح وكشف الغموض عنها هو مفهوم "البناء الاجتماعي"، حيث تباينت الآراء حول هذا المفهوم، وهذا مرده إلى عاملين مهمين:

"أن مفهوم البناء الاجتماعي غني بالمضامين والدلالات، وبالتالي يصعب التوصل إلى تعريف واحد جامع شامل يرضي جميع الباحثين ويحقق جميع الأغراض المطلوبة من استعماله.

"لا توجد حتى الآن نظرية واحدة للبناء الاجتماعي، وإنما هناك توجهات نظرية متعددة تختلف باختلاف اهتمامات أصحابها وخبراتهم الميدانية"¹.

من هذه الرؤية الفكرية، لابد من لنا من الأخذ بتعاريف تضمنت الشمولية والتدقيق، وأيضا التي يمكننا اعتمادها في مجال الدراسة.

وكمنطلق لزيادة التحليل والتفسير يمكننا الأخذ بتعريف المفكر الأنثربولوجي راد كليف براون لكلمة بناء حيث أكد على أنها "تشير بالضرورة إلى وجود نوع من التنسيق أو الترتيب بين الأجزاء التي تدخل في تكوين "الكل" الذي نسميه بناء، والعلاقات التي تربط بين هذه الأجزاء التي تؤلف الكل تجعل منه بناء متماسكا متميزا والوحدات الجزئية المكونة

¹ أحمد سالم الأحمر. علم الاجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، (لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004) ص41.

للبناء الاجتماعي قوامها أشخاص يحتل كل منهم مركزا معيناً ويؤدي دورا محددا في الحياة الاجتماعية¹.

وتعتبر العائلة في المجتمع الريفي من أهم وحدات البناء الاجتماعي حيث عرف الأخير من قبل المختصين بأنه "الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لوقت كاف، بحيث نستطيع الاحتفاظ بكيانها رغم التغيرات التي تحدث للأفراد الذين يكونون هذه الجماعات"².

ولقد ميز راد كليف براون بين الصورة البنائية والمضمون الداخلي للبناء، معتبرا أن العلاقات الأسرية هي من أهم الصور البنائية أما أفراد الأسر هم المضمون البنائي³.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن البناء العائلي يتكون من أفراد فاعلين في هذا البناء تربط بينهم علاقات أسرية تعمل لتحقيق الانسجام والتوازن لاستمراريته مع إمكانية التغير في بعض من وظائفه أو نطاقه.

ب- الوظيفة:

تشير كلمة الوظيفة إلى معاني متعددة، مما استوجب ضرورة وضع محددات لها في مختلف التخصصات فهي تختلف من البيولوجيا إلى علم السياسية إلى علم الاجتماع...

فالمقصود بهذه الكلمة في علم الأحياء أن كل عضو في الكائن الحي يقوم بوظيفة أو وظائف مختلفة تحافظ على بقاء هذا الكائن، في حين نجدها أخذت عدة معاني في علم الاجتماع، مؤداها أنها الجزء الذي يحافظ على النظام الكلي؛ حيث اعتبرها تالكوت بارسونز "بأنها مركب من نشاطات الموجهة نحو سد حاجات النظام"⁴.

يتضح لنا فيما سبق أن الوظيفة في علم الاجتماع مرتبطة بمماثلة بين المجتمع والكائن الحي من خلال اعتباره -المجتمع- كيان أو نظام كلي يتألف من أجزاء ووحدات يقوم كل واحد منها بوظيفة أو نشاط تهدف إلى المحافظة على هذا النظام، وعلى هذا الأساس وفي ظل هذه الرؤية، يتضح لنا أن الوظيفة هي النشاط أو العمل أو الدور الذي يقوم به أفراد المجتمع (الفاعلين فيه) وذلك لهدف الحفاظ على البناء الكلي.

¹ أحمد سالم الأحمر. المرجع السابق، ص: 41، 42.

² حسين عبد الحميد رشوان. البناء الاجتماعي والأنساق والجماعات، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2007) ص: 12.

³ المرجع نفسه، ص: 14.

⁴ أحمد سالم الأحمر. المرجع السابق، ص: 47.

ج- البنائية الوظيفية:

بعد التطرق لمفهومى البناء والوظيفة كل على حدى؛ لا بد وأن نتعرض للرؤى الفكرية السوسيولوجية التي اجتهد في استخلاصها الكثير من الرواد في مجال علم اجتماع العائلة حيث يعتبرون الأسرة "جزء من كيان المجتمع، وهي نسق مكون من أجزاء يرتبط بعضها ببعض، مما ينجم عنه التفاعل والعلاقات المتبادلة ويؤدي كل جزء وظيفته في النسق الأسري، ويركز هذا الاتجاه على العلاقة بين الأسرة والأنساق الاجتماعية الأخرى"¹

من خلال هذه الرؤية نجد أن هذه النظرية لا تبحث في أصل تطور الأسرة أو تضع التصورات التخمينية بل تهدف إلى دراسة الأسرة كوحدة اجتماعية تتكون من أجزاء مترابطة تهدف إلى المحافظة على هذه الوحدة، وذلك من خلال وظائف وأدوار متكاملة تهدف إلى المساهمة في بناء الكل "ولهذا إن النظرية البنائية الوظيفية تهدف باختصار إلى دراسة السلوك الأسري في محيط إسهاماته في بقاء النسق الأسري"².

أهم مرتكزات هذه النظرية تتلخص في النقاط التالية:

- اعتبار المجتمع نظام كلي، يتكون من أجزاء معتمدة على بعضها البعض.
- لا يمكن فهم الأجزاء إلا بفهم الكل.
- إن فهم الجزء بالنظر إلى الكل يتم بالتأكيد على أن الجزء يقوم بوظيفة من أجل المحافظة على الكل وتوازنه فالعلاقة بين الجزء والكل علاقة وظيفية.
- إن الاعتماد المتبادل بين الأجزاء هو اعتماد وظيفي، إذن أن الأجزاء تخدم بعضها البعض وتعمل للمحافظة على الكل³.

في ظل هذه الرؤية، نستطيع التوصل إلى أن البناء العائلي هو وحدة اجتماعية تضم أفراد يمارسون عدة أدوار ووظائف كالإنجاب وترسيخ القيم، وعملية التنشئة الاجتماعية، ... حيث تهدف هذه الوظائف والأدوار إلى المحافظة على البناء العائلي واستمراره.

وهنا لابد من التأكيد على أن استمرار البناء العائلي واستقراره، لا يعني "أن يبقى جامدا

¹ حسين عبد الحميد رشوان. الأسرة والمجتمع، المرجع السابق، ص140.

² عبد القادر القصير. الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، (بيروت: دار النهضة العربية، 1999) ص60.

³ أحمد سالم الأحمر. المرجع السابق، ص: 40 41.

استاتيكيًا مثل مبنى المنزل أو مبنى المدرسة، وإنما يقصد استمرارا متغيرا ديناميكيًا¹

ونحن في هذه الدراسة، نهدف إلى الكشف عن التغير الحاصل في أجزاء البناء العائلي من خلال وظائفه الأساسية ورغم الانتقاد الموجه لهذه النظرية على أنها تحمل وجهات نظر استاتيكية، إلا أنها لا تنفي إمكانية التغير المصاحب لعوامل متعددة حيث "وصف بارسونز [وهو من أهم رواد هذه النظرية] أن ظهور الأسرة النواة [...] جاء ليبي حاجات الإقتصاد الصناعي الحديث من مهارات متخصصة وحراك جغرافي..."²

وكحوصلة لهذه النظرية، نجدها تهدف إلى الإشارة لأهمية الأجزاء في البناء الكلي فالأفراد في العائلة يقومون بعدة أدوار ووظائف متكاملة ومتنوعة تهدف إلى وضع شكل عام للبناء والمحافظة عليه.

وتغير هذه الوظائف أو تجددتها يؤدي إلى تغير في شكل ونطاق البناء العائلي وذلك من خلال التكيف مع المعطيات والظروف التي تؤثر بشكل عام في تغير الأجزاء المكونة للبناء.

3- النظرية التفاعلية الرمزية:

بعد تعرضنا للنظرية التطورية والبنائية الوظيفية، لابد لنا وأن نتطرق للاتجاه التفاعلي الرمزي في دراسته لموضوع العائلة.

وقبل أن نتعرض لهذا لابد وأن نعرف هذه النظرية ونتطرق لأهم الرؤى الفكرية التي يتبناها روادها.

التفاعلية الرمزية هي "عملية التفاعل الاجتماعي الذي يكون فيه الفرد على علاقة واتصال بعقول الآخرين وحاجاتهم ورغباتهم الكامنة، ووسائلهم في تحقيق أهدافهم"³

من خلال هذا التعريف للتفاعلية الرمزية نقف على أهم مادة في هذه النظرية وهي البحث في مجال التفاعلات والعلاقات البشرية مع التركيز على العقل والرمز والدور والسلوك.

¹ حسين عبد الحميد رشوان. البناء الاجتماعي الأنساق والإجتماعات، المرجع السابق، ص22.

² سامية محمد جابر وآخرون. المرجع السابق، ص345.

³ خالد حامد. المدخل إلى علم الاجتماع، (الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2008) ص122.

أ: الرموز والمعاني:

ينطلق جورج هيربرت ميد من مسلمة رئيسية مفادها أن الإنسان هو كائن فعال يرتبط مع غيره من خلال رموز لها معانيها ودلالاتها لدى المستقبل، وعندما يصبح الرمز لغة مشتركة يضيف عليه صبغة الطابع الاجتماعي الذي يكتسب من خلال عملية التفاعل.

ب- التوقعات والسلوك:

المجتمع هو عبارة عن مجموعة من التفاعلات التي تتم بين أعضائه، ويتكون من جماعات ترتبط ببعضها من خلال الأفراد الفاعلين والعلاقات التي تربطهم، وينتظم السلوك وينسق من خلال التوقعات، فالناس من خلال تفاعلهم مع بعضهم يتصرفون بالطريقة التي يتوقعها الآخر فهم بهذا يراعون مدى مطابقة سلوكهم للأنماط السلوكية التي تحدث في المؤسسات والنظم الاجتماعية المختلفة.

ج- الأدوار والتفاعل:

يحافظ المجتمع على بقاءه واستمراره بسبب مقدرة الناس امتلاك آليات السلوك المكتسب عن طريق التنشئة الاجتماعية، كامتلاك اللغة وفهم الكلمات ومعانيها، ومن أهم نتائج هذا الأمر هو الوصول إلى الوعي الذاتي، أي كيفية أن يصير الطفل يتعامل مع أسرته وماذا تتوقع أسرته منه، وأيضا كيف تتصرف الأسرة وأعضائها مع باقي الجماعات¹

من خلال ما سبق يتضح لنا أن دراسة البناء العائلي من خلال منظور التفاعلية الرمزية يعتمد على دراسة النظام الداخلي للعائلة كفهم عملية التنشئة الاجتماعية بالدرجة الأولى، وما تقوم به من خلال قنواتها المختلفة في وضع سلوكيات معينة يكتسبها الفرد ويتفاعل من خلالها مع أفراد آخرين.

والبناء العائلي في المجتمع الريفي يتولى مسؤولية التزام الأفراد بسلوكيات تستمد مشروعيتها من النسق القيمي المتعامل به في هذا المجتمع، فيكتسب الطفل في العائلة الريفية أدوار وسلوكيات معينة من خلال التنشئة الاجتماعية، وتصبح بمثابة اللغة التي تفتح مجال التفاعل

بين الأفراد في هذا المجتمع ويتصرف الشخص في هذا المجتمع، بناءً على توقع سلوكه الذي لابد أن يكون ضمن إطار مشروعية الجماعة الريفية.

4- النظرية التنموية:

إن التراث السوسيولوجي زاخر بالنظريات التي عالجت وفسرت البناء العائلي في عموم المجتمعات، وبعد أن تعرضنا لبعض من هذه النظريات؛ سنتناول النظرية التنموية وما أسهمت به في الحقل السوسيولوجي، حيث تهدف إلى "دراسة التغير في نسق الأسرة الذي يحدث بمرور الزمن، والتغير في أنماط التفاعل"¹

انطلاقاً من هذه الرؤية، يتضح لنا أن النظرية التنموية تهدف إلى دراسة التغير في البناء العائلي الذي يصاحب التغير في أشكال التفاعل والعلاقات، ويأتي التغير نتيجة لعوامل متعددة؛ حيث اعتمدت هذه النظرية على أداة أساسية في دراستها أطلقت عليها **دورة حياة الأسرة**، ونجد أن بتريم سوروكين قد وضع أربعة مراحل لدورة حياة الأسرة وهي:

- "مرحلة زوجين ينشآن وجوداً اقتصادياً مستقلاً

- مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر

- مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر يعولون أنفسهم

- مرحلة زوجين تقدمت بهما السن"²

- من خلال ما سبق نجد أن هذه النظرية وضعت أربعة مراحل مرتبطة بعامل الزمن كآلية أساسية للتغير مع التركيز على الوظيفة الاقتصادية وتناقلها بين أفراد الأسرة؛ حيث يشكل الوالدين الوجود الاقتصادي المستقل و يعتبران كمصدر لتحقيق الأمن الغذائي لهما؛ ثم تنتقل هذه الوظيفة للأبناء وذلك باعتمادهم على أنفسهم.

ومن جهة أخرى نجد أن هذه النظرية أكدت على أن "التغير في أي جزء من الأجزاء النسق يؤدي إلى تغير في أجزاء النسق الأخرى"³

¹ عبد القادر القصير. المرجع السابق، ص 60..

² المرجع نفسه، ص 60: 61.

³ المرجع نفسه، ص 61.

من خلال هذه الرؤية يتضح لنا أن التغير الذي يطرأ على التفاعلات الاجتماعية أو الوظائف داخل الأسرة يؤدي إلى التغير في نطاقها وشكلها، غير أن الانتقاد الذي يمكن أن يوجه إلى هذه النظرية، أنها قاصرة بعض الشيء في وضع مراحل دورة الحياة، فلقد خصت بها شكل الأسرة النووية فقط، وهذا من خلال إغفالها إمكانية تكوين أسر ضمن نفس البناء (الأسرة الممتدة)، ونحن يهمنا في هذه الدراسة النمط الممتد الذي يغلب على البناء العائلي في المجتمع الريفي وكيفية تغيره من خلال وظائفه المختلفة، غير أن هذا لا ينتقص من الأهمية العلمية لهذه النظرية وإشارتها إلى التغير الذي يحدث داخل البناء العائلي.

5- النظرية التبادلية:

تتطلب هذه النظرية من فكرة أساسية مفادها أن النشاطات والتفاعلات المتبادلة بين الناس، هدفها بالدرجة الأولى الحصول على الحد الأعلى من المنفعة؛ وتتمثل الأفكار الأساسية في مضمون هذه النظرية التي يعتبر كل من كلود ليفي شتراوس وبيتر بلاو من أهم روادها فيما يلي:

- الاختيار للزواج عبارة عن عملية تبادل اجتماعي واقتصادي.
- الزواج كأي عملية تختم ضرورة تبادل أشياء أو مراكز.
- قليل من الناس من يحصل على أشياء دون مقابل.
- ويذهب البعض من أنصار هذه النظرية إلى اعتبار أن المهر الذي يدفع إلى أهل العروس ماهو إلا ثمن لها.
- ومن هذا المنطلق نجد أن عملية الزواج -حسب هذه النظرية - ما هي إلا صفقة تجارية بالإضافة إلى اعتبار الطلاق خلل في توازن عمليات تبادل المصالح بين الزوجين¹
- يتضح لنا من خلال ما سبق أن النظرية التبادلية اعتمدت في تفسيرها للعائلة على عدة نقاط أهمها:

- التفسير المادي للعلاقات الاجتماعية.
- الابتعاد عن الوصف المعنوي وتلخيص وربط العلاقات بمبدأ المنفعة.

¹ أحمد سالم الأحمر. المرجع السابق، ص، ص ص: 83، 90-91.

- اختزال نظام الزواج واعتباره مجرد صفقة تجارية.

في حين أن الزواج نظام اجتماعي أقرته الشرائع السماوية، وحثت عليه واعتبرته مصدر للحب والسكينة والاحترام.

من جهة أخرى نجد أن تفسير النظرية التبادلية، يكون بعيدا عن واقع العلاقات العائلية في المجتمعات الريفية، حيث تناولنا طبيعتها في مراحل سابقة من هذه الدراسة وتطرقنا إلى كونها علاقات تنسم بالعفوية والتلقائية وتهدف إلى التضامن والتكافل والعمل الجماعي الذي يهدف إلى صالح الجماعة الريفية وبهذا يكون التفسير المادي للنظرية التبادلية غير صالح لاتخاذها منطلقا فكريا في تفسير واقع البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري.

خلاصة:

كما سبق وأشرنا، فإن علم الاجتماع ميدان غني بالتراث النظري، وتمثل النظرية التجريد المنظم والمنسق لواقع محسوس وملموس يسترشد به الباحث لفهم وتحليل وتفسير الظاهرة المراد دراستها.

من خلال هذا المنطلق تناولنا بعض من أهم النظريات السوسيولوجية التي عالجت وفسرت موضوعي المجتمع الريفي والبناء العائلي محاولين التطرق لأهم مبادئ هذه النظريات وتقريبها لتفسير واقع المجتمعات الريفية والبناء العائلي بالجزائر، دون الوقوع في الأخطاء الشائعة في هذا المجال.

وحاولنا جاهدين عرض أهم الرؤى الفكرية للنظريات التي تناولناها والتي وجدنا أنها تتراوح بين الدقة العلمية والنظرة الصائبة؛ وبين أفكار أخرى تبنت النظرة الضيقة وأحكام التحيز أو أحكام الذات التي تتطوي تحت تأثير ظروف زمكانية معينة على باحث دون الآخر.

ولقد تناولنا في تحليلنا للنظريات الكبرى التي لها علاقة مباشرة بموضوع دراستنا، فتطرقنا إلى نظرية العلامة ابن خلدون، نظرية المحك الواحد، نظريات المحكات المتعددة، الثنائيات الاجتماعية، ونظرية المتصل الريفي الحضري، محاولين بتناول هذا الكم التعرف على التراث السوسيولوجي وكيفية تناوله لطبيعة المجتمع الريفي وتوصلنا إلى وجهات نظر أو أفكار مختلفة من نظرية إلى أخرى، غير أننا استطعنا التوصل إلى نقاط مشتركة بين النظريات السابقة الذكر في تحليلها لطبيعة المجتمعات ومن بين هذه النقاط:

- أن المجتمع الريفي مجتمع بسيط في تركيبته السكانية.
- يتميز بالعمل الزراعي كمهنة أساسية.
- أساس النسق القيمي هو الترابط العائلي والعلاقات الأولية...إلخ.

ومن جهة أخرى تناولنا النظريات التي عالجت موضوع البناء العائلي متمثلة في النظرية التطورية التي اهتمت بتناول العائلة عبر مسار تاريخي مبينة تطور نطاقها وشكل الانتساب فيها؛ إلى النظرية البنائية الوظيفية التي تناولت العائلة كبناء كلي يعمل أفرادها من خلال وظائف معينة إلى المحافظة على هذا البناء، ليس محافظة استاتيكية، بل ديناميكية ومتكيفة مع الظروف المختلفة.

ثم تناولنا نظريات أخرى كالتفاعلية الرمزية والنظرية التنموية اللتان عالجتا موضوع البناء العائلي من خلال الوظائف الداخلية كالتنشئة الاجتماعية والوظيفة الاقتصادية، لنصل في الأخير لدراسة النظرية التبادلية والتي تناولت الجانب العلائقي في البناء العائلي...، ليتأكد لنا مرة أخرى أن علم الاجتماع ميدان زاهر التراث النظري وعلى الباحث أن يدرس النظريات التي لها علاقة بموضوع بحثه في أي ميدان.

الفصل الثاني

واقع البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري

- تمهيد

- أولاً: طبيعة المجتمع الريفي الجزائري

- 1- المجتمع الريفي قبل الإسلام
- 2- المجتمع الريفي بعد ظهور الإسلام
- 3- المجتمع الريفي قبل الاحتلال الفرنسي
- 4- دور المجتمع الريفي في الثورة الجزائرية
- 5- طبيعة المجتمع الريفي في الفترة الانتقالية

- ثانياً: طبيعة البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري

- 1- مراحل تطور البناء العائلي في الريف
- 2- أنماط وأشكال العائلة الريفية في الجزائر
- 3- الخصائص التي تمتاز بها العائلة الريفية في الجزائر.
- 4- الأدوار التي يمثلها أفراد العائلة الريفية
- 5- بعض المشكلات التي تواجهها العائلة الريفية في الجزائر

- خلاصة.

تمهيد:

تعتبر العائلة أهم وحدة اجتماعية في الريف، حيث تشكل حلقة وصل بين الفرد وبيئته من خلال طبيعته بالصفات الاجتماعية التي تمثل النموذج القيمي المتعارف والمعمول به في هذا المجتمع، ولفهم طبيعة المجتمعات وتكوينها لابد من الإطلاع على ماضيها وفهم مسيرتها التاريخية، انطلاقاً من قول العلامة ابن خلدون حيث قال "أننا لا نستطيع فهم حاضر المجتمع دون دراسة ماضيه البعيد والقريب"¹

وأكد هذه المقولة أحد علماء الاجتماع كالمان كولجار حيث قال: "أننا لا نستطيع فهم وإدراك طبيعة وظروف ومشاكل المجتمع المعاصر دون دراسة ماضيه السحيق للتعرف على العوامل التاريخية التي أثرت فيه وأعطته مميزاته وسماته الأساسية التي غالباً ما تشخص معالم المجتمع مهما كانت المراحل التاريخية التي يمر بها"²

انطلاقاً من هذه الفكرة خصصنا جزءاً كبيراً من هذا الفصل لتناول طبيعة المجتمع الريفي خلال مراحل تاريخية متعددة ومختلفة لمعرفة الظروف الاجتماعية التي شكلت هذا المجتمع ونسقه القيمي ونوع العلاقات الممارسة فيه إلى غير ذلك.

ومن خلال هذا المسار التاريخي تعرفنا أيضاً على البناء العائلي في هذا المجتمع وتطور أشكاله وأنماطه؛ والمكانة المختلفة التي احتلتها المرأة عبر مراحل تاريخية متعددة.

ومن جهة أخرى تناولنا في هذا الفصل خصائص البناء العائلي وبعض المشكلات التي تواجهها العائلة بالإضافة إلى التعرف على الأدوار وكيفية توزيعها في العائلة الريفية.

¹ إحسان محمد الحسن. المرجع السابق، ص120.

² المرجع نفسه، ص120.

أولا : طبيعة المجتمع الريفي الجزائري:

1- المجتمع الريفي قبل الإسلام:

إن الحديث عن طبيعة الريف الجزائري قبل التواجد الإسلامي، يعود بنا إلى تصفح نظرات من التاريخ الاجتماعي الذي يؤكد فيه المحللون -من خلال قراءتهم - أن هذا المجتمع عرف الكثير من الحضارات والثقافات، نتيجة لتعاقب الدول الكبرى على احتلاله لتمييز موقعه بين القارات، حيث أن "الجزائر جزء من بلاد المغرب التي تشكل وحدة جغرافية تحيط بها معالم واضحة، وهي بحكم موقعها في قلب بلاد المغرب كان يطلق عليها الجغرافيون [...] اسم المغرب الأوسط وهي بحكم موقعها هذا [تعد] مركز النقاء للعالمين الإفريقي والأوربي"¹

من خلال هذا المنطلق نجد بأن الجزائر تعرضت ولقرون طوال لاحتلال فينيقي وروماني ووندالي وبيزنطي وكانت كل واحدة من هذه الدول القوية تحاول جاهدة فرض نظامها الاجتماعي من خلال تغيير المعتقد والفكر السياسي والاقتصادي...

ولقد كان سكان الجزائر هم الأفراد الذين يعيشون في الريف متحصنين بالجبال والكهوف رفضا منهم للسياسات الاستعمارية ومقاومة لكل تغيير يفرض عليهم، أما سكنى المدن فهم ممن يمثلون الدول التي تعاقبت على احتلال الجزائر، ويتميز سكان الريف في تلك الحقبة بالطبيعة والمقاومة وثقافة التمرد، حيث أن الاحتلال الروماني حاول نشر الدين المسيحي وجعله دينا رسميا، غير أن أهل البلاد نفروا من هذا الدين وقاوموا وجوده وانتشاره في المجتمع.²

أما عن البناء الديني في الجزائر فلقد كان وثنيا، حيث كانوا يعبدون "الشمس والقمر والكواكب"³.

¹ محسن تيشكلي. دراسات في المجتمع العربي، الجزء الأول، ط2، (سوريا : مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1965) ص: 249 250.

² صالح فرкос. تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، (الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2005) ص53.

³ المرجع نفسه، ص40.

من خلال هذا العرض الموجز نستطيع الإشارة إلى أن المجتمع الريفي الجزائري قبل الإسلام عرف تعاقب حضارات كبيرة وسياسات استعمارية مختلفة، حيث حاولت كل واحدة منها القضاء على البناء الاجتماعي واستبداله بأنظمة أخرى مكيفة حسب المصالح السياسية لهذه الدول، غير أنه كما ذكرنا تميز سكان الريف الجزائري بطبيعة مقاومة لهذه المحاولات ونجح في إفشالها.

2- المجتمع الريفي بعد ظهور الإسلام:

بعد أن تطرقنا بإيجاز لطبيعة المجتمع الريفي الجزائري قبل الإسلام، لابد وأن نتعرض وأن نتناول بناءه بعد التواجد الإسلامي وذلك لعدة مبررات:

- إقامة دراسة علمية جادة تقف على طبيعة هذا المجتمع ومعرفة تاريخه بإيجاز.
- التعرف على تطور شكل العائلة واختلاف نظامها من المعتقد الوثني إلى الدين الإسلامي.
- اكتشاف الأسباب التي أدت بقبول الدين الإسلامي كمعتقد في هذا المجتمع الذي طالما رفض الشرائع والأنظمة الاجتماعية الأخرى، حيث "انتشر الإسلام بسرعة في شمال إفريقيا عكس المسيحية التي عاشت ما يقرب ستة قرون في هذه المنطقة دون أي تأثير على أصل السكان"¹.

لكن هذا الأمر لا ينفي وجود مقاومة ضد الوجود الإسلامي، فالمعروف -كما تعرضنا إليه سابقا- أن أهل الريف في الجزائر قديما يتميزون بطابع المقاومة لكل ما هو خارج عن مجتمعهم.

ومن أهم الأسباب التي أدت بمقاومة الوجود الإسلامي آنذاك؛ ما سيرد ذكره حسب دراسة الأستاذ بلقاسم بوقرة².

- النظرة نحو العرب واعتبارهم كوجود محتل لا يختلف عن سبقه من الوجود الأجنبي.
- الخطأ الذي ارتكبه العرب حيث قاموا بسلك الطرق الريفية التي كانت تتميز بالتواجد للسكان الأصليين الرافضين لوجود العرب وغيرهم من الدخلاء.

¹ بلقاسم بوقرة. من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد التاريخ الاجتماعي الجزائري تحت المجهر، (الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 2004) ص 133.

² المرجع نفسه، ص ص: 135 136.

وخلال القرن الثامن والتاسع، بدأ الإسلام بالانتشار في هذه المنطقة حتى أن السكان الريفيين ساعدوا على انتشاره، وهذا يعود إلى عدة أسباب وعوامل لا يتسع المجال لذكرها، لكن أهمها هو "أن العرب الفاتحين غيروا إستراتيجيتهم [...] وسلخوا هذه المرة طرق المدن [وحسب ما أشار إليه الكاتب] أن المدن المغاربية تفتقر إلى التضامن الاجتماعي وغياب العصبية، الأمر الذي سهل من مهمة الفاتحين حيث لم يجدوا أي مقاومة تذكر"¹

من خلال هذه الأفكار يتضح لنا أن انتشار الدين الإسلامي في الريف الجزائري في تلك الحقبة يعود إلى أسباب مهمة وهي:

- القيم التي احتواها الدين الإسلامي تعتبر نموجا اجتماعيا مقبول لدى سكان الريف المعروفون بحبهم للأرض ومقاومتهم للأجانب عنها.

- هذا النموذج يتمثل في قيم كثيرة تتوافق بين طبيعة البناء الاجتماعي للريف في تلك الحقبة الزمنية وبين قيم الدين الإسلامي كقيم التضامن والتكافل والدفاع والذود عن الأرض.

- وقبل ما سبق نجد أن العرب المسلمين تفتنوا إلى حيلة الدخول عن طريق المدن للتمكن من الاستقرار في هذا المجتمع، حيث أن أهل المدن لم يكونوا على قدر من التكافل والتضامن، بل كانت صفوفهم مشتتة، عكس المجتمع الريفي.

وبالعودة إلى الفصل السابق من هذا العمل نجد أن العلامة ابن خلدون تناول الفرق بين الطبيعة الاجتماعية للريف والحضر المتمثلة في مقدرة المجتمع الأول على المقاومة والشجاعة والتضحية في سبيل الدفاع عن الأرض نظرا لعيشه في ظروف اجتماعية وطبيعية صعبة.

بينما سكان الحضر ونظرا لعيشهم في أجواء الترف والراحة أدى بهم هذا إلى الابتعاد عن الصفات الاجتماعية السابقة كالمقاومة والشجاعة.

ونتيجة لتفتن العرب المسلمين لهذه النقطة استطلعوا الدخول عن طريق المدن وبمرور الوقت استطاع الإسلام كشرعية اجتماعية أن يتكيف و يفرض نظامه الاجتماعي في الجزائر.

¹ بلقاسم بوقرة. المرجع السابق، ص: 136 137

3- المجتمع الريفي قبل الاحتلال الفرنسي:

عاش سكان الريف الجزائري كما كانوا من قبل في وسط عشائري، ممارسين العمل الزراعي الجماعي حيث لم يكن هناك تقسيم أو تحديد بين لحقوق الأفراد في ملكيتها.

ولقد كان نظام الملكية قبل عام 1830 قائما على العرف والعادة، ويتمثل في أربعة ملكيات، أرض البايك الأرض الجماعية، الحبوس، الملكية الخاصة(الملك)¹.

ونستطيع التطرق بنوع من التفصيل إلى هذه الأنواع من الملكيات في تلك الفترة حتى نتبين من خلالها أشكال العلاقات القائمة بين أفراد المجتمع الجزائري والريفي منه بالتحديد فنجد أن أرض البايك وهي أرض الدولة تخصص لها عقود تسجيل مثبتة في سجلات خاصة، أما النوع الثاني وهو الأرض الجماعية (العرش) فهي تنتشر في المناطق التي استقر بها البدو وشبه البدو، حيث يمارسون فيها الزراعة والرعي، وهذا النوع من الملكيات الجماعية للأرض سائدة لدى أغلبية أفراد المجتمع الريفي الجزائري.

أما بالنسبة لأرض الحبوس فتتمثل في أنها وقف على المساجد والمؤسسات الخيرية بالإضافة إلى هذا نجد أرض الملك والتي تخص أفراد دون عقود ملكية واضحة، غير أن أخصب هذه الأراضي كان يعود إلى العائلات التركية، أما الملكية التي تعود إلى الجزائريين فتقوم أساسا على التضامن العائلي وتحريم بيع الممتلكات².

من خلال هذه الرؤية البسيطة يتضح لنا أن المجتمع الريفي الجزائري يتميز بعدة أمور من بينها التضامن الاجتماعي، والعصبية التي تعود جذورها إلى ما قبل التواجد الإسلامي، والتي بقيت من بين أهم القيم الراسخة لدى أفراد المجتمع الريفي.

مرة أخرى يتضح لنا أن سكان الجزائر هم سكان القرى والأرياف ويمثلون المجتمع القبلي القائم على أساس التعصب للعلاقات القرابية والعائلية ولا يعرف كونه مجتمع طبقي.

ونجد أن العائلة الريفية هي "الوحدة الحقيقية للإنتاج"³ وتعتبر أهم وحدة في البناء الاجتماعي الريفي، يقوم أفرادها بالعمل الجماعي لتحقيق الاكتفاء الذاتي لأفرادها.

¹ محمد السويدي. مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1990) ص ص: 72 73.

² المرجع نفسه، ص 73.

³ بلقاسم بوقرة. المرجع السابق، ص 90.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الجزائر كانت مجتمعا ريفيا بالدرجة الأولى وأن أغلب سكان هذا البلد هم ممن يقومون بالعمل الزراعي والرعي،...الخ، ورغم أن الدول والحضارات التي توالى وتعاقت على هذا المجتمع كثيرة غير أنها لم تستطع تغيير الطابع القبلي فيها ولا أن تغير قيم التضامن الاجتماعي أو قيم التعصب للأرض والقرابة.

4- دور المجتمع الريفي في الثورة الجزائرية:

لقد تناولنا فيما سبق بعض من خصائص المجتمع الريفي الجزائري، ووجدنا أن من أهم ما يميز بنائه الاجتماعي هو الترابط والتضامن بين أعضائه وكذلك التعصب للعلاقات القرابية والأرض فإذا كانت هذه هي صورة الإنسان الريفي الذي يربط بين وجوده وبقاء أرضه الفلاحية، فكيف سيكون تحركه نحو تحرير بلاده من أيدي المحتل؟

إجابة على هذا السؤال أردنا البحث واستطلاع بعض المراجع بحثا عن دور الريف في الثورة الجزائرية، فوجدنا من وجهة نظر سوسيوتاريخية "أن الريف الجزائري هو القوة الأساسية في ثورة أول نوفمبر فمنه جيش التحرير ومنه قاعدة الانطلاق ، وعلى أرضه ميدان المعركة"¹

انطلاقا من هذه الرؤية يتضح لنا أن الريف كان خلال الثورة الجزائرية بمثابة القاعدة الشعبية والمحرك الأساسي وهذا لعدة أسباب منها:

- أن معظم سكان الجزائر هم من سكنى الريف.
 - أن أهل الريف يتميزون بالعصية وعدم القبول بالتدخل الأجنبي والمحاربة لأجل الأرض.
 - أن الاستعمار ركز كثيرا جهود دماره في الأرياف بغية إخضاع أهلها واستنزاف ثرواتها.
- ومن بين الأسباب التي أدت إلى عرقلة الكفاح في المدن "تعايش المجتمع الحضري مع الأوروبيين الذين استطاعوا بعدما تكاثروا عددهم، وأصبح لهم جاه وسلطان، وتتنوع مصالحهم، وصاروا يتمتعون بالسلطة ويتنعمون بالأمن - استطاعوا بفضل ذلك كله أن يفرضوا على الجميع، بما في ذلك الأهالي، نمط معينا من الحياة وميلا إلى الرغد من العيش"²

¹ محمد السويدي. المرجع السابق، ص40.

² مصطفى الأشرف . الجزائر الأمة والمجتمع، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983) ص37.

في هذا الصدد، وفي ظل هذه الرؤية، يتأكد لنا مرة أخرى أهمية دراسة **ابن خلدون** ومعرفة قرب نظريته من واقع المجتمع الريفي الجزائري، حيث تناولنا في فصل سابق من هذا العمل أفكاره في وضع المحددات التي تميز المجتمع الريفي عن الحضري وذكر أن من بين هاته المحددات هي ميل سكنى الحضر إلى العيش الرغيد والترف، بينما قساوة الحياة في الريف عودت أهلها على الشجاعة والمقاومة وهذا ما لوحظ في الإرهاصات الأولى للثورة الجزائرية، بحيث كان للريف الدور الأكبر في المقاومة، وكان أسبق فيها على المدينة "ولعل الفلاحين كانوا أكثر تفتنا من أهالي المدن للخطر الداهم الذي كان يهددهم بالدرجة الأولى ولذلك عبروا عن وطنيتهم بالمحاربة وحمل السلاح، وسلوكهم هذا لا يرجع إلى غريزة المحافظة على الذات فحسب [...] بل يرجع كذلك إلى الروح الجماعية التي امتزجت فيها الدوافع القومية والروحية والأخلاقية"¹

في ظل ما سبق، يتضح لنا أن الثورة الجزائرية كانت ريفية المنشأ وهذا ليس لانعدام وطنية سكان الحضر، بل لأسباب ذكرناها سابقا، وبالإضافة لها نجد أن هذه الوطنية تعتبر ذات طابع ريفي "لأنها انطلقت من الأرض في نطاقها المحلي، ثم توسعت حتى شملت أراضي البلاد كلها، على الصعيد القومي وكان الشغل الشاغل هو الاحتفاظ بالحقل والملكي [...] وهي من الأمور التي هدها الغزو الأجنبي بالدرجة الأولى واستولى عليها المستوطنون"²

لقد كان للمجتمع الريفي دور كبير في التحضير والعمل في الثورة الجزائرية وهذا للأسباب السابقة الذكر، حيث أن الطبيعة الاجتماعية في الريف فرضت نمطا معيناً من الحياة يتمثل في العصبية والتضامن ومقاومة التدخل الأجنبي.

وبالرجوع إلى المراحل السابقة، نلاحظ أن المجتمع الريفي الجزائري كان يتميز بهذه السمة منذ القديم حيث أن أغلب سكان الجزائر هم من الريفيين تربط بينهم علاقات قرابية ويكونون من خلالها علاقات نسب ومصاهرة تهدف إلى الذود عن الأرض ضد أي عدوان أجنبي، ورغم أن العدوان الفرنسي حاول أن يستنزف الأراضي وحتى ثقافة الشعب إلا أننا

¹ مصطفى الأشرف. المرجع السابق، ص ص: 76 77.

² المرجع نفسه، ص ص: 94 95.

نجد أن المجتمع الريفي قد أنتج من زعماء المقاومة وقيادات الجيش ما قضى به على الاحتلال الفرنسي.

من جهة أخرى نجد أنه وحسب قول أحد الجنرالات الفرنسيين "أن جميع العرب [الجزائريين] تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، وتوجد في كل قرية مدرستان، وبالإضافة إلى المدرسة توجد الزاوية وهي مؤسسة تعليمية ريفية"¹

من خلال التحليل السوسيولوجي لهذه المقولة، نجد أن المجتمع الريفي كان مجتمعا يشجع على ابتغاء سبل العلم والمعرفة إلى جانب المقاومة العسكرية والسياسية للمحتل. وهدف الاستعمار إلى القضاء على هذا الجزء من المجتمع لما له من خطورة على تواجد الكيان الاستعماري فعمل على جانبين:

- الدمار المادي وانتزاع الأراضي من أصحابها.

- تدمير الثقافة السليمة للشعب وتهديم دور العبادة والعلم والعمل على تجهيل الشعب وتفقيره وذلك بتوجيه أكبر ضربات الهدم للمجتمع الريفي، وكخلاصة لما سبق نجد أن المحتل عمل على ثلاث جبهات في المجتمع الريفي.

- العمل على الجبهة العسكرية وتدمير الممتلكات وتهجير السكان.

- هدم دور العلم والعبادة.

- القضاء على المنظومة القيمية وزرع قيم متطفلة تكرر من خلال تجهيل الشعب.

5- طبيعة المجتمع الريفي في الفترة الانتقالية:

إن السياسة الاستعمارية كانت تهدف بالدرجة الأولى للقضاء على المنظومة القيمية للإنسان الريفي محاولة بتهديمها تجزئة البناء وتفكيك شبكة التضامن الاجتماعي " الذي كان يعبر عنه بالجهد في سبيل الله والوطن"²

والمتتبع للمراحل الاجتماعية السابقة يلاحظ أن الريف كان لغاية انتهاء الثورة التحريرية بمثابة الحصن المنيع للدولة والذي كان يمنع أي تدخل أجنبي وهذا لما لسكان

¹ مصطفى الأشرف. المرجع السابق، ص 81.

² بلقاسم بوقرة. المرجع السابق، ص 188

الريف من صفات اجتماعية متميزة - والتي ذكرناها فيما سبق - غير أن هذا الأمر لا ينفي المحاولات الاستعمارية لمحو هذا المجتمع وزرع قيم متطفلة على القيم الاجتماعية المتوارثة فيه، حيث قام المستعمر بتفكير الشعب وتجهيله وذلك عن طريق محاربة العلم ودوره وأماكن العبادة.

فكيف كان شكل أو طبيعة هذا المجتمع خلال سنوات الاستقلال (الفترة الانتقالية)؟

وللإجابة على هذا السؤال سنتطرق بشيء من الإيجاز لطبيعة المجتمع الريفي في تلك الفترة من خلال جانبين: الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي.

5-1- الجانب الاقتصادي:

خلف الاستعمار الفرنسي بعد خروجه من الجزائر، تركة هائلة من الدمار المادي والاجتماعي وتمثلت الأضرار التي ألحقها بالمجتمع الريفي في صور التخريب والدمار ونشر الجهل والفقر، وكان على الحكومة الجزائرية عشية الاستقلال مهمة وضع السياسات والخطط التنموية المقترحة لمجابهة هذا الدمار.

ومن بين السياسات التي اعتمدتها الدولة، تجربة التسيير الذاتي* التي طبقت في الريف الجزائري، من طرف العمال والفلاحين، حيث كانوا أمام وضعية اقتصادية واجتماعية مدمرة، وإيمان منهم بضرورة العمل الجماعي بادروا إلى تسيير الأراضي لمواصلة عملية الإنتاج وتحدياتهم للظروف القاسية والإيمان بالعمل الثوري أيضا¹.

5-2- الجانب الاجتماعي:

أ- نسق العلاقات الاجتماعية:

نجد أن الثورة الجزائرية دعمت وأصرت العلاقات بين الأفراد في الريف وعززت من أهمية التضامن لإعادة تحريك سير التنمية الوطنية، ولطالما وجدت هذه الصورة في الريف الجزائري نتيجة لنمط الحياة الصعب والظروف الاجتماعية القاسية التي فرضت الترابط القوي وتقوية العلاقات الاجتماعية للتكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة بالريف.

* التسيير الذاتي هو التجربة الاشتراكية في ميدان الإنتاج والاستغلال الجماعي للوحدات الإنتاجية والاشتراك في ملكية وسائل الإنتاج واطقسام الناتج بين أفراد الجماعة، أنظر محمد السويدي، المرجع السابق، ص121.

¹ بلاقسم بوقرة. المرجع السابق، ص188.

ب-النسق القيمي:

وتمثل في الخلل الذي أحدثه المستعمر في النموذج الثقافي لدى العائلة الريفية فبعد أن كان الريف يشجع على التعليم والفكر تغير نحو تمثل قيم متطفلة غرسها المستعمر وهدف بها إلى العمل على التراجع الثقافي وتنمية الفوارق بين الجنسين (الرجل والمرأة)، حيث أصبحت القيم المتعلقة بالمرأة في الفترة الانتقالية تقضي بإبعادها عن الصفوف الدراسية وكذا القضاء على حقها في اختيار شريك حياتها....وهذا ما سنتعرض له بتفصيل أكثر في الأجزاء القادمة مع توثيق للأحكام التي تناولناها.

ثانيا: طبيعة البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري:

1-مراحل تطور البناء العائلي في الريف:

1-1-البناء العائلي في المجتمع الريفي قبل وبعد الإسلام:

لم تكن العائلة في الجزائر تختلف عما هو معروف في محيطها الزماني والمكاني حيث أن هناك الكثير من الحضارات والدول الكبرى التي تعاقبت في احتلال الجزائر، لذا قد تكون العائلة آنذاك أخذت بعض من خصائص البناء الاجتماعي لتلك الدول حيث أن "نظام الأسرة في أمة ما يرتبط ارتباطا وثيقا بمعتقدات هذه الأمة ودينها وتقاليدها وتاريخها وعرفها الخلقي، وما تيسر عليه من نظم في شؤون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء".¹

غير أن طبيعة سكان هذا المجتمع المعروفون بالمقاومة ورفض التدخل الأجنبي أدت إلى "جعل [شرائع هذه الدول] تتكيف مع الواقع الجزائري أكثر مما يتكيف المجتمع الجزائري حسب تعاليمها"²

- دلت صورة ومكانة المرأة آنذاك على وجود رقي في النظام الاجتماعي الموسوم بشريعة الزواج" وعرفت الأسرة الجزائرية النظم التي سادت في بعض البلدان الإفريقية وتمركزت فيها السلطة بين الأب والأم³ وهذا يكون من خلال المعتقد المتبع وأيضا التأثير بأنظمة اجتماعية معينة تستقي بعض خصائصها من الدول التي احتلتها لقرون طويلة.

في ظل هذه الرؤية يتضح لنا أن الأسرة بمختلف أشكالها كانت ركيزة البناء الاجتماعي في المجتمع الجزائري، وكانت أداة للمقاومة والتصدي لمختلف التوسعات التي قامت بها الدول الكبرى آنذاك ولما جاء الإسلام لهذه البلاد لم يجد أمامه مجتمعا قائما على الفوضى الجنسية، بل وجد مجتمع ذو طبيعة قبلية قائمة على البناء الريفي الجزائري "فالإسلام من الشرائع السماوية التي كانت أشد حرصا واهتماما بمقومات نظام الأسرة [...]" وهي الخلية

¹ علي عبد الواحد وافي. الأسرة والمجتمع، (مصر: دار النهضة للطبع والنشر، 1977) ص161.

² وزارة المجاهدين. "كفاح المرأة الجزائرية"، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، ط2، (الجزائر: مطبعة دار هومة، 2007) ص271.

³ المرجع نفسه، ص271.

الأولى التي يتوقف عليها ثبات المجتمع واستقراره وانتظام أحواله [...] وأوحت بأهمية صلاح الأسرة من أجل صلاح المجتمع.¹

ورغم الطبيعة المقاومة للتدخل الأجنبي، نجد أن سكان الريف الجزائري تقبلوا الشريعة الإسلامية وعملوا بها، كما لم يعملوا ببقية الشرائع والأنظمة التي مثلتها الدول المتواجدة بالجزائر قبل التواجد الإسلامي "وتكيف الإسلام مع الأسرة الجزائرية وتكيفت مع الإسلام وأخذت شيئا فشيئا تقلع عن عاداتها الأكثر تعارضا مع الشريعة الإسلامية".²

ونجد أن تركيب العائلة البارز في المجتمع الإسلامي هو عبارة عن امتداد واستمرار نموذج اجتماعي موجود مع تغيير وصقل في جزء من الوظائف والعلاقات وبعض من العادات والتقاليد³

في ظل ما تقدم ذكره نستطيع القول بأن البناء الاجتماعي في الجزائر قديما كان قائما على العائلة كركيزة أساسية وهذا بناء على شواهد متعددة:

- الطبيعة القبلية والتجمعات في أماكن معينة لمقاومة التدخل الخارجي تفرض نوعا من الارتباط والاستقرار لإمكانية تكوين عائلات كبيرة يستطيع أبناءها الدفاع عن أراضيهم.

- دلت المكانة المرقومة التي تمثلها المرأة الجزائرية آنذاك (الكاهنة كقائدة حربية) على وجود رقي في النظام الاجتماعي يعزز من مكانة المرأة ودورها.

- الجزائر كانت محل أطماع الكثير من الدول بسبب موقعها الإستراتيجي الذي أدى بها إلى تكوين علاقات مع الكثير من الشعوب المجاورة فلم تكن بمنى عن الأنظمة الاجتماعية المعروفة آنذاك.

- تقبل سكان الريف الشريعة الإسلامية لتأكيدهم من عدم تعارضها مع أغلب الأسس والخطوط العريضة في الحياة الاجتماعية.

- قام الإسلام بتقويم هذه العادات والتقاليد وصقلها وحسن في نوعية العلاقات ونظم أمور كثيرة متعلقة بالأدوار والمعاملات... إلخ، ومن بين الأمور التي حددها هو موضوع

¹ محمد يسري إبراهيم دعبس. الأسرة في التراث الديني والاجتماعي، (مصر: دار المعارف: 1995) ص 106.

² وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 273.

³ محمد صفوح الأخرس، تركيب العائلة العربية ووظائفها (دمشق: مطبعة وزارة الثقافة، 1977) ص 26.

الانتساب"حيث كانت العائلة المسلمة على مدى قرون من نوع العائلة[...]الأكثانية"¹ فتركز نظام العائلة منذ مجيء الإسلام للجزائر على الانتساب الأبوي وما ينتج عليه من حقوق وواجبات.

1-2- البناء العائلي في المجتمع الريفي أثناء الاحتلال الفرنسي:

إن العائلة في المجتمع الريفي الجزائري اعتنقت الديانة الإسلامية وعملت بموجب شرائعها فعززت بها خصائص بنائها، الاجتماعي من خلال تدعيم أواصر القرابة والتعاون والدفاع عن الوطن.

وتعتبر العائلة المؤسسة الأولى في تسيير حياة الريف من خلال أنها تحقق الأمن الاجتماعي والاقتصادي والفكري لأفرادها، ولقد ذكرنا في نقطة سابقة من هذا الفصل أن المقاومة تجلت لدى المجتمع الريفي، من خلال تعاضد أفرادها والعمل الجماعي والترابط القرابي وتميزهم بالاستماتة في الدفاع عن الوطن.

ونستطيع تلخيص طبيعة البناء العائلي في هذه الفترة التاريخية من خلال النقاط التالية:

- "لم تتغير بنية الأسرة الجزائرية منذ [التواجد الإسلامي]"² وكان هذا نتيجة لعدم تعارض الطبيعة الاجتماعية للعائلة الجزائرية مع مضمون الشريعة الإسلامية.
- تمثلت البنية الاجتماعية للجزائر - في المرحلة التي صاحبت تواجد الاحتلال الفرنسي - بأنها ذات بيئة ريفية من حيث تركيب السكان.
- اعتبرت العائلة آنذاك أنها أهم وحدة ومؤسسة اجتماعية واقتصادية وأمنية.
- تميزت العلاقات آنذاك بالترابط القرابي والقبلي والعمل الجماعي والتضامن العضوي.
- عمل أفراد العائلة الريفية على الدفاع المستميت عن الوطن من خلال الدفاع عن الأرض.
- من جهة أخرى نستطيع تلخيص السياسة الاستعمارية في المجتمع الريفي الجزائري من خلال النقاط التالية:

* الاكنت هو الشخص المنحدر من نسب الأب أو التابع للنسب الأبوي، مصطفى بوتفوشة، أحمد دمري. المرجع السابق، ص15.

¹ المرجع نفسه، ص 15.

² وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص274.

- اعتبار المجتمع الريفي العائق الأكبر والعمل على توجيه أكبر ضربات الهدم إليه.
- معرفة الاستعمار لأهمية البناء العائلي في المجتمع الريفي وتركيز الانتباه عليه.
- التخطيط والعمل على سياسات معينة هدفت من خلالها تهديم هذا البناء لتفتيت العمل الثوري والقضاء عليه من خلال:
- تهديم دور العلم والعبادة والعمل على نشر الجهل.
- انتزاع الأراضي من أصحابها بقوة السلاح، ليجد الفلاح الجزائري نفسه قد تخطى عن أهم ركيزة في حياته الاجتماعية.
- العمل على غرس قيم متطفلة على القيم الإسلامية ونشرها في أوساط المجتمع الريفي وهذا من خلال البناء العائلي "فدخلت" [...] الخرافات إلى المجتمع وتسربت إلى الأسرة ونشأت عقلية بعيدة كل البعد عن الإسلام، رغم أنها نشأت في ظله وباسمه.¹
- ونجد أنه حسب ذات المصدر، نسبة الأمية في الجزائر بدخول المحتل كانت تتراوح بين 10 بالمئة و20 بالمئة بينما في الشعب الفرنسي تراوحت الأمية بين 80 بالمئة و90 بالمئة وهذا في سنة 1830.
- ونجد أنه وبحلول 1872 لم يبق سوى نسبة ضئيلة ممن كانوا يحسنون القراءة والكتابة من خلال التقليل والتهجير.
- ومن خلال المعطيات السابقة يتضح لنا أن الاستعمار الفرنسي حاول في فترة تواجه القضاء على قيم مهمة عند الإنسان الريفي من بينها العلم واحترام المرأة والعمل وفق الشريعة الإسلامية الغير متعارضة مع أسس البناء الاجتماعي في هذا المجتمع.
- غير أن المتتبع لهذه المراحل التاريخية والمتفحص فيها يجد أن البناء العائلي في الريف قام بدور كبير في دحض هذه المحاولات والعمل على مقاومتها بكل السبل والوسائل.
- وبين محاولات الهدم والمقاومة استطاع البناء العائلي في الريف على الحفاظ على بعض من قيمه وتغيير أخرى أو فقدانها - وهذا ما سنتعرض له في الأجزاء القادمة من هذا العمل.

¹ وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص274.

1-3- البناء العائلي في المجتمع الريفي في الفترة الانتقالية:

إن من أهم ما ذكرنا أن السياسة الاستعمارية إبان ثورة التحرير حاولت بكل الوسائل والطرق تهديم البناء العائلي في المجتمع الريفي، وتناولنا كيف أنها اتجهت إلى تخريب دور العلم والثقافة بالإضافة إلى انتزاع الأراضي من أصحابها وزرع قيم متطفلة على الثقافة الجزائرية، ومن بين أهم الأمور التي نجدها انتشرت في البناء العائلي الريفي في سنوات الاستقلال هي ما يلي:

الجانب الأول:

الذي تغير في قيم الإنسان الريفي هو التراجع في الإقبال على العلم ومجالات الثقافة خاصة لدى الأنثى فقد "كانت لا تتلقى تعليمها إلا نادرا"¹

بالإضافة إلى التحول من التشاور والديمقراطية في العائلة إلى الاستعمال المفرط للسلطة الذكورية خاصة في المسائل المتعلقة بحياة المرأة كمسألة التزويج حيث أصبحت الفتاة "وهي بالغة تزف [...]. كسلعة يتم تحديد ثمنها في السوق ولا يسمع رأيها ولا تستشار"² وقد تعود هذه الأمور إلى الترسبات التي استطاعت فرنسا غرسها من خلال سنوات الثورة على مهاجمة وتدمير الفكر والعلم قبل الصناعة والزراعة.

الجانب الثاني:

ومن جانب آخر نستطيع التأكيد من خلال ما سبق التطرق إليه في هذا العمل أن البناء العائلي في المجتمع الريفي استطاع أن يحافظ على أمور كثيرة من بينها:

- العمل ضمن منظومة علاقات قرابية مترابطة، فنجد أن العصبية اتجاه الأرض وميزة العمل الجماعي من أهم الأمور التي لم يستطع الاستعمار القضاء عليها.

ومن أهم المظاهر التي كانت تمثل العمل الجماعي في الريف هو ظاهرة التوزيع* وانتشار نمط العائلة الممتدة، وهذا للحفاظ على نسق البناء الاجتماعي والموسوم بالسلطة المطلقة للأب الذي يتفاخر بإنجاب العدد الكبير من الأبناء و تزويجهم وتكوين أسر نووية

¹ وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص 275.

² المرجع نفسه، ص 275.

* التوزيع عبارة عن تظاهرة اقتصادية اجتماعية رياضية وثقافية، ففي التوزيع إلى جانب العمل الاقتصادي البذر، الحرث الحصاد،... إلخ يتبارى المشاركون للحصول على أحسن حصاد، سباق في الجري على الأقدام أو فوق الخيول إلى جانب تبادل الآراء والأخبار وكذلك عقد اتفاقيات كالشراء والبيع والخطبة والزواج أنظر بلقاسم بوقرة، المرجع السابق، ص: 168 169.

تتشترك في نفس السكن الذي يتسع لأفراد العائلة ويرتبط بوجود مكان الحقل لتسهيل التعاون والعمل الفلاحي الذي يشترك فيه أفراد العائلة.

وبهذا بقيت العائلة تعتبر أهم وحدة إنتاجية في الريف الجزائري، واستمرت العائلة على هذا النحو في المجتمع الريفي إلى وقت قريب أدى إلى تغير في أجزاء هذا البناء ونطاقه، وهذا ما سنثبته في هذا العمل، من خلال الفصل الثالث وأيضا من خلال النزول إلى الميدان.

جدول رقم 1- يبين نمو السكان للمجتمعين الحضري والريفي في الجزائر منذ سنة 1886 إلى سنة 1998

السنوات	السكان					
	مجموع السكان	%	الريف	%	الحضر	%
1886	3752037	100	3228606	86.1	523431	13.9
1906	4720947	100	3937884	83.4	783090	16.6
1926	5444361	100	4344218	79.9	1100143	20.1
1931	5902019	100	4654288	78.9	1247731	21.1
1936	6509638	100	5078125	78.0	1431513	22.0
1948	7787091	100	5948939	76.4	1838152	23.6
1954	8614704	100	6456766	75.0	2157938	25.0
1966	12022000	100	8243518	68.6	3778482	31.4
1977	16948000	100	10261215	60.0	6686785	40.0
1987	23038942	100	11594693	50.3	11444249	49.7
1998	29100863	100	12133916	41.7	16966937	58.3

المصدر: مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية باتنة.

تؤكد لنا الإحصائية المقدمة في الجدول أعلاه، على النقاط التي تطرقنا إليها سابقا وأكدنا من خلالها على أهمية الريف في المجتمع الجزائري وأن التعداد السكاني به كان أكبر من الحضر ولسنوات طويلة، لأسباب تناولناها سابقا؛ ومن أهمها أن المدن الحضرية كانت

مأهولة من طرف المستعمرين، وأن السكان الأصليين في الجزائر كان يلتجئون للأرياف محصنين أنفسهم بالكهوف والجبال لقيادة العمل الثوري.

ونلاحظ أيضا أنه إلى غاية سنة 1998 كان المجتمع الريفي يعبر عن أكثر من نصف المجتمع الجزائري، لذا فهو يحتاج إلى دراسات متعددة ومتنوعة بهدف تطويره والاستفادة من الطاقات البشرية والموارد الطبيعية لتطوير البلاد.

2- أنماط وأشكال العائلة الريفية في الجزائر:

قبل التطرق للأشكال العائلية التي يعرف بها البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري لا بد لنا وأن نتطرق لبعض المفاهيم والمصطلحات السوسيولوجية التي تفسر لنا بعض من التحليلات المتوصل إليها في هذا المجال.

ف نجد أن هناك مسميات عديدة للبناء العائلي تصب أو تلتقي في كثير من الجوانب مثل: أسرة التوجيه، أسرة الإنجاب، الأسرة الزوجية، الأسرة النووية، الأسرة الممتدة.

فرغم تعدد المصطلحات واختلافها ، إلا أننا نجدها تتطرق لمفهوم واحد، مع تعدد المسميات السوسيولوجية وهذا ما سيتضح لنا من خلال ما يلي:

أسرة التوجيه: "تتمثل في الأسرة التي يولد فيها الفرد ويتلقى داخل إطارها تنشئته الاجتماعية"¹ يتضح لنا من خلال هذا المفهوم أن مصطلح التوجيه ينبني على أسس معينة قد يقصد بها الأسرة الممتدة أو الأسرة النووية، حيث أن عملية التوجيه من أهم مقاصد التنشئة الاجتماعية التي يتولاها الوالدين على وجه التخصيص.

أسرة الإنجاب: "عندما يتزوج الفرد ويترك أسرته يخلق لنفسه [أسرة أخرى] تتكون منه ومن زوجته وأطفالهما تسمى حينئذ أسرة الإنجاب"²

الأسرة الزوجية: "هي الأسرة الزوجية المؤسسة وفق عقد زواجي يحتوي الأب والأم وأطفالهما ويعيشون تحت سقف واحد"³

¹ محمد يسري إبراهيم دعبس. المرجع السابق، ص66.

² سناء خولي. الأسرة والحياة العائلية، (بيروت: دار النهضة العربية، 2002) ص41.

³ Famille histoire de la famille ;(éditions des connaissances modernes: 2000)p14.

بالتعرض إلى مفهوم أسرة الإنجاب والأسرة الزوجية نجد أنهما شكلان لمفهوم واحد وهي الأسرة التي تشمل الأب والأم والأبناء، وهذا ما تمثله الأسرة النواة وهي تعرف " كوحدة تبدأ بمراسيم الزواج وتستمر خلال الحياة وتكون العلاقات الزوجية قاصرة على الزوجين، ويتركز الاعتماد الاقتصادي داخل الأسرة النواة وليس على أي من الأقارب، وهي من الناحية الاقتصادية تعتمد على دخل الزوج من عمله وربما أيضا على مرتب الزوجة"¹

مما سبق التعرض إليه نجد أن الفرد قد يعيش في أسرتين، الأسرة التي تلقى فيها عملية التنشئة الاجتماعية وتسمى عائلة التوجيه وقد تكون أسرة ممتدة أو نووية.

والأسرة التي يلعب فيها دور الأب وتسمى أسرة الإنجاب، وبتكوينه لهذه الأسرة قد يستقل بمسكن ودخل خاص فيطلق عليها مصطلح الأسرة الزوجية أو الأسرة النواة.

الأسرة الممتدة: "تجمع بين أسرتين نوويتين أو أكثر ينتسبون إليها من خلال امتداد علاقة الأب بالابن، بمعنى عن طريق التحاق الأسرة النووية للبالغ المتزوج بأسرة والديه"²

بعد التطرق لهذه المصطلحات أو المفاهيم التي يزخر بها حقل علم الاجتماع العائلي نجد أن أهم الأشكال التي تعد واضحة المعالم هي الأسرة الممتدة والأسرة النووية، ولقد تطرقنا لهذين المفهومين في العنصر المتعلق بعملية تحديد المفاهيم، لكن وللضرورة العلمية المتعلقة بالاستفاضة المستلزمة لمزيد من الشرح أعدنا التطرق لهذا العنصر، حتى يتضح لنا ومما سبق الشكل المعروف الممثل للبناء العائلي في الريف حيث " تكون العائلة الريفية بصورة عامة أكثر تعقيدا في تركيبها من العائلة الحضرية إن هذا التركيب المعقد ناتج عن سكن بعض الأقارب مع العائلة الريفية مما يجعل الطابع العام لها من النوع الممتد [مع التواجد النسبي للعائلة النووية]"³

نستطيع التوصل إلى خلاصة بسيطة حول الشكل أو النمط السائد في المجتمع الريفي الجزائري وهو الشكل أو البناء العائلي الممتد الذي يحتوي عدة أسر نووية تشترك في المسكن وهذا يعود إلى عدة أسباب من بينها: أن هذا المجتمع ذو طبيعة زراعية يحتاج إلى اليد العاملة والتي توفرها الأسرة الكبيرة بالإضافة إلى قدسية العلاقات القرابية والإيمان

¹ سناء خولي. المرجع السابق، ص 65.

² عبد الهادي الجوهري. قاموس علم الاجتماع، ط3، (مصر: المكتب الجامعي الحديث، 1998) ص 20.

³ محمد عبد الهادي دكلة. قاسم محمد الفرخان، المرجع السابق، ص 185.

العميق بضرورة التكافل والتضامن الذي يتوفر من خلال التواجد والتجمع في نفس المكان غير أن الحاصل في المجتمعات الريفية أنها توجهت توجها جديدا نحو التغير والاستقلالية في السكن وانتشار الأسرة النووية - حسب الفرضية في دراستنا هاته - بالإضافة إلى تغير العديد من وظائف العائلة الريفية، وهذا ما سنتطرق له في الفصول اللاحقة.

3- الخصائص التي تمتاز بها العائلة الريفية في الجزائر:

يتميز البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري بخصائص كثيرة تميزه كبناء ممتد وسنتعرض لبعض منها والتي تعتبر الأكثر انتشارا في المجتمعات الريفية الجزائرية.

3-1- الارتباط بالأرض والحيوان :

إن أهم ما يميز العائلة في الريف الجزائري هو ارتباط الفرد بالأرض والحيوان والعمل في هذا الميدان، حيث أن "العمل في الأسرة الريفية يكادون متجانسا وموحدا"¹ ونجد أن الأرض تشكل للإنسان "مصدر الحياة ومكان العمل المقدس ورعايتها والتفاني في بذل مجهود لزراعتها مصدر إشباع كبير وهدف يحاول كل فرد أن يصل إليه"² من جهة أخرى نجد أن الفرد في العائلة الريفية مرتبط ارتباطا وثيقا بالحيوان حيث يعتمد عليه في كثير من الأحيان كالحرث وإنتاج اللحوم والألبان وغير ذلك.

وارتباط الإنسان بالأرض والحيوان أكسبه خبرة ومعرفة كبيرتين في هذا المجال فأصبح الفرد في العائلة الريفية مطلعا على خفايا الأرض والحيوان من زراعة وحرث ونوع بذور وشؤون الطقس وبعض من علم البيطرة وأمراض النبات،... إلخ، بالرغم من "ضيق أفقه الثقافي وجهله بمبادئ القراءة والكتابة"³

3-2- خاصية الزواج كواجب اجتماعي:

يعتبر الزواج من أهم الأمور التي تنصب في اهتمام العائلة الريفية في الجزائر، لما له من أهمية مقدسة في النظام الاجتماعي الريفي.

¹ مصطفى الخشاب. دراسات في الاجتماع العائلي، المرجع السابق، ص294.

² محمد عاطف غيث. دراسات في علم الاجتماع القروي، (بيروت: دار النهضة العربية) ص135.

³ مصطفى الخشاب. دراسات في الاجتماع العائلي، المرجع السابق، ص295.

ويقوم الزواج على عدة مرتكزات في المجتمع الريفي أهمها: التشجيع على الزواج المبكر، الإقدام على الارتباط داخل النسق القرابي، وأيضا اختيار العروس يتم من طرف الأهل... إلخ

والزواج في الريف "لا يعني إتحاد الرجل والمرأة ولكن هو بمثابة تحالف بين عائلتين أو جماعتين من الأولياء"¹ ويعود هذا الأمر إلى تدخل الجماعة في حرية الأفراد، وذلك من خلال اختيار الشريك الأنسب للارتباط وفق النموذج الاجتماعي المعمول به في الريف.

تخضع مسألة الزواج في المجتمع الريفي لأحكام نابعة من التقاليد والعادات أكثر من مصدرها الديني الذي يرجع إليه الكثير من المحللين دوره كمرجعية يعتمد عليها الإنسان في الريف، ودليل ذلك أن الدين الإسلامي أعطى حرية الاختيار للشريكين ولم يفوض الأمر للعائلة وأيضا شجع التزاوج خارج النسق القرابي أكثر من داخل النسق القرابي للمضار الصحية قبل أي شيء.

والأمر الذي حدث في الريف هو تداخل قيم متطفلة مع المنظومة القيمية والمستقاة من الشريعة الإسلامية واعتمادها كقواعد اجتماعية ثابتة كالتزويج حسب اختيار الأولياء وكذلك الاعتماد على الترابط القرابي،... إلخ .

3-3- الحياة الاجتماعية والمحافظة على التقاليد:

إن الحياة العائلية الريفية تتميز بالمحافظة على التقاليد* المتعارف عليها لدى هذا المجتمع، فتمارس العائلة النموذج المقبول وترفض ما دون ذلك، بل ويستهن كل من يخرج عن هذا النمط الاجتماعي المشروع والذي يمثل مزيجا من أوامر دينية وأخرى وضعها المجتمع الريفي حسب الحياة وما تقتضيه ضرورياتها فصنعت التقاليد التي توارثها الأجيال عن طريق التنشئة الاجتماعية.

ومن بين هذه الأمور التي أصبحت قانونا متعارفا "القرابة و ما يترتب عليها من احترام وطاعة على أساس السن و العادة، والسيادة على أساس الجنس وما يترتب عليها من

¹ راضية لبرش. المرجع السابق، ص55.

* التقاليد هي قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي وهي تستمد قوتها من المجتمع وتحتفظ بالحكم المتركمة وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع ويتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل، أنظر حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة والمجتمع، المرجع السابق، ص154.

سيادة الرجال على النساء و أهمية الأرض و القدر العظيم للعمل الزراعي وما يترتب عليه، من قيم عائلية و استبعاد القيم الفردية"¹

3-4 خاصية التفرقة بين الجنسين :

تتميز العائلة الريفية في المجتمع الريفي الجزائري بميلها إلى إنجاب الأولاد الذكور أكثر من الإناث لاعتبارات مجتمعية ترسخت في الأذهان تعكس تفكير الإنسان الريفي الذي يعتبر أن الذكر قوة وجاه ويعتمد عليه في كثير من الأعمال خاصة الزراعية منها، وأيضا يعتبر ميلاد الذكر استمرار النسل للعائلة، حيث أن البنت تنتسب إلى عائلة أخرى بمجرد زواجها "ويلاحظ في الأسرة الجزائرية [خاصة الريفية منها] مجموعة من السلوكيات والممارسات الاجتماعية التي تعكس هذا الإطار الثقافي الذي يميز بين الجنسين"²

قد تتمثل هذه السلوكيات فيما يلي:

- الاعتماد على الذكر في كل شيء منذ نعومة أظافره واستبعاد الأنثى.
- تكون عملية الرقابة الاجتماعية شديدة على المرأة أكثر من الرجل.
- منح الرجل فرصة التعليم والعمل وتهيئة الفتاة للزواج فقط بمجرد اكتمال نموها الفيزيولوجي، وتنشأ الفتاة من خلال ما تراه وما تلقن به من سلوكيات في هذا المجتمع، في وسط يجعل من الذكر في منزلة أرفع منها وهذه التقاليد الراسخة "تعمل على تدعيم انسحاب المرأة من العلاقات الاجتماعية خاصة في الخارج، ومن جهة ثانية تريد أن تقنعها بدونيتها دون الرجل وبالتالي بتبعيتها الغير مشروطة له في كل الميادين"³ وهذا نتيجة للقيم الاجتماعية في الريف والتي تنقل ضمن عملية التطبيع الاجتماعي.

¹ محمد عاطف غيث. دراسات في علم الاجتماع القروي، المرجع السابق، ص140.

² راضية لبرش. المرجع السابق، ص52.

³ المرجع نفسه. ص53.

4- الأدوار التي يمثلها أفراد الريفية:

إن الحديث عن الأدوار التي يمثلها الأفراد في العائلة الريفية، يقودنا إلى التعرض للدور الذكوري البارز في هذا المجتمع وانفراده بالسلطة في قيادة العائلة في أغلب المواقف حيث " لا يزال الأب في الأسرة الريفية صاحب سلطان كبير على النساء والأولاد، فهو يشرف على شؤون حياتهم ويكفلهم بأعمالهم"¹

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى وضع قرارات متعلقة بمصير الأولاد والبنات، وهذا في مسألة اختيار شريك الحياة كما تعرضنا له سابقا.

فالدور الذي يقوم به الأب أو العنصر الأكبر سنا في العائلة يتعلق بممارسة السلطة وتطبيق الأحكام العرفية في العائلة من أوامر ردية وقيمة وحتى تقرير المصير في نواحي الحياة الاجتماعية" ولقد عرفت الأسرة الجزائرية في سنوات الاستقلال سلمية بحيث كان يترأس الأسرة في الريف رجل ذوسن أكبر وبعد وفاته مباشرة يتولى ابنه الأكبر رئاسة الأسرة وأن كل ما يملكه يصبح ملكا لابنه من بعده"²

والملاحظ من تحليل العلماء أن الشيخوخة في الريف تحضى بمكانة كبيرة وأيضا تستأثر بالأدوار القوية المتعلقة بالأمور الاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية في العائلة الريفية.

ونتيجة للدور الذكوري البارز والمهيمن انقسم المحيط الاجتماعي في الريف إلى عالمين "عالم يكافح فيه الرجال في سبيل تأمين الرزق، وعالم خاص داخل البيت تمارس فيه النساء المهمات المنزلية من إنجاب وطهي وتنشئة أطفال"³

ورغم ما يبدو من دور مهم في قيادة العائلة الريفية من طرف الأب، إلا أن للمرأة دور يعتبره بعض من المحللين الأهم من دور الرجل، وذلك لما تقوم به من أعمال تضمن الاكتفاء الذاتي للعائلة الريفية، ونقصد هنا دورها في العملية الاقتصادية المتعلقة بالأعمال الزراعية من حث وفلح وتربية دواجن وأبقار.... وصناعات تقليدية تنمو في السياحة الريفية، وكفاح المرأة الريفية في سنوات الاحتلال خير دليل عن دورها البارز في دفع عملية

¹ أنور العقاد. دراسات في المجتمع العربي، (سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1969) ص 96.

² راضية لبرش. المرجع السابق، ص 50.

³ حليم بركات. المجتمع العربي المعاصر (بيروت: مركز دراسات الوحدة، دون ذكر سنة نشر) ص 179.

قيادة العائلة وتأمين الحماية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية لبقية الأفراد تستطيع التوصل إلى أن تقسيم الأدوار في العائلة الريفية غير عادل -حسب ما يظهر من تحليل العلماء- فرغم ما للمرأة من دور مهم في إرساء معالم وحماية العائلة الريفية وضمان التأمين الاجتماعي والاقتصادي لها إلا أن الرجل يظهر بمظهر القائد المنفرد بالسلطة والهيمنة والمقدرة على القيادة وهذا ما كرسته التقاليد والتعاليم المتعارف عليها في الريف والمقبولة كنموذج اجتماعي به .

5- بعض المشكلات التي تواجهها العائلة الريفية في الجزائر :

لقد تعرضنا في هذا الفصل بشيء من التحليل لخصائص البناء العائلي الريفي وأشكاله المعروفة بالإضافة إلى الأدوار المهمة التي يمثلها أفراد العائلة الريفية، وجدنا أنه ولمزيد من التوضيح والدقة العلمية لابد وأن نتطرق إلى المشاكل التي تواجهها العائلة الريفية وهذا لعدة أسباب أهمها محاولة معرفة المشاكل التي يتعرض لها هذا البناء للتعلم السوسيولوجي في طبيعته الاجتماعية.

5-1- مشكلة التعليم:

تشير التحليلات العلمية- والتي تعرضنا لبعضها في نقاط سابقة في هذا العمل- أن المشكلة الأساسية في المجتمع الريفي هي الأمية والتي كان للاستعمار الفرنسي دورا كبيرا في تخليفها ونشرها في المجتمع الريفي.

وكانت الفئة النسوية هي الأكثر تضررا من هذا الدمار، حيث وإلى وقت قليل لم يكن يسمح للفتاة في الريف بأخذ القسط الوافر من التعليم وهذا عائد إلى أسباب كثيرة من بينها:

- العادات والتقاليد المترسبة في المجتمع الريفي والتي تعتبر تعليم الفتاة شيئا خارجا عن النموذج الاجتماعي المعمول به.

- الاقتناع بأفضلية الرجل على المرأة في تحصيل العلم، وهذا على أساس أن أفضل مكان للمرأة هو البيت.

- تدريب الفتاة منذ الصغر على أعمال الطبخ والأعمال المنزلية وهذا لتكوينها للزواج والذي يعتبر من بين أهم الثوابت الاجتماعية في الريف.

في الريف يتم تزويجها في وقت باكر بمجرد اكتمال نموها الفيزيولوجي وأيضا لا تستشار في حالات كثيرة في تقرير مصيرها ونشاطها.

5-2- مشكلة العمل:

إن أغلب أفراد العائلة الريفية يعملون بالمهن الزراعية كالفلاحة وتربية الحيوانات وهي أعمال موسمية يعتمد فيها على فصول معينة تتمثل في مواسم نزول الأمطار، فنجد أن الفلاح يعاني من البطالة في أغلب أوقات السنة وهذا لعدم انفتاحه على أعمال أخرى غير الزراعة وهذه العملية بطبيعتها عمليات غير متصلة، بل تتخللها أيام بطالة لا يقوم الفلاح فيها بأعمال زراعية¹

5-3- مشكلة بعض السمات النفسية المشتركة:

يشارك أهل الريف في بعض الصفات النفسية التي كرسها طبيعة الحياة الاجتماعية وما فرضته من نموذج متعارف عليه ومقبول لدى الجماعة الريفية .

بعض من هذه الصفات السلبية هي صفة الانطواء وأيضا الإيمان المفرط بالقضاء والقدر حيث من المعروف أن الإنسان الريفي يخشى الانفتاح على الغير لإيمانه أو توقعاته الذهنية التي تصور له إمكانية التمرد على نمودجه الثقافي أو تغيير بعض من المفاهيم التي يؤمن بها ،أيضا من الأمثلة التي تعد صارخة في المجتمعات الريفية والتي تعبر عن الإيمان المفرط بالقضاء والقدر هي أن الإنسان في الريف "لا يهتم كثيرا بما سيأتي به المستقبل [...]" حيث لا يخطط لبعيد ولا يصمم للمستقبل، ويعود ذلك للإيمان المفرط بالقضاء والقدر²

ومما يدعم هذا الرأي اعتماد الفلاح-كما ذكرنا سابقا- على الأمطار التي تسقي أرضه وعدم السعي إلى وسائل تطوير الري واعتماد الوسائل الحديثة.

مما سبق التطرق إليه نستطيع التوصل إلى أن المشاكل التي تعاني منها العائلة الريفية تختلف بالتأكيد عن طبيعة المشاكل لدى العائلة في المدينة.

حيث أن طبيعة الحياة الاجتماعية والبيئة المحيطة تفرضان نوعية مشاكل خاصة بكل مجتمع، وعلى سبيل المثال نجد أن المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها المدينة تعد قليلة جدا في الريف، كمشكلة الطلاق أو التفكك الأسري...؛ وهذا عائد إلى الدور الذي تلعبه السلطة الاجتماعية في الريف وقدرتها الردعية لمثل هاته الأمور المستهجنة في هذا المجتمع.

¹ علي فؤاد أحمد. المرجع السابق، ص79.

² محمود الأشرم. المرجع السابق، ص46.

خلاصة:

لقد تناولنا في هذا الفصل المجتمع الريفي والبناء العائلي في مراحل زمنية ومتوالية ولم يكن الهدف من هذا مجرد سرد تاريخي وعرض قصصي، بل أردنا أن نلقي الضوء ولو بجزء بسيط على أهم المعطيات الاجتماعية التي شكلت مجتمعا بمختلف أنساقه الثقافية والاجتماعية والقيمية ...

وأردنا التركيز على المرحلة الانتقالية- وهي المرحلة التي كانت بعد الاستقلال -لأن العائلة في المجتمع الريفي كانت لا تزال تعاني من آثار التخريب والجهل والفقر بفعل الاستعمار، الذي عمل على تخريب قيم العلم والمساواة التي كانت بين الرجال والنساء بالإضافة إلى قمع الدور القوي الذي لعبته المرأة الريفية في الثورة الجزائرية.

وبفعل هذا التخريب عانت العائلة الريفية في سنوات الاستقلال من التخطي في القيم التي طالما آمنت بها وعملت بها، كقيم التضامن والعلاقات القرابية المتينة واحترام المرأة ودورها القوي.

وبين قيم الخرافة التي أحدثت النظرة الدونية نحو المرأة في الريف واستبعادها من المراكز العلمية والدراسية...، بالإضافة إلى القيم التي عززت من العزلة عن الحضر والاقتناع بثقافة الإيمان المفرط بالغيبات وربط كل ظاهرة بأسباب ومصادر خرافية كالإيمان بمسائل السحر...الخ.

هذه الأمور عرقلت تطور الريف، وإمكانية تثقيف الشباب والمرأة، بالإضافة إلى قوقعته وعزلته عن الحضر، واستمر هذا الأمر لفترة زمنية ليست بالقليلة.

حتى تعرض هذا المجتمع إلى زلزال قوي أدى بقدر كبير إلى تغيير في الذهنيات والاتجاهات، وهذا ما سنتعرض له في المرحلة القادمة.

الفصل الثالث

تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري

- تمهيد

- أولاً: الوظائف التي لعبتها العائلة في الريف الجزائري

1- الوظيفة الإنجابية.

2- التنشئة الاجتماعية.

3- نقل القيم الاجتماعية وترسيخها.

4- البناء والتعمير.

5- الوظيفة الاقتصادية.

- ثانياً: التغير الذي مس البناء العائلي في الريف الجزائري

1- الطبيعة الاجتماعية للريف خلال العشرية السوداء.

2- دور المشاريع التنموية في تغيير وضعية الريف.

3- وسائل الإعلام والاتصال ودورها في تغيير العائلة الريفية.

4- تغير القيم التقليدية للعائلة الريفية.

5- بناء العائلة الريفية المتغيرة ومظاهرها.

- خلاصة.

تمهيد :

تقوم العائلة الريفية بمجموعة من الوظائف والأدوار الاجتماعية التي تحفظ استمرارية النموذج الاجتماعي المعمول به في الريف، حيث تسعى من خلال وظيفة الإنجاب إلى الزيادة الكمية في الأفراد وذلك للاستعانة بهم في أعمال العائلة الزراعية.

وتقوم العائلة من خلال نمطها الممتد إلى تنشئة مشتركة لهؤلاء الأفراد من خلال تطبيعهم بقيم التضامن والشجاعة وتمتين العلاقات القرابية، وفي نفس الوقت تعودهم على صورة اجتماعية تهدف إلى وضع الرجل والمرأة في مكانتين اجتماعيتين مختلفتين؛ حيث تتعود الفتاة في الريف على هذه الصورة وتقبل كونها أدنى من الرجل، ذلك لأن الصورة الاجتماعية في هذا المجتمع فرضت عليها قبول هذا الوضع، حيث يعتبر التمرد على النسق القيمي الريفي خروجاً على المألوف والمشروع ويلقى استهجاناً اجتماعياً واسع النطاق بالإضافة إلى اختزال وتصغير مساحات الاختيار للمرأة فيما يخص مسائل التعليم والزواج وفي ظل هذه الرؤية نجد أن العائلة الريفية ولفترة طويلة -خاصة في سنوات الاستقلال- عملت بازدواجية فيما يخص مسألة القيم ...

ونتيجة لعوامل متعددة كالتصنيع والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي صاحبت المجتمع، بدأت الأسرة تتغير شيئاً فشيئاً، وهذا لا يعود إلى عامل التصنع وحده¹، " فلقد عرف المجتمع الجزائري تطوراً سريعاً لمجموعة عوامل كالعلاقات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية وجميع التحولات مع المجتمع الحضري"²

ومن بين العوامل التي أسهمت وأثرت في المجتمع الجزائري وقلبت كيانه؛ فترة العشرية السوداء والتي سنتحدث عنها في هذا الفصل بالإضافة إلى دور الإعلام والاتصال وما أسهم به من نشر للوعي والأفكار الجديدة التي هيأت المجتمع الريفي للتكيف مع المشاريع التنموية التي قامت بها الدولة لإصلاح ما أفسدته العشرية السوداء.

¹ Martine Segalen. Sociologie de la famille, (paris.1984) p8.

² M'hammed Boukhobza. Monde Rural contraintes et Mutations, (Alger: office des publications universitaires.1992.) p5.

أولاً: الوظائف التي لعبتها العائلة في الريف الجزائري:

تتميز العائلة الريفية كونها البناء الأساسي في هذا المجتمع، وتقوم بوظائف وأدوار عديدة على مر السنين ومن بين أهمها تلك التي اعتمدنا على إدراجها في هذه الدراسة.

1- الوظيفة الإنجابية:

إن الزوج هو النظام الوحيد والمشروع الذي تقره الشرائع السماوية والأعراف؛ في تنظيم العملية الجنسية وحفظ النوع البشري، وذلك من خلال العلاقة المقدسة التي تربط بين الرجل والمرأة في إطارها الاجتماعي المقبول لهدف تكوين أسرة تعمل على إنجاب الأطفال "بقصد التعمير واستمرار الحياة الاجتماعية"¹.

ويتميز البناء الاجتماعي في الريف بحثه على الزواج المبكر وداخل النسق القرابي لعدة مقاصد وهي:

- تنظيم العملية الجنسية والحد من إمكانية تواجدها خارج إطار الزواج.

- تدعيم أواصر العلاقات القرابية وتكثيفها.

- الإنجاب المبكر لضمان فرص أكبر للإنجاب عدد كبير من الأبناء "رغبة في العزة والعصبية والأمن الاجتماعي"²، حيث فرضت الضروريات في الريف؛ الإيمان العميق بعزوة الأولاد والاعتماد عليهم في مختلف أوجه الأنشطة في الحياة الاجتماعية الريفية والتي تتميز في الأساس بالعمل الزراعي الذي يتطلب اليد العاملة

المنتبغ للفصول السابقة من هذا العمل، يلاحظ أننا تطرقنا وفي أكثر من مرة لطبيعة الحياة العائلية بالريف وأهم خصائصها، حيث يتميز الإنسان الريفي بارتباطه العميق بالأرض والدفاع عنها وأصبح هذا المطلب ضرورة اجتماعية بالريف استلزمت لجوء العائلة إنجاب العديد من الأولاد لتقوية مكانتها الاجتماعية والتفاخر بهاته النتيجة المرجوة.

¹ جابر عوض سيد، خيرى خليل الجميلي . الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة (مصر: المكتبة الجامعية 2000) ص33.

² سليم الحسنية. تنظيم الأسرة فكريا وواقعيا وطموحا (سوريا: وزارة الثقافة، 1998) ص39.

ونجد أن الإنجاب في الريف مرتبط "بقواعد تمثل في جملتها تنظيمات اجتماعية تتحكم فيها العادات والتقاليد المجتمعية"¹، حيث يعتبر الأبناء -وفق النسق القيمي في الريف- سندا للعائلة خاصة في أعمالها الزراعية من فلاحه وغرس وحرث وتربية حيوانات وكل ما يتعلق بأوجه النشاط الريفي.

2- التنشئة الاجتماعية:

تعتبر العائلة في الريف الجزائري أهم مؤسسة تمثل البناء الاجتماعي، حيث قامت ولفترة زمنية طويلة بممارسة أهم الوظائف المتعلقة بحياة الإنسان في الريف، فبعد مرحلة الإنجاب، تأخذ العائلة الريفية على عاتقها مسؤولية تعليم أبنائها أصول الحياة، وتطبعهم بالصفات الاجتماعية التي تعكس صورة النموذج المقبول والمشروع في هذا المجتمع، وهذا من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وتعتبر حسب تعريف كلاوسن "أنها تحتوي على العمليات التي التي بها يتم دمج الطفل في الإطار العام لأسرته ومجتمعه، مما يساعده فيما بعد على أداء واجب تجاه الأسرة والمجتمع بكفاءة"².

من جهة أخرى نجد أن عبد الهادي عفيفي يعرفها بأنها عملية "إكساب الفرد شخصيته في المجتمع لمساعدته على تنمية سلوكه الاجتماعي الذي يضمن له القدرة على استجابات الآخرين وإدراك أهمية المسؤولية الاجتماعية، وبذلك يتحقق قدر مناسب لدى الفرد من التجاوب الاجتماعي النفسي"³.

من خلال هذا المنطلق نجد أن التنشئة الاجتماعية في بناء العائلة الريفية تعتبر عملية هامة وركيزة ضرورية في تطبيع الأبناء بالصفات المعروفة والمقبولة اجتماعيا، وأيضا تعتبر عملية هامة لتمرير القيم الريفية وتكريسها؛ كحب الأرض والتضامن والتكافل...، وهي "عملية مستمرة لا تقتصر على مرحلة الطفولة، وإنما تشمل مراحل النمو المختلفة التي يمر بها الفرد، حيث يكتسب من خلالها القيم الاجتماعية والمعايير ويمنح القدرة على التفاعل والتكيف مع مجتمعه"⁴.

¹ جابر عوض سيد، خيرى خليل الجميلي. المرجع السابق، ص33.

² مایسة أحمد النیال. التنشئة الاجتماعية، (مصر: دار المعرفة الجامعية، 2007) ص27.

³ جابر عوض سيد، خيرى خليل الجميلي. المرجع السابق، ص61.

⁴ مایسة أحمد النیال. المرجع السابق، ص27.

مما سبق نستطيع التوصل إلى جملة من الخصائص والمميزات المحيطة بعملية التنشئة الاجتماعية وهي:

- عملية اجتماعية أكثر منها نفسية، حيث تشمل الجانب العقائدي والفكري والاجتماعي والنفسي...
- عملية مستمرة لا تقتصر على مرحلة الطفولة، بل تمتد إلى مرحلة أو مراحل متقدمة في حياة الشخص.

- تعتبر عملية جماعية يتولاها جميع الأفراد في العائلة الريفية ولا تعتبر عملية فردية.
- هي عملية لتنميط سلوك الطفل ووضعه في قالب اجتماعي يشمل القيم والعادات والتقاليد والسلوكيات المقبولة في المجتمع والمشروعة فيه.
- هي عملية تعلم واكتساب من قبل الطفل، ومن جهة أخرى تعتبر عملية تطبيع اجتماعي وترسيخ القيم العامة من قبل الأهل.

- تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية لضمان التواصل بين الطفل ومجتمعه المحيط والمتمثل بداية في العائلة كأهم مؤسسة اجتماعية.

2-1- دور العائلة في التنشئة الاجتماعية:

تلعب العائلة دورا مهما في نقل النموذج الاجتماعي للمجتمع الريفي لأبنائها من خلال وظائفها المتعددة التي تمارسها في عملية التنشئة الاجتماعية؛ حيث تكون الأسرة الحضان الذي يتربى فيه الطفل ولسنوات طويلة يبقى مرتبطا بها ويكون خبرته الاجتماعية من خلالها، لأن العائلة تمثل العنصر الثابت في تكوين شخصية الطفل على خلاف العوامل الأخرى المتمثلة في الأصدقاء أو المدرسة "ويقع على الأسرة أكبر قسط من واجب التربية البدنية والوجدانية والخلقية والدينية والتنقيفية في جميع مراحل الطفولة، بل في المراحل التالية لها، ويرتبط مبلغ أدائها لهذه الوظائف بتكوين الوالدين وطبيعة الوسط الاجتماعي ثقافيا"¹

¹ عبد القادر لقصير. المرجع السابق، ص74.

وتمثل العائلة جماعة اجتماعية مصغرة تحمل السمات الرئيسية نفسها للمجتمع حيث تقوم بنقل هذه السمات للأطفال ومن خلالها ينمي الطفل اتجاهاته وأنماطه السلوكية والقيم التي يهتدي بها¹

ومن بين الوظائف التي تقوم بها العائلة الريفية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية هي وظيفة إعداد الطفل " للعيش في مجتمعه والتعامل مع غيره تعاملًا يعود على الجميع بالخير والسعادة وهذا لا يعني أنها يجب أن تكون ذكاءه الاجتماعي، الذي يتجلى في القدرة على بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين"²

من خلال ما سبق يتضح لنا أهمية البناء العائلي في عملية التنشئة الاجتماعية للأسرة تقوم بتأمين الحماية الجسدية والنفسية والاجتماعية لأبنائها وتقوم بتعليمهم قيم مجتمعهم وتعاليمها وهذا للحصول على أبناء يحملون السمات الاجتماعية المتعارف عليها. حيث "تعتبر الأسرة في كافة المجتمعات الإنسانية من أكثر الجماعات الأولية تماسكا، ولذلك تؤدي إلى نمو الألفة والمحبة والشعور بالانتماء بين أعضائها، كما تيسر فيها عمليات الاتصال وتنشيط عملية انتقال العادات والاتجاهات من الآباء إلى الأطفال"³

2-2- البناء العائلي الريفي وعملية التنشئة الاجتماعية:

يعتمد الأفراد في العائلة الريفية الجزائرية على مضامين اجتماعية معينة يكرسونها من خلال التنشئة ويرمون بواسطتها إلى المحافظة على القيم والعادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية المتعارف عليها والمقبولة كنموذج اجتماعي يمثل الحياة الريفية.

ومن بين أهم هذه المعايير أو القيم التي طالما حافظت عليها العائلة في الريف؛ العلاقات القرابية المترابطة والتي يحافظون عليها بالزواج داخل النسق القرابي بالإضافة إلى الاشتراك في سكن واحد من طرف عدة أجيال (والدين، الأبناء المتزوجون، الأحفاد...).

ومن جهة أخرى وكوجه آخر للقيم التي تورثها العائلة الريفية لأبنائها قيمة الأرض والمحافظة عليها إلى جانب القيم المتعلقة بالكرم والجود واحترام الكبير ومنحه مكانة

² زباني دريد فطيمة. "من مظاهر التفكك الأسري" في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 14 (جامعة باتنة: 2006) ص: 86 87.

² السعيد عواشيرة. "الأسرة الجزائرية" في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، (باتنة: المؤسسة العمومية الاقتصادية، 2005) ص 116.

³ محمود حسن. الأسرة ومشكلاتها، (لبنان: دار النهضة العربية، 1967) ص 21.

اجتماعية مرموقة قد تؤهله في كثير من الأحيان لتولي منصب يفضي من خلاله في النزاعات العائلية عن طريق أحكام تستمد مشروعيتها من أعراف المجتمع الريفي، ويعتبر تطبيقها واجبا اجتماعيا من قبل الجميع وهذه القيم تتواجد في المجتمع الريفي "ظاهرة الذوبان في الجماعة العائلية [حيث] يتعرف الطفل منذ الصغر على مفاهيم الجماعة التي ينتمي إليها التي تسطر حدوده وتعلمه محددات لسلوكه الاجتماعي"¹

والتنشئة الاجتماعية في المجتمع الريفي اعتمدت على العائلة كأهم مؤسسة اجتماعية حيث يتلقى الطفل تعاليمه فيها وثقافته وقيمه، ولوقت قريب وحسب ما تطرقنا إليه سابقا من خلال تحليلات العلماء- لم يكن التعليم من بين الأمور التي يشجع عليها الإنسان في الريف خاصة تعليم الفتاة وهذا نتيجة للقيم التي تداخلت مع القيم الدينية وتطفت عليها وتمثلها الإنسان في الريف وآمن بها من خلال الجهد الذي قام به المستعمر في تخريب المنظومة القيمية وغرس خرافات وجدت لنفسها مكانا في العائلة الريفية.

فانفردت العائلة في الريف بعملية التنشئة الاجتماعية مكرسة لغرس قيم توارثها الأجيال جيل عن جيل، وأصبح أول شيء يربى عليه الإنسان في الريف هو الإيمان بوجود عالمين "عالم داخلي مقدس وهو العائلة والتي تمثل عالم الأمن والأمان والمرجع الملاذ الذي يجد فيه كل ما يريد، وعالم خارجي هو المجتمع الذي يمثل عالم الخطر والتهديد والعدوانية"²

فأصبح كل ما هو خارج عن القيم المجتمعية في الريف مرفوض وغير مقبول ويعتبر محاولة لتهديم المعايير الاجتماعية التي تعتبر -حسب التقاليد الريفية- سليمة وتحقيق الأمن الاجتماعي.

وتعتبر التنشئة الاجتماعية في الريف حكرا على العائلة ويشترك جميع الأهل (الجد، الجدة، الوالدين، الأعمام، الأخوال،...) في عملية توجيه سلوك الطفل نحو حمل السمات الاجتماعية والثقافية والقيمية في الريف وعدم الخروج عن إطارها؛ حيث لم تكن للمؤسسات الاجتماعية دورا في عملية التنشئة الاجتماعية في الريف كدور الحضانة، ودور الطفولة والشباب... وهذا لطبيعة المجتمع الريفي المحافظ، في حين نجد أن المؤسسة الدينية في الريف والمتمثلة في المسجد لعبت دورا مهما في عملية التنشئة الاجتماعية؛ من خلال محاولات غرس القيم

¹ راضية لبرش. المرجع السابق، ص56.

² المرجع نفسه. ص56.

الدينية، والتشجيع على الامتثال للأوامر الإلهية، غير أن التخلف الذي عان منه سكان الريف في المرحلة الانتقالية كان نتيجة للأمية التي خلقتها الثورة وأدت إلى تداخل القيم الخرافية مع القيم الدينية، فابتعدت عن الدين واعتمدت في أحيان كثيرة على الخرافة والإيمان المفرط بالغيبات وربط الكثير من الظواهر بها...

وأيضاً ربط مختلف الظواهر بالقضاء والقدر، والذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى توريث عقلية الاتكال والابتعاد عن النموذج الإنساني الذي يمعن التفكير ويفهم أن لكل ظاهرة سبب.

ونستطيع الإشارة إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية في بناء العائلة الريفية تعتمد على ازدواجية في المضامين، فهي تنقل وتكرس قيم دينية واجتماعية تزيد في روابط العلاقات كقيم التضامن والتكافل واحترام الكبير...

ومن جهة أخرى تعمل لتوجيه سلوك الأبناء نحو قيم لا علاقة لها بالدين، وتعمق من التخلف في هذا المجتمع، كتزويج الفتاة دون الأخذ برأيها، وحرمانها من فرصة التعليم والعقلية الإتكالية، وإرجاع كل شيء للقدر، بالإضافة إلى الأمور التي تسهم في زيادة التفرقة بين الجنسين - وقد تطرقنا إلى هذا سابقاً - وتعمق من الدور الذكوري في العائلة.

وللتذكير فإن ما تطرقنا إليه ليس عبارة عن أحكام ذاتية عن المجتمع الريفي، بل هو امتداد لما تعرضنا له سابقاً بالاستناد إلى المراجع العلمية والتحليلات التاريخية والسوسيولوجية.

3- نقل القيم الاجتماعية وترسيخها:

3-1- مفهوم القيم:

إن مفهوم القيمة كمصطلح انتشر استخدامه في العلوم الاجتماعية - حديثاً - ولعل توماس وزنانيكى في كتابهما الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا كانا أول من استخدم لفظة "قيم" وقد استخدم علماء الاجتماع الآخرون ألفاظ أخرى مثل الطرائق الشعبية أو العرف أو التصور الجمعي للإشارة إلى الجوانب الثقافية التي لها صفة التقييم والتي يتطلبها أي مجتمع ويمتثل لها أعضاؤه¹

ونجد أن القيمة في مجتمع ما تمثل المقياس الذي يعكس صورة المسموح به والمرفوض في هذا المجتمع وهذا ما يعبر عنه بالنسق القيمي وهو "تلك المجموعة من المبادئ التي تربط الفرد بهويته والمجتمع بتقاليده و تنظيم العلاقات بينهم"² وتعد القيم "المضمون المعنوي للسلوك وهو مضمون ينتمي إلى عالم المعتقدات والأفكار والمجردات ولذلك فإن القيم لا يحس بها، أي لا ترى ولا تلمس ولكن الأفراد يشعرون بوجودها ويحسون بمظاهرها وآثارها في أعمالهم وأفعالهم وممارساتهم"³

من خلال ما سبق، نجد أن العلاقة بين الفرد والثقافة والمجتمع هي علاقة دائرية؛ كل متغير يؤثر في الآخر بطريقة ما بمعنى أن وجود القيم في البناء الاجتماعي يشكل معايير الأنظمة الاجتماعية ووجودها لدى الأفراد يساعد على تشكيل الثقافة، والأفراد يتوارثون القيم عن ثقافتهم عن طريق التعود⁴ أو عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي (التنشئة الاجتماعية) التي لها دور في نقل القيم المتمثلة في النموذج الاجتماعي المقبول في مجتمع ما .

وبالنسبة للقيم فهي تعد نسبية، لأنه ما يصلح في مجتمع ما ويعد مقبولا، قد يعتبر قيمة سلبية أو مرفوضة في مجتمع آخر وللإشارة "تتفق المجتمعات العربية حول العديد من القيم والتي تكون مستمدة عادة من الدين، ولكن هذا لا يمنع وجود اختلافات بينها"⁵.

¹ محمد أحمد بيومي. علم اجتماع القيم، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2002) ص105.

² المرجع نفسه، ص114.

³ حسن الساعاتي. علم الاجتماع القانوني، ط3، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968) ص ص: 64 65.

⁴ محمد أحمد محمد بيومي. المرجع السابق، ص114.

⁵ سناء قلمامي. "صراع الأجيال حول القيم داخل الأسرة الجزائرية" رسالة ماجستير، (جامعة باتنة: 2003) ص90.

ومن بين هذه القيم التي قد تتفق عليها المجتمعات العربية ؛ هي قيم التضامن والتكافل واحترام الأسرة والعلاقات الزوجية المقدسة... وهناك قيم أخرى تعتبر متطفلة على الدين ووجدت لنفسها مكانا معززا بعوامل قوية كعنصر الاحتلال الطويل -لقد فسرنا هذا سابقا - ومن بين هذه القيم تلك المتعلقة بشؤون المرأة خاصة في المجتمع الريفي، حيث أنه في الفترات الزمنية الموازية لسنوات الاستقلال، كان هناك إيمان عميق واعتقاد راسخ بعدم تكوين المرأة علميا وثقافيا اعتبارا لدورها المهم والذي يبدأ للتحضير له ومن سن مبكرة في المنزل، وهو دور الزوجة والأم.

وكانت هذه القيمة من أهم المعايير الاجتماعية المعمول بها في الريف، والتي تنقل ذهنيا وعمليا وترسخ عبر عملية التطبيع الاجتماعي على أنها القيم التي تحفظ البناء الاجتماعي بالريف، وبهذا فإن القيم تعبر عن "الرغبات والأهداف المتفق عليها اجتماعيا والتي تدخل في عمليات التعلم والتنشئة الاجتماعية"¹

مما سبق نستطيع التوصل إلى أن مفهوم القيم، هو مفهوم مجرد لا يمكن قياسه بالأدوات الحسية والملموسة، ويرتبط وجوده بعدة مفاهيم وأطر وهي: البناء الاجتماعي الزمان، المقبول و المرفوض، عملية التنشئة الاجتماعية،...

- طبيعة القيم والاعتقاد بها يعبر عن أمور فوقية عن المجال الحسي، متمثلة في الأخلاق والارتباط الديني ومجموعة السلوكات المشروعة في مجتمع ما.

- تنقل القيم وتترسخ عبر الزمان، فهي إذن عملية مستمرة وثابتة نسبيا قد تتغير استجابة لتغير ما يرتبط بها من أهداف وغايات ومبررات لوجودها.

- ترتبط القيم أيضا بكيان اجتماعي؛ فكل مجتمع له قيمه الخاصة المعبرة عن النموذج الاجتماعي المقبول به وهي - القيم - تختلف من مجتمع لآخر.

- تترسخ القيم وتنقل من جيل إلى جيل عبر عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يجازى الطفل ويعاقب حسب تصرفاته المقبولة أو المرفوضة، فيبدأ ومن صغره بالتعرف على النموذج المقبول الذي سيكون بينه وبين باقي أطراف مجتمعه علاقة جيدة بناءا على اتصافه وحمله للقيم التي تعتبر مشروعة في هذا المجتمع.

- وتعد القيم مسألة نسبية، فما هو مقبول في مجتمع ما يعد مرفوضا في مجتمع آخر.

¹ غريب محمد سيد أحمد. المرجع السابق، ص271.

3-2- مفهوم القيم الاجتماعية:

هي "أحكام بالمرغوب فيه حسب معايير المجتمع وما يشمل عليه، من مجموعات وجماعات ذلك لأننا في أحكامنا التقويمية على ألوان السلوك اللفظي والعملي مقيدون بمعايير المجتمع وبأحكامه التقويمية التي تعطي لنا جاهزة، فنستدمجها [] ونتمثلها في عقولنا أثناء عملية التربية أو التنشئة الاجتماعية"¹ وتعتبر القيم الاجتماعية "من أهم الوسائل للتمييز بين أنماط الأفراد والجماعات في حياتهم وهي تتغلغل في حياتهم، وترتبط عندهم بمعنى الحياة ذاتها لارتباطها الوثيق بدوافع السلوك والأهداف ولها دور أساسي في النظم الاجتماعية"²

3-3- رواد علم الاجتماع ودراسة القيم:

يعتبر موضوع القيم من أهم المواضيع التي تناولها العلماء في جميع الميادين بالتحليل والدراسة فلقد اهتم بها الفلاسفة وعلماء النفس والاقتصاد... وكل عالجه من منظوره الخاص، غير أن دراستها في علم الاجتماع كانت حديثة نوعا ما من خلال دراستها كمصطلح اجتماعي، وهذا لم ينف تعدد الدراسات الاجتماعية في هذا الصدد.

وسنكتفي بأهم رواد علم الاجتماع الذين تعرضوا لهذا الموضوع بالتحليل والدراسة من بينهم - على سبيل المثال - توماس وزنانيكى، دوركايم، ماكس فيبر.

توماس وزنانيكى:

لقد تطرقنا فيما سبق إلى دور هذين العالمين لإرساء قواعد علم اجتماع القيم كونهما أول من وضع مصطلح "القيم" وذلك من خلال كتابهما الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا بالإشارة إلى الجوانب الثقافية المتعلقة بصفات التقييم التي يتطلبها أي مجتمع، وعرفا موضوع بحثهما على أنه "القواعد الرسمية الظاهرة للسلوك والتي عن طريقها تستمر الجماعة وتنظم وتجعل أنماط الأفعال المتصلة دائمة وعامة بين أعضائها"³

وكانت المنطلقات الفكرية لهما في بناء النظرية الاجتماعية تعتمد على نقطتين أساسيتين وهما: القيم والاتجاهات معتبرين إياهما وحدة النظرية الاجتماعية، حيث تمثل القيم

¹ حسن الساعاتي. المرجع السابق، ص 64.

² سناء قلمامي. المرجع السابق، ص 91.

³ محمد أحمد محمد بيومي. المرجع السابق، ص 79.

موضوعات لها معنى عند أعضاء المجتمع، بينما تمثل الاتجاهات الخصائص الذاتية للأفراد نحو القيم.

أما عن الانتقاد الموجه لهما يتمثل في أنهما لم يتطرقا إلى فروقات كافية من الجانب الدراسي بين مصطلحي القيم والاتجاهات، بالإضافة إلى كونهما مصطلحين غامضين وأيضا لم يحدد الباحثان كيفية عمل القيم في تشغيل الاتجاهات والعكس¹.

دور كايم:

إن اهتمام دور كايم بموضوع القيم كان متجليا من خلال كتاباته وتحليلاته في ميدان علم الاجتماع ولعل أهم إسهاماته حين أكد على دور نسق القيم في تحديد السلوك الاجتماعي بالإضافة لرفضها للعملية التقييمية التي يقوم بها الفرد تأكيدا على المستوى الاجتماعي للقيم. وبالنسبة لمفهوم الشعور الجمعي أو النسق القيمي عنده، يلاحظ أنه أسس لفكرة الاعتقادات المشتركة أو القيم العامة.²

ولعل أبرز أفكاره في هذا الموضوع تلك التي تناولها في كتابه "تقسيم العمل في المجتمع" حيث تناول موضوع التضامن العضوي والتضامن الآلي، وما في ذلك من اختلاف قيمي حيث تصدى في هذا الكتاب "للتغيرات التي تحدث في المجتمع نتيجة للتكنولوجيا وكيف يؤثر ذلك في نسق القيم والتوقعات المشتركة وطبيعة النظام الأخلاقي وأطلق دور كايم على ذلك اسم التضامن العضوي في مقابل التضامن الآلي المتأصل في نسق القيمة العامة أو في العقل الجمعي الذي هو تعبير عنه"³.

يعتبر دور كايم أن التضامن الآلي يكرس في المجتمعات الغير صناعية كالريف ويحمل قيم مشتركة ترمي للوصول إلى الأهداف والغايات الجمعية، في حين أن التضامن العضوي يحمل قيم تقسيم العمل التي تكون من خلالها علاقات ثانوية - تطرقنا لهذه النقطة في فصل سابق -

¹ محمد أحمد محمد بيومي. المرجع السابق، ص80.

² المرجع نفسه، ص ص: 74 73.

³ المرجع نفسه، ص74.

من جهة أخرى في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية، نجد أن دور كايم في تحليله للدين وعلاقته بالمجتمع قد وضع تأكيداً على دور القيم باعتبارها ميكانيزمات للتضامن الاجتماعي¹ ورفض التفرقة بين ماهو مثالي وواقعي أو بين القيمة والواقع "فالمجتمع بالنسبة لدور كايم هو الواقع الذي ينمي بين أعضائه ماهو فوق عضوي"²

حيث يعتبر دور كايم المجتمع بأنه مقدس، وفي هذا التقديس يرى أنه يبجل ويعبر عنه رمزياً، أي أن القيم والمثل المعبرة عن الواقع الاجتماعي وكل ماهو مقدس؛ تعتبر رموز للمجتمع وبهذا نجد أن دور كايم لم يفصل بين نسق القيمة والمعنى الأخلاقي له وبين الطبيعة الحقيقية للمجتمع.

"ولكن يعاب على دور كايم أنه لم يكن مهتماً بالتغير أو بصراع القيم، كذلك لم يبذل أي محاولة منظمة لتمييز وتصنيف محتويات نسق القيمة أو العقل الجمعي، كذلك لم يذهب في تحليله لمعرفة الدوافع المشكلة للالتزام بالقيم أو الامتثال للمعايير"³.

ماكس فيبر:

نجد أن العالم ماكس فيبر في دراسته لموضوع القيم ارتكز على عدة منطلقات وهي:

أ- التركيز على الربط بين الفعل الاجتماعي ومعناه (نسق القيمة).

ب- التركيز على الأداة التي نفهم بها هذا الفعل.

ج- التركيز على دراسة القيم من خلال الدين والفكر الرأسمالي.

مفهوم الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر هو "السلوك الإنساني الذي يعطيه الفرد معنى [...] ويتضمن فكرة لهدف"⁴، ومن خلال هذا المبدأ، نجد أن ماكس فيبر أظهر اهتماماً واضحاً بين الفعل ومعناه الذي يشكل نسق القيم أو المعايير التي تدفع بالإنسان لسلوك معين دون الآخر؛ ولفهم هذا السلوك لابد من ربطه بنسق المعنى المشكلة له.

¹ محمد أحمد محمد بيومي. المرجع السابق، ص75.

² سناء قلمامي. المرجع السابق، ص102.

³ محمد أحمد محمد بيومي. المرجع السابق، ص76.

⁴ المرجع نفسه، ص76.

من جهة أخرى وفهم هذا الفعل؛ لابد لنا من التوصل لأداة علمية وصفها ماكس فيبر من خلال طريقتين¹:

الطريقة الأولى: عن طريق المشاركة من خلال التقمص أي وضع تصور في مقام الفاعل، وبهذا يستطيع أن يشارك في تجربته.

الطريقة الثانية: وهي النموذج المثالي حيث "يرى فيبر أن كثيرا من القيم المطلقة التي توجه سلوكنا الاجتماعي لا يمكن فهمها عن طريق التصور التقمصي وبدلا من ذلك فإنه من الممكن أن نتوصل إلى الفهم ذهنيًا، هذا الفهم الذهني أو الفكري لهذه القيم هو ما يطلق عليه فيبر النموذج المثالي"²، ولقد "أقام فيبر نموذجا مثاليا للتقاليد الاجتماعية التي تدرك باعتبارها وسائل لتوجيه الفعل الاجتماعي مثل: الطرائق، العادات، التوجه العقلي، الموضة، العرف القانون"³

لقد ساهم ماكس فيبر في تطوير الدراسات المتعلقة بعلم الاجتماع القيم؛ من خلال اهتمامه بالقيم الدينية التي شكلت ظهور الرأسمالية الحديثة معتبرا القيم محركا في التغير التاريخي والثقافي بالإضافة إلى متغيرات أخرى كالتكنولوجيا والمصادر المادية، "ولكنه ابتعد أكثر من ذلك متبعا منهجه الذي قاده إلى أخذ متغير واحد وعزله ومحاولة قياس أهميته في تحقيق الموقف أو الظاهرة وبالتالي اعتبر الدين القوة أو المصدر الأساسي للتغير الاجتماعي الديناميكي"⁴.

خلاصة لفكر رواد علم الاجتماع في موضوع القيم:

كخلاصة للآليات التي عكست تفكير رواد علم الاجتماع في هذا الموضوع نجد أن "مرجع القيم ثابت عند علماء الاجتماع الكلاسيكيين، خاصة دور كايم وماكس فيبر[...]. حيث نجد أن ماكس فيبر ركز على أهمية القيم في الفكر الرأسمالي [بالإضافة ربط الفعل

¹ محمد أحمد محمد بيومي. المرجع السابق، ص77.

² المرجع نفسه، ص77.

³ المرجع نفسه، ص78.

⁴ سناء قلمامي. المرجع السابق، ص105.

بمعناه القيمي] في حين نجد دور كايم أقر بوجود اختلاف مهم بين قيم التضامن الآلي وقيم التضامن العضوي¹.

ورغم أننا تطرقنا إلى توماس وزنانيكى كونهما أول من وضع مصطلح القيم، غير أننا نريد الإشارة إلى دور العلامة ابن خلدون في تطرقه لهذا الموضوع؛ حيث كان سباقا على الفكر الغربي في هذا المجال.

ولقد عرضنا أهم أفكاره في الفصل الخاص بالمعالجة النظرية للمجتمع الريفي؛ وضمن ما جاء فيها أنه درس القيم أو تطرق إليها من خلال المقارنة التي وضعها بين قيم الإنسان في الريف ونظيرتها في المجتمع الحضري، مركزا على أهم الفروقات والعوامل الاجتماعية التي تؤثر في نوعية القيم ومضمونها.

وكانت أفكاره -كما أكدنا سابقا- أقرب لتفسير طبيعة المجتمع الريفي الجزائري.

3-4- مصادر القيم:

إن الحديث عن مصدر القيمة، يعتبر من بين أكثر الموضوعات تعقيدا واختلافا وعدم استقرار على رأي واحد وهذا لعدة أسباب:

أ- القيم تعتبر نسبية وتختلف طبيعتها من مجتمع لآخر.

ب- ترتبط باختلاف الزمان أيضا

ج- تعدد المرجعيات التي يستند إليها الكائن الاجتماعي، خاصة في العالم العربي والمقصود هنا الدين، العرف، العادات، التقاليد،...وقلة أو انعدام هذه المرجعيات في العالم الغربي.

وهنا تقع نقطة الاختلاف، فلا نستطيع إسقاط الدراسات الأوروبية والأمريكية على مجال مجتمعنا في هذا الصدد؛ للاختلافات السابقة.

غير أننا سنحاول الاستفادة من النظريات الأقرب في تفسير مجتمعنا، بالإضافة إلى لمحات من الواقع المعاش وأيضا ما توصلنا إليه في المراحل السابقة من هذا العمل، وعليه فسنتناول

¹ Raymond Boudon, Dictionnaire critique de la sociologie, (France : Press universitaires de France, 1986) p663.

عنصر: مصدر القيم في جوانب متعددة لنستطيع التوصل إلى رأي علمي يستند إلى المادة العلمية الأقرب في التفسير الاجتماعي والابتعاد عن إلقاء الأحكام الذاتية على الموضوع.

أولاً- الدين كمصدر القيم:

لقد تطرق رواد علم الاجتماع لدور الدين كمصدر للقيم، وسنتطرق له في هذا الموضوع بناء على تحليلاتهم وأيضاً لاعتبارات أخرى تتمثل في أن الدين المعبر عنه بالشريعة الإسلامية في الجزائر يعتبر المرجعية الأساسية في المنظومة القيمية الجزائرية سواء بالنسبة للقانون الوضعي أو العرف الاجتماعي.

إن الدين من وجهة نظر علماء الاجتماع يعتبر مصدر أساسياً للقيم، حيث نجد أن كلا من دور كايم وماكس فيبر تناولوا هذا الجانب بالدراسة والتحليل -ولقد تطرقنا لهذا سابقاً- لكنهما أغفلا في شمولية الدراسة كون أن الطبيعة الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، وأن دراسة الدين كمصدر للقيم وكمغير منعزل عن باقي العوامل قد يشكل النظرة السوسيولوجية الضيقة.

ونحن من خلال هذا المنطلق، نحاول وضع نقاط أساسية حول الدين كمصدر للقيم بالمجتمع الريفي الجزائري - محل الدراسة - وهذا من خلال ما يأتي:

- أنه ومن خلال ما سبق الإشارة إليه، قد يتبين لنا وجود أمرين وهما، أن الدين يعتبر مصدراً قوياً للقيم في المجتمع الريفي، غير أنه ليس المصدر الوحيد والأساسي في تكريس ووضع القيم الاجتماعية، وهذا بناء على شواهد متعددة وهي:

أ- أنه وبالحديث عن القيم الدينية المتمثلة في الشريعة الإسلامية، يتضح لنا أن قيمة "العلم" هي من بين أهم الأركان في المنظومة القيمية للدين الإسلامي، غير أن ما تأكد لنا من التحليلات السابقة، هو عدم بروز هذه القيمة في المجتمع الريفي الجزائري خلال المرحلة الانتقالية، خاصة فيما يتعلق بتعليم المرأة.

ب- قيمة الزواج في الريف، من خلال ما سبق يتضح لنا أنها تحمل ازدواجية في توجه القيم أو في التعبير عن مصدرها، ونقصد بهذا ما يلي:

-يعتبر الزواج في الريف قيمة مقدسة تعبر عن رباط شرعي بين الرجل والمرأة، وهي قيمة دينية أكدت عليها الشريعة الإسلامية.

-ترويج الفتاة دون الأخذ برأيها، وأيضا سحبها من مقاعد الدراسة، على اعتبار حمايتها اجتماعيا فنلاحظ أن هذه القيمة لا تمت للدين بصلة، بل تداخلت معه بناءا على عوامل كثيرة- أسلفنا ذكرها في مراحل سابقة من هذا العمل-

من خلال ما سبق، يتضح لنا أن اعتبار الدين كمصدر وحيد للقيم يمثل الوقوع في النظرة السوسيولوجية الضيقة، والوقوع في خطأ علمي بعيد عن الواقع الاجتماعي، لكننا ومن وجهة نظر أخرى نؤكد على دوره في التكريس لقيم عديدة كقيمة التضامن والرحمة، وتقدير الزواج،...

بالإضافة إلى الدين هناك معطيات أخرى تساهم وبقوة في تكوين القيم وترسيخها في المجتمع كالظروف المحيطة بطبيعته الاجتماعية، والفترة الزمنية المصاحبة له والبيئة ... والمتلخصة في العوامل الاجتماعية.

ثانيا: العوامل الاجتماعية:

يكتسب الإنسان من خلال عملية التطبيع الاجتماعي الكثير من صفاته الاجتماعية من خلال بيئته المحيطة المتمثلة في المجتمع المصغر وهو العائلة، ويورث له من خلال هذا المحيط القيم الممثلة للنموذج الاجتماعي المتميز به دون غيره من المجتمعات؛ لكن التساؤل الرئيسي هو: كيف تكون العوامل الاجتماعية مصدر القيم؟.

وللإجابة على هذا السؤال؛ نستطيع التطرق إلى قيمة العلم وتغيرها بناءا على ظروف مختلفة، فلو كان العمل بها كقيمة دينية، فلماذا تغيرت إثر ظروف فرضتها الثورة فالدين مصدر ثابت ولا يتغير بمرور الزمن، غير أن الظروف الاجتماعية تتغير وقد يكون لها التأثير الأقوى في تغيير هذه القيمة حيث وبناءا على ظروف وعوامل معينة صاحبت المجتمع في تلك الفترة، تراجعت هذه القيمة استجابة لها، فهذا يدل على أن القيم تتغير موازاة بتغير مصدرها والمتمثل في العوامل الاجتماعية المختلفة...

وكمثال اجتماعي صارخ - وللتأكيد على ما سبق- نلاحظ أن القيم المتعلقة بالمرأة تتغير استجابة للظروف الاجتماعية المحيطة بالمجتمع، حيث كانت المرأة في وقت سابق من تاريخ المجتمع قائدة ثورية ولها مكانة اجتماعية مرموقة كالكاھنة، لالا فاطمة نسومر وبمرور الزمن وتغير الظروف الاجتماعية، ونتيجة لانتشار الجهل، أصبحت هذه المرأة

القائدة، مسلوقة الإرادة تزوج دون استشارتها، واعتبرت هذه السلوكات من قيم المجتمع الريفى الذى يحفظ للمرأة كيانها الاجتماعى...!

فكيف نستطيع تفسير هذه القيم؟ للإجابة لابد لنا من التركيز على عدة أبعاد فى النقاط التالية

1- مادامت القيمة تتغير استجابة لظروف محيطية بالمجتمع، فهذا مرده إلى أن مصدرها غير ثابت

2- الدين هو مرجع ثابت بأحكامه وتعاملاته، فى حين أن البيئة متغيرة باختلاف طبيعة ووتيرة التغير.

3- الأمثلة التى أكدنا عليها هى ليست نابعة من أحكام ذاتية، بل هى شواهد موجودة فى المجتمع الجزائرى وهذا من خلال ما توصلنا إليه من المراجع والتحليلات العلمية، حيث أثبتنا سندها فيما سبق.

من جهة أخرى وللتأكيد على أهمية العوامل الاجتماعية كمصدر للقيم، نستطيع الإطلاع على دراسة ابن خلدون فى هذا العمل، حيث كانت أفكاره سباقة لتناول موضوع القيم واختلافها باختلاف العوامل والظروف الاجتماعية - وهذا ما تناولناه فى فصل سابق -

ولقد أكد على أن البيئة وقساوتها الطبيعية فى الريف تنتج قيما معينة استجابة لها كقيم الشجاعة والتضامن والتكافل والقوة والعصبية والارتباط بالأرض وهذا لأن ضروريات الحياة الاجتماعية بالريف فرضت نمطا معيناً من القيم يتماشى مع هذا النسق الاجتماعى.

فى حين أن العيش فى المناطق الحضرية يصاحب وجود قيم مختلفة عن النسق القيمى فى الريف فالإنسان بالحضر -حسب ابن خلدون- يميل إلى العيش المترقى وتسود فيه القيم الفردية الناتجة عن تباعد العلاقات القرابية وتشكل علاقات ثانوية بين الأشخاص.

بناء على ما سبق وكننتيجة للأمر؛ وجدنا أن مصدر القيم فى المجتمع الريفى الجزائرى راجع بالأساس إلى العوامل الاجتماعية المحيطة بالمجتمع، كالبينة والظروف الاجتماعية، والفترات التاريخية المختلفة، وهذا يثبت لنا أنه مادامت القيم تتغير (باختلاف وتيرة التغير) فإن هذا يكون نتيجة للتغير فى مصدرها.

كما وأنه من جهة أخرى، لا نستطيع نفي دور الدين فى التكريس لقيم معينة والحث عليها بالإضافة إلى قيم شجع على التمسك بها من خلال وجودها فى البناء الاجتماعى الجزائرى

حتى قبل التواجد الإسلامي كالتضامن وحب الأرض... والعلاقات العائلية المترابطة والدين دعم وجود مثل هذه القيم التي تساعد على حفظ كيان المجتمع.

3-5- نقل القيم الاجتماعية في الريف وترسيخها:

إن البناء العائلي في الريف وبقيامه بعملية التنشئة الاجتماعية؛ يحاول من خلالها غرس قيم معينة تمثل النموذج الاجتماعي المقبول في هذا المجتمع، والمتتبع لهذا العمل يلاحظ أننا تطرقنا وفي مواطن مختلفة إلى القيم التي تمتاز بها العائلة الريفية في الجزائر خاصة في المرحلة الانتقالية أو المرحلة التي تسبق التغير الحالي، حيث يحمل النسق القيمي في الريف مجموعة مبادئ وتقاليد تعبر عن الترابط القرابي والعائلي بالإضافة إلى أن "القيم الأساسية تدور حول الأرض والأولاد، فالأرض لها قيمة عظيمة لأنها مصدر الحياة والعمل فيها هو النشاط الأول والقيمة العليا العامة"¹

"أما فيما يتعلق بحق المرأة القروية في الزواج واختيار قرينها، نجد أنها محرومة من هذا الحق لأن أمر الزواج متروك للأسرة التي يترأسها الأب، فالزواج في القرية وإلى درجة واضحة إتحاد بين أسرتين أكثر منه بين فردين"²

ونجد أن العائلة الريفية في نقل قيمها وترسيخها لأبنائها تعتمد في تنشئتهم الاجتماعية [على اتخاذ طابع] الجمعية، وهذا عن طريق كبت الدوافع الفردية وإزكاء الدوافع الجمعية"³

من خلال ما سبق التطرق إليه في الفصول الدراسية من هذا العمل: نستطيع أن نتخلص إلى نقاط أساسية تمثل النسق القيمي في الريف الجزائري في المرحلة الانتقالية والتي تسبق مرحلة التغير، وهذه النقاط هي:

1- ارتبط الإنسان في الريف بالأرض وما ينتمي إليها من مهن تخدمها وجعلها بمثابة الشرف.

2- يعتبر إنجاب الكثير من الأولاد (خاصة الذكور) من القيم الأساسية في هذا البناء، وذلك للاعتماد عليهم في العمل بالأرض وأيضاً للتفاخر بهم على اعتبار الاعتزاز والقوة.

¹ غريب محمد سيد أحمد. المرجع السابق، ص282.

² المرجع نفسه، ص284.

³ المرجع نفسه، ص285.

3- القيم المتعلقة بالمرأة تحد من إمكانياتها والاستفادة منها كطاقة اجتماعية، وهذا من خلال سحبها من مقاعد الدراسة، بالإضافة إلى اللجوء في كثير من الأحيان إلى تزويجها دون استشارتها.

4- تعتبر قيمة التضامن الآلي من أبرز القيم في هذا البناء العائلي على اعتبار التكافل والتضامن وتمتين الروابط العائلية.

5- يعتبر الزواج قيمة مقدسة في الريف، وقد يلجأ الإنسان في الريف بالارتباط من داخل النسق القرابي.

6- يعتبر البناء الممتد للعائلة الريفية من أهم صور الترابط العائلي، حيث يستمر الأبناء بالسكن مع والديهم حتى بعد الزواج وإنجاب الأطفال.

7- تعتبر المساهمة من قبل الأهل جميعا في عملية التنشئة من أهم القيم على اعتبار أن هذا من صور العلاقات القرابية المترابطة.

وبالإضافة إلى ما سبق نجد هناك قيم متعلقة باحترام كبار السن والعصية، بالإضافة إلى الدور الذكوري البارز والمهم في النسق القيمي الريفي، حيث ترسخ العائلة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية أهمية السلطة الذكورية في قيادة هذا البناء.

4- الوظيفة الاقتصادية:

إن الوظيفة الاقتصادية في المجتمع الريفي طالما ارتبطت بالزراعة كطريقة حياة حيث سعى الإنسان في الريف ولوقت طويل بتحقيق الاكتفاء الذاتي لأفراده من خلال العلاقات الاجتماعية بالإضافة إلى الحياة الاقتصادية "وكان هذا الاكتفاء نتيجة مباشرة لوجود العائلة كوحدة اجتماعية اقتصادية"¹

والمتتبع للتراث السوسيولوجي، يلاحظ اهتمام العديد من علماء الاجتماع بالعلاقة بين الريف والأرض والعمل الزراعي من خلال الأعمال والدراسات المتعددة؛ ويؤكد أغلبها على أن الأرض بالنسبة للإنسان الريفي قائمة على عدة مرتكزات وهي:

أ- أن الأرض لها علاقة وثيقة بتحقيق الأمن والاستقرار لأفرادها.

¹ محمد عاطف غيث. دراسات في علم الاجتماع القروي، المرجع السابق، ص139.

ب- مكانة الأسرة مرتبطة بالحفاظ على أرضها.

ج- أهمية الأرض تعادل أهمية الأبناء كلاهما مصدر أمان وطمأنينة¹

من خلال ما سبق نستطيع التوصل إلى ثلاث أمور أساسية تسعى العائلة الريفية إلى تحقيقها من خلال الوظيفة الاقتصادية:

1- تحقيق الاكتفاء من حيث الإنتاج الذي تتطلبه الحياة في الريف.

2- تحقيق الاكتفاء الذاتي في نقطة جوهرية في البناء الاجتماعي الريفي؛ وهي اليد العاملة العائلية حيث أننا تطرقنا في مرحلة ما من هذا العمل إلى أن العائلة الريفية تشجع كثرة الإنجاب لأجل الاستفادة منهم كيد عاملة في الأعمال المتعلقة بالزراعة.

3- تسعى الطبيعة الاجتماعية للوظيفة الاقتصادية في الريف إلى تكوين علاقات قرابية تعبر عن الاتجاه الذي يعكس صورة الاكتفاء الذاتي حتى فيما يخص نسق العلاقات الاجتماعية - وهذا ما تكلمنا عنه في خاصية الزواج في الريف داخل النسق القرابي- حفاظا على الملكيات والخصائص الاجتماعية العامة في الريف.

ونجد أن "الارتباط الشديد بالأرض في المجتمعات الريفية هي خاصية تقليدية تميز الاقتصاد الأسري الريفي حيث أن هذا الارتباط يوفر للأسرة الريفية إشباع احتياجاتها الاقتصادية والاجتماعية، فالأرض مصدر للأمان والطمأنينة والقوة والمكانة، كما أنها مصدر للإنتاج والعمالة"²

من خلال ما تقدم، نجد أن الوظيفة الاقتصادية في المجتمع الريفي ارتبطت بالزراعة كطريقة كسب وحياة، بما في ذلك من تحقيق للاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بالإنتاج الاقتصادي الذي تتطلبه الحياة في الريف، بالإضافة إلى العمل على جعل الحياة العائلية (بما في ذلك من علاقات) تتأثر وتتأثر في الأرض.

5- البناء والتعمير:

¹ عدلي علي أبو طاحون. المرجع السابق، ص76.

² المرجع نفسه، ص77.

كبداية مهمة نود التطرق إليها، هي أن المراجع السوسيولوجية التي عالجت موضوع البناء العائلي في الريف الجزائري متناولة وظيفة البناء والتعمير، هي مراجع نادرة جدا وقد لا توجد بهذا المنطلق الدراسي؛ لذا حاولنا الاعتماد على مراجع تقترب في تفسيرها السوسيوريفي لواقع المجتمع الجزائري من خلال التشابه (النسبي) في بناء المجتمعات، أيضا استندنا إلى الطرح التاريخي الذي تطرقنا له في طبيعة المجتمع الريفي والبناء العائلي مروراً بمراحل اجتماعية تاريخية مختلفة -في الفصل السابق- وهذا التزاما بالمصداقية العلمية وتجنب الوقوع في أخطاء الأحكام النابعة من الذات.

- وظيفة البناء والتعمير بالنسبة للعائلة الريفية الجزائرية كانت من الوظائف الأساسية ولها معايير معينة.

- تهدف هذه الوظيفة إلى تحقيق الاستقرار والأمن للعائلة الريفية.

- تبني مساكنها من خلال اتساعها لاحتواء الامتداد في الأجيال، وهذا تحقيقا لمطلب العلاقات العائلية وتكثيفها من خلال الاشتراك في سكن واحد.

- بالإضافة إلى المسكن الريفي يشمل مرافق أخرى كالإسطبل، أو الزريبة، أو بيوت التخزين لأجل فقط الإنتاج الحيواني وحمايته.

- تعتمد هذه الوظيفة في الريف على مبدأ البساطة، فالبيوت الريفية كانت بسيطة في بناءها من خلال تشكيلها الهندسي وأدوات البناء ومكوناته.

من خلال هذه المنطلقات نستنتج أن وظيفة البناء والتعمير في الريف تعتمد على نقاط جوهرية، وهي البساطة في البناء، التكيف حسب متطلبات العائلة (سكن أجيال متعددة) إرفاق السكن بمباني بسيطة لحماية الإنتاج الحيواني، وتهدف أيضا إلى توفير الاستقرار والأمن للعائلة.

تتأثر وظيفة البناء والتعمير في الريف الجزائري بمجموعة من العوامل "أهمها حجم الملكيات الزراعية وظروف حيازة الأراضي الزراعية و العوامل الطبيعية والجغرافية"¹

¹ محمود الأشرم. المرجع السابق، ص38.

وأدت هذه العوامل إلى أشكال استيطان مختلفة، ويقصد بأشكال الاستيطان "طبيعة وتركيب الوحدات السكنية التي يعيش فيها سكان الريف من حيث علاقة بعضها ببعض الآخر وبالمجتمعات السكنية الأخرى"¹

ومن بين هذه الأشكال المتعارف عليها والمتشابهة نسبيا في المجتمعات العربية ما يلي:

أولا - المزرعة المنفردة:

هي الأراضي الزراعية التي يبني فيها المزارع بيته بالإضافة إلى منشآت أخرى كالمخازن والحظائر وينتشر هذا النوع في البلاد التي تكون فيها مساحات الملكية الزراعية كبيرة.

ثانيا - القرية عبر الطريق:

ويبني فيها السكان منازلهم على أرضهم، وفي نقطة التقاء مع أملاك غيرهم من الجيران فيتكون بهذا مجموعة من المباني والمساكن.

ثالثا - القرية الخطية:

وهي التي يعتمد فيها الإنسان الريفي على بناء منزله على طول طريق نهري أو على طريق هام للمواصلات، وبهذا تأخذ القرية شكلا خطيا²

وتعرف هذه الأشكال الاستيطانية في الريف كأهم أنماط سائدة في مختلف المجتمعات، فنجد أن الريف الجزائري يحتوي هذه الأشكال الاستيطانية بناء على ما تفرضه ضروريات الحياة الاجتماعية وظروفها الطبيعية والبيئية المختلفة من منطقة لأخرى.

¹ محمد عبد الهادي دكلة، قاسم محمد الفرحان. المرجع السابق، ص145.

² محمود الأشرم. المرجع السابق، ص ص:38-39.

ثانيا: التغير الذي مس البناء العائلي في الريف الجزائري:

1- الطبيعة الاجتماعية للريف خلال العشرية السوداء:

لقد مر المجتمع الجزائري بأسوأ فتراته التاريخية خلال ما يسمى بالعشرية السوداء وتسمى أيضا بالعشرية الحمراء ويسمى البعض بالحرب الأهلية الجزائرية، وتلك الأحداث استمرت من سنة 1991 إلى 2002، وقتل فيها ما يقارب الآلاف من المدنيين.

وتعد تلك الفترة المأساوية بمثابة البركان أو الزلزال الذي أحدث انقلابا هائلا وتحولات كبيرة في الطبيعة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، ولقد مست جميع الشرائح الوطنية دون استثناء بالإضافة إلى امتدادها نحو القرى والمدن على حد سواء.

تنوعت الجرائم من قتل وذبح إلى اغتصاب وخطف... إلخ، فعاش المجتمع الجزائري فترة ليست بالصغيرة في خوف وتخبط اجتماعي أدى إلى اختلالات عميقة في إيجاد التوازن النفسي والاجتماعي ومن جهة أخرى دلت أغلب المؤشرات في تلك الفترة على أن نتائج الضرر لحقت بالريف أكثر من المدينة، وربما يعود هذا إلى قرب الريف من معاقل الجريمة التي اتخذت من الجبال حصونا لها ومن بين تلك المذابح المأساوية التي تهتز لها الإنسانية "مذبحة قرية ثاليت في 3 أبريل 1997 في المدينة وقتل فيها 52 شخص من مجموع 53 شخص"¹ هذه المجزرة تدل على إبادة قرية بأكملها، والأمثلة في هذه العشرية كثيرة لكن المجال لا يسمح بذكرها كاملة فاكتفينا بمثال على سبيل التذكير أو الإشارة إلى النتائج المأساوية لتلك الفترة من حياة المجتمع الجزائري، حيث كانت المذابح لا تميز بين ذكر وأنثى وبين طفل رضيع أو شيخ طاعن في السن.

نحن بعرضنا البسيط والموجز لتلك الفترة أردنا إلقاء الضوء على نقاط أساسية وهي:

¹ هذه المعلومة مأخوذة من www.google.com

- تمثل العشرية السوداء منعرجا خطيرا أدى إلى أضرار كبيرة في المجتمع الجزائري في جانبيه المادي والمعنوي

- موضوع دراستنا وهو "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" أدى بنا إلى ضرورة الإشارة إلى مختلف المراحل الهامة في تطور مسيرة الريف وأهم الأحداث الاجتماعية والسياسية التي لها دور كبير في تغير هذا البناء بما أنه الوحدة الاجتماعية الأهم في الريف.

- تعرض الريف لأضرار بشرية ومادية في تلك الفترة ساهمت فيما بعد إلى تغير في مفاهيم وقيم ووظائف العائلة الريفية

وجملة لهذه النقاط لابد وأن نؤكد على أن طرحنا لتلك الفترة، لم يهدف إلى البحث في أسبابها، وهذا عائد إلى تضارب الآراء السياسية و التحليلية حولها ،غير أننا تطرقنا إلى بعض من نتائجها و التي كان لها الأثر البالغ في المجتمع الريفي الجزائري ،و من بين أهم المحاور المستخلصة من تلك المرحلة ،و التي تهمنا في موضوع دراستنا ما يلي:

1- رغم تضرر جميع فئات المجتمع من هذه الظاهرة، إلا أنه و كما عرفنا من قبل أن الريف كان متضررا أكثر من المدينة في حالات كثيرة خاصة فيما يتعلق بعمليات الخطف والاعتصاب.

2- هذه الأزمة دفعت بسكان الريف إلى اتخاذ طريق الهجرة نحو المدينة هروبا من القرب المكاني لمعاقل الجريمة.

3- تخلي بعض من الفلاحين عن أراضيهم الزراعية و هذا نتيجة للهجرة.

4- الهجرة الريفية نحو المدن أدت إلى اختلاط الأنساق الثقافية و تمازجها مع بعضها و جعل الجزائر وحدة واحدة تكاثفت فيها الجهود للخروج من الأزمة .

5- تغير الكثير من المفاهيم و القيم خاصة مع جهود الدولة في إحداث التغيير و تدعيم الريف بالمشاريع التنموية و تزويده بوسائل النقل و المواصلات و تدعيمه بمعدات حديثة للإعلام والاتصال و هذا بعد العشرية وما فرضه من ضرورة لتسريع عجلة التنمية وهذا ما سنفصل فيه لاحقا

6- ربما كان للعشرية السوداء ضرر كبير على المجتمع الجزائري، إلا أن الطبيعة الاجتماعية للشعب الجزائري ساعدته على تخطي الأزمة و الخروج بأمور مختلفة أدت فيما بعد إلى التكيف مع مختلف التغييرات المعمول بها.

2- دور المشاريع التنموية في تغيير وضعية الريف الجزائري :

تتجه كل البلدان في العالم إلى الاعتراف بالريف وثقله في المجتمع لعدة أسباب؛ إما بسبب أهمية عدد السكان أو الموارد الاقتصادية التي يحتوي عليها و " قد تسارع هذا التوجه منذ 1994، السنة التي تم فيها توقيع الاتفاقيات المسماة **اتفاقيات مراكش** والتي تم فيها تسجيل المنتجات الفلاحية ضمن المواد السلعية وأخضعت لقواعد المنظمة العالمية للتجارة ¹ ويبين لنا الملحق رقم 2- الإجراءات التي تعكس صورة الاهتمام بالمجتمع الريفي عالميا وفي الجزائر.

أ-تعريف التنمية :

نجد أن مفهوم التنمية في معناه العام يتضمن عدة أوجه ،ولعل أشهر تعريف الذي طرحته الأمم المتحدة ،حيث أن التنمية "عبارة عن مجموعة من الوسائل و الطرق التي تستخدم من أجل توحيد جهود الأهالي و السلطات العامة بهدف تحسين المستوى الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي في المجتمعات القومية والمحلية و العمل على خروج هذه المجتمعات من عزلتها لتشارك بشكل إيجابي في الحياة القومية و تسهم في التقدم العام للبلاد"² تناول هذا التعريف التنمية كونها عملية تستوجب اشتراك المجتمع بما فيه من أفراد وجماعات مع أجهزة الدولة المتمثلة في الحكومة وهيئات متعددة....بهدف تحقيق الرقي والتقدم في مستويات مختلفة أهمها الاقتصاد والثقافة والمستوى الاجتماعي....إلخ

¹ الوزير المنتدب المكلف بالتنمية الريفية، اللجنة الوطنية للتنمية الريفية. التجديد الريفي، (الجزائر:2006)،ص 63.

² عبد الهادي محمد والي. التنمية الاجتماعية مدخل لدراسة المفاهيم الأساسية، (مصر: دار المعرفة الجامعية)ص 49-50.

من جهة أخرى نجد تعريف **لمحمد عاطف غيث** في هذا السياق يرى أن "التنمية هي التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال أيديولوجية معينة لتحقيق التغير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها"¹

نستنتج مما سبق أن التنمية عملية مقصودة خاضعة لخطوات علمية ومدروسة وفق المعطيات الاجتماعية والاقتصادية... إلخ، تنتهجها الدولة بغية الانتقال من وضعية إلى أخرى بهدف التحسين والرقى، ولابد من تضافر الجهود لإنجاح هذه المساعي.

ومن بين الأمور التي تسعى إليها الدول، خاصة دول العالم الثالث في هذا المجال، تحسين وترقية الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الريف من خلال عدة عوامل وآليات؛ أهمها ترقية وتحديث الزراعة وتنمية دور المرأة الريفية وتغير القيم الخاصة بها، تنمية الريف في المجال العلمي... إلخ

ب- مفهوم التنمية الريفية:

"من خلال نشرة البنك الدولي عن التنمية الريفية، ذكر فيها أن التنمية الريفية هي خطة مرسومة مصممة لتحسين نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان الريفيين الفقراء وتستهدف أساسا الحد من الفقر بالمناطق الريفية من خلال [الزراعة] وعلى ذلك فإنها تصمم برامجها لزيادة الإنتاج كما وتحسن مستواه نوعا"²

إن التنمية الريفية هي جزء من مخطط للتنمية شاملة توضع حسب سياسة كل دولة وتفتتت الدول حاليا خاصة دول العالم الثالث أن الريف هو المحرك الأساسي لمختلف أوجه الحياة خاصة الاقتصادية منها بما يوفره من أمن غذائي إذا وجد سياسة نشطة وتحسن تسيير إدارة الموارد الطبيعية لذا فإن الجهود حاليا تتوجه نحو التنمية الريفية بدرجة متزايدة وملحوظة.

³ عبد الرحيم تمام أبو كريشة. دراسات في علم الاجتماع والتنمية، (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2003)

ص: 44-45

² محمد علاء الدين عبد القادر. علم الاجتماع الريفي المعاصر والاتجاهات الحديثة في دراسات التنمية الريفية (الإسكندرية: منشأة المعارف، 2003) ص3

ومن جهة أخرى نجد أن "منظمة الأغذية والزراعة FAO فتتظر إلى التنمية الريفية من خلال تحقيق ثلاثة محاور هي: 1- تنمية الإنتاج الزراعي، 2- تنمية الموارد البشرية من أجل مشاركة فعالة، 3- تنمية قطاع القطاع غير الزراعي بالمجتمع الريفي من أجل توفير مختلف الخدمات وتوفير فرص العمل"¹

من خلال ما سبق نجد أن التوجه نحو التنمية الريفية يعتمد على محاور أساسية وهي تنمية الإنتاج الزراعي من خلال استحداث الآلات وتنويع المنتوجات الزراعية، وتدعيم هذه العملية بتربية مختلف أنواع الحيوانات المفيدة في هذا المجال.

من جهة أخرى وكآلية أساسية تعمل عليها أجهزة التنمية الريفية هي العمل على تنمية الموارد البشرية من خلال فتح آفاق التعليم والتكوين والاستفادة من الكفاءات الموجودة في الريف من خلال تنمية القدرات واستغلالها الاستغلال الأمثل وهذا لضمان نتائج أحسن، فإذا وضعت برامج دون تهيئة الأفراد فهذا يعد هدرا للوقت والجهد والمال.

بالإضافة إلى ما سبق تعمل الخطط التنموية المتعلقة بالريف في مجال القطاعات الغير زراعية من أجل توفير الخدمات، كتنمية السياحة الريفية والاستفادة منها بالإضافة إلى تدعيم الصناعات التقليدية في الريف وتنويع الحرف.... وهذا لتدعيم القطاع الأساسي مع فتح آفاق مهنية متنوعة.

ج- المحاور الأساسية الريفية:

من خلال المنطلقات السابقة نستطيع أن نخلص إلى المحاور الأساسية التي تهتم بها برامج التنمية الريفية في مجتمعات العالم الثالث بما في ذلك دولة الجزائر.

محور التنمية الزراعية:

ويعد الهدف الرئيسي لإحداث التنمية الاقتصادية وإنعاش الاكتفاء الذاتي فيما يخص الغذاء للدول، والنقاط التي تعمل عليها المشاريع التنموية في هذا المجال هي؛ إعادة إحياء الأرياف و تشجيع الزراعة من خلال تقليل الهجرة الريفية نحو المدينة والتي تسببت في قلة اليد العاملة الزراعية وتراجع الإقبال على هذا الميدان.

¹ المرجع نفسه، ص4.

فالأمر الذي تحاول السياسات الوطنية العمل عليه هو تطوير أساليب الزراعة واستحداثها وتنمية القطاع الخدماتي في الريف لاستقطاب الشباب ولجعلهم يستقرون في الريف، ويقبلون على العمل الزراعي الذي يسهم إلى حد كبير في تطوير الاقتصاد.

محور تطوير القدرات البشرية والاستفادة منها:

إن اشتراك جميع فئات المجتمع في العملية التنموية يسهم في إحداث نتائج إيجابية والعمل على استمراريتها، وبالنسبة لهذا المحور تعمل الخطط التنموية على تطوير قدرات كل من الشباب والمرأة والاستفادة من إمكانيات هذه الأخيرة و" دعم دور المرأة في تنمية المجتمع لا يقتصر على مجرد دخولها مجالات العمل إنما ينبغي تثقيفها وتعليمها لتدرك دورها في رعاية الأجيال وتنشئتهم وتحقيق التكامل بين الأسرة"¹

وبالإضافة إلى المحاور السابقة، نجد أن البرامج التنموية المتعلقة بالريف تهدف إلى "النهوض بالقرى وتطوير وسائل الإنتاج الزراعي، والارتقاء بالخدمات الاجتماعية والتعليمية والصحية دفعا للتنمية الزراعية التي تعتبر من أهم مقومات التنمية الاقتصادية"²؛ حيث أن توفير مناخ منتعش ومستقر في النواحي الاقتصادية والخدماتية والصحية والتعليمية يسهم في دفع عجلة التنمية الزراعية والحد من كون الريف منطقة طرد في بعض الأوقات.

د- أمثلة على التجربة الجزائرية في تغيير وضعية الريف من خلال المشاريع التنموية:

لقد عانت الجزائر ولقرون طويلة من الاحتلال، والتاريخ يثبت ذلك في مراحل متعددة لذا كان من الصعب أن تقام دولة قوية اقتصاديا وسياسيا، وما زاد من صعوبة ذلك العشرية السوداء وما أحدثت من دمار وتخريب، ومع ذلك تحاول الدولة وضع سياسات تنموية لإصلاح ما يمكن إصلاحه وتطوير الأوضاع، وقبل التطرق إلى الفترة الحالية لابد من إلقاء ومضات تاريخية على الفترات السابقة والسياسات الفلاحية التي أتبعها الدولة³.

وضعية الأراضي الفلاحية خلال الفترة الاستعمارية:

¹ محمد الطفيلي. علم الاجتماع ودور الشباب في الريادة الجماعية، ط1، (بيروت: دار المنهل اللبناني، 2007) ص: 130.

131.

² المرجع نفسه، ص: 133.

³ الوزير المنتدب المكلف بالتنمية الريفية، التجديد الريفي. المرجع السابق، ص: 18-21.

الحاصل في الفترة الاستعمارية، أن ملكية الأراضي والقوانين العقارية كانت لصالح المستعمر فنجد أنه استولى على مساحة تقارب ثلاثة ملايين هكتار بما يعادل 35% من الأراضي الصالحة للفلاحة وتشكل 22000 مزرعة يسيطر عليها المستعمر.

ملكية المزارع الكبيرة الخاصة تقدر بـ 87% استولى عليها المستعمرون، ونتج عن ذلك -أراضي خصبة تحت سلطة الاستعمار.

-السفوح والمنحدرات للفلاحين.

-السهب لتربية الماشية، والحاصل أن الجزائر ورثت غداة الاستقلال عالما ريفيا يحمل وضعيات ملكية معقدة ومخربة وأوضاع قانونية تتسم بالفوضى.

السياسات الفلاحية والريفية منذ الاستقلال إلى الآن:

المرحلة الأولى من 1962-1970 :

عندما استعادت الجزائر أراضيها الخصبة الصالحة للفلاحة، وجدت أن شروط الإنتاج ومستوياته في القطاع الفلاحي طيلة هذه الفترة في ركود مستمر، وهذه الوضعية نتجت عن مسار المستعمرين في تخريب الأراضي الجزائرية، فوجدت الدولة نفسها أمام تدهور جهاز الإنتاج، قدم البساتين، عدم تجهيز أجهزة الري الفلاحي، وتجهيز القطع الأرضية، صيانة غير كافية للعتاد الفلاحي.

المرحلة الثانية من 1971-1980

لقد تم اتخاذ العديد من الإجراءات في هذه المرحلة وعلى وجه التحديد، الثورة الزراعية في 1971 التي كانت تهدف إلى إدماج عالم الفلاحة والريف في التنمية الشاملة للبلاد، وموازية مع ذلك جرت محاولات لإعادة هيكلة القطاع الفلاحي العمومي ولكن دون جدوى، مثل إجراءات 1975 الرامية إلى ضمان استقلالية المزارع المسيرة ذاتيا والتي لم يتم تطبيقها.

المرحلة الثالثة 1981-1990 :

شهدت هذه المرحلة بعض من الإصلاحات الفعلية من خلال مسار جديد هدف إلى إعادة توجيه المزارع المسيرة ذاتيا والنظام التعاوني، ولوحظ ارتفاع معدل النمو السنوي للإنتاج الفلاحي بـ 2.23%.

المرحلة الرابعة: 1991-2000 :

رغم أن هذه المرحلة كانت غير مستقرة أمنياً، إلا أن الدولة حاولت مواصلة إجراءات التحسين من خلال إلغاء القيود الكمية على استيراد المواد والخدمات، وتفكيك الإجراءات الإدارية لتخصيص العملات الأجنبية، و تحرير الأسعار وتخفيض المساعدات، وتخفيض قيمة الدينار، وتميزت هذه المرحلة بارتفاع معتبر في معدل نمو الإنتاج الفلاحي بـ 4% وبنمو سنوي يتجاوز نمو قطاعات النشاطات الأخرى 3.3% مقابل 1% للصناعة، 2.3% للخدمات.

غير أن الجدير بالذكر هو أنه ورغم نمو الإنتاج الفلاحي إلا أن الميزان التجاري للمواد الغذائية يسجل دائماً عجزاً كبيراً بـ 3100 مليون دولار إيرادات مقابل أقل من 100 مليون دولار صادرات، مما يجعل تغطية الحاجات الغذائية للأسر من بعض المواد الأساسية تعتمد على الواردات.

المرحلة الخامسة: 2000 إلى وقتنا الحالي.

حيث وضعت وزارة الفلاحة والتنمية الريفية مخططاً وطنياً للتنمية الريفية ويتمحور حول:

- "تحسين مستوى المستثمرات الفلاحية وفروع الإنتاج المدعمة عن طريق الصندوق الوطني للضبط والتنمية الفلاحية .

- إنعاش الفضاءات الريفية وتحسين معيشة السكان الريفيين وترقية الصناعات التقليدية وحرف الريفيين"¹.

وتعتمد الدولة في تطبيقها لهذه المشاريع على آليات معينة، كالمشاريع الجوارية للتنمية الريفية وهي: "مشاريع متعددة القطاعات و منجزة في أقاليم* ريفية محددة مسبقاً من أجل تحقيق الاستقرار للمجموعات الريفية وعودة تلك التي غادرت هذه الأقاليم"²

والملاحظ من هذا أن الدولة تهدف إلى تنمية القطاع الريفي من خلال تطويره وتدعيمه بمشاريع تفك عزله وتجعله باباً مفتوحاً على المدينة وممولاً دائماً لها بالإضافة إلى محاولة

¹ وزارة الفلاحة و التنمية الريفية. دليل الإجراءات لإعداد وتنفيذ مشروع جوارى للتنمية الريفية (الجزائر: 2004) ص10.

* انظر الملحق رقم 4- يحتوي على بعض تعاريف مصطلح الإقليم، العلاقات بين الإقليم، التنمية الريفية والتنمية المحلية.
² المرجع نفسه، ص10.

إعادة الاستقطاب الجماعات التي غادرته خاصة مع الأحداث الدامية في تلك العشرية السوداء.

وتعمل الدولة على تدعيم الفلاحين بمشاريع تطويرية للزراعة وأيضا تزويد الريف بمشاريع تعليمية وسكنية كعوامل مساعدة على "تحسين مستويات وظروف معيشة المجموعات الريفية في إطار التنمية البشرية وكذا استقرارها"¹

مما سبق نستطيع التوصل إلى أن الهدف من المشاريع التنموية الخاصة بالريف مايلي:

- القضاء على العزلة والفوارق الشاسعة بين المدينة والريف.
- تمكين المجتمع الريفي من ضروريات العيش المتوازن من قطاع خدمات ومواصلات وسكن وتعليم،...الخ.
- تدعيم الريفيين و مساعدتهم بوسائل متطورة وحديثة للزراعة بهدف تثبيتهم في العمل الفلاحي.
- الاستثمار في الموارد البشرية خاصة المرأة والشباب من خلال فتح فرص التعليم والتكوين، ولمزيد من التوضيح حول أهداف الدولة في ترقية أوضاع الأسرة والمرأة انظر الملحق رقم-3-.

3- وسائل الإعلام والاتصال ودورها في تغير العائلة الريفية:

إن السنوات القليلة الماضية، خاصة مع بداية الألفية الجديدة حملت معها تطورا هائلا في وسائل الإعلام والاتصال والتي لعبت دورا هاما في تغير بعض العادات والتقاليد الخاصة بالعائلات الريفية ، حيث نجد أن انتشار الإنترنت والقنوات التلفزيونية بالإضافة إلى الصحف والمذياع لعبت كل منها دورا هاما في نشر الوعي والانفتاح الثقافي على العالم الخارجي والتكيف مع التطورات الجديدة.

¹ وزارة الفلاحة والتنمية الريفية. المرجع السابق ص10.

وتتحدد العلاقات بين الاتصال والتغير وفقا للخصائص الاجتماعية والفردية للجماعات المرجعية في الريف والتي تحدد القابلية للتغير، سواء كان هذا التغير في الإقلاع عن العادات القديمة أو تقبل الأفكار الجديدة.¹

وعن الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والاتصال في تغير العائلة الريفية فيتمثل في النقاط التالية:²

أولاً: الانفتاح الثقافي:

تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في ما يخص الانفتاح الثقافي والإطلاع على مجريات التطور خارج الرقعة الريفية، فالإعلام بين المسموع والمرئي والمقروء يطلعنا على جميع أوجه النشاط الحياتية، ويساعد على الإلمام الجيد بمجريات الأمور في المجتمعات، ونجد أن انفتاح الإنسان الريفي على العالم يزيد من رغبته في تطوير حياته ويعمل على تقوية طموحاته ومن ثم رغبته في الجديد والتكيف معه.

ثانياً: زيادة الوعي العام:

تساهم وسائل الإعلام والاتصال في نشر الوعي بين أفراد المجتمع الريفي وتساهم في تطوير وتنويع المصادر المعرفية التي يستقي منها قيمه وتقيدته في حياته الاجتماعية، كما تساعده على تحسين التفكير والتخطيط، وتساعده على تغذية العقول بكل ما هو جديد وتخرجه من حالة العزلة التي ربما تعيشها الكثير من المجتمعات الريفية .

ثالثاً: محو الأمية :

تنتشر الأمية في أوساط مجتمعاتنا الريفية خاصة بين الإناث، فتعمل على الحد من قدرات وإمكانات الأشخاص و تعيق إمكانية تطوير ذاتهم و مجتمعاتهم، غير أن وسائل الإعلام والاتصال تلعب دوراً هاماً في مساندة العلم ونشر الوعي بضرورة تنمية القدرات

¹ محمود عودة. أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي، تقديم السيد محمد خيرى(بيروت:دار النهضة العربية، 1988)ص267
² محمد عمر الطنوبي. المرجع السابق، ص:137-142.

وهذا من أجل ضمان لتنمية الموارد البشرية وتهيئتها للمشاركة بصورة فعالة ومثمرة في المجال التنموي وتطوير المجتمع.

رابعاً: تعديل الاتجاهات:

تقوم وسائل الإعلام بدور بارز في تغيير أو تعديل الاتجاهات^{1*} للسكان الريفيين من الاتجاه السالب إلى الاتجاه الموجب نحو قبول التغيير، خاصة فيما يتعلق بتسريع عمليات التنمية والتطوير.

والمعروف أن الجماعات البشرية في الريف تعارض بعض الشيء عمليات التغيير وذلك للحفاظ على النموذج الاجتماعي المتعارف لديها، غير أن سرعة التطور والتكنولوجيا الحديثة بالإضافة إلى الحالة الخاصة التي عاشها الريف الجزائري خلال العشرية السوداء عدلت من اتجاهات الأفراد نحو التغيير وأدت إلى إحداث نوع من المرونة في التكيف معه وتقبله.

خامساً: تهيئة السكان للتنمية والتغيير:

تعتمد الدولة في إنجاح مشاريعها التنموية في المجتمعات الريفية بصورة كبيرة على وسائل الإعلام كالتلفزيون، الراديو، والجرائد... والتي تلعب دوراً هاماً في مساعدة السكان على فهم الأهداف من هذه الخطوات وتسهم في تهيئتهم لتقبلها والعمل على تطويرها حيث تعد الجماعات البشرية العنصر الأهم في العمليات التنموية.

سادساً: إضعاف العادات والتقاليد المعوقة للتنمية:

يزخر المجتمع الريفي بنسق ثقافي وقيمي متنوع؛ بين الإيجابي والذي يسهم في تنمية المجتمع وبين السلبي الذي يحد من عمليات التطوير، وكان لوسائل الإعلام دور هام في تغيير الأمور من خلال البرامج والحصص المتخصصة التي تبثها الإذاعة والتلفزيون والتي تعمل على الحد من بعض القيم التي أدت إلى إعاقة التنمية كالقيم المتعلقة بالمرأة ومحاولة الاعتماد على الحصص الدينية المتخصصة والتي تحاول تصحيح الفكر الذي رسخ لقيم متطفلة على الدين، وأعاققت الكثير من القدرات الفردية للأشخاص خاصة الإناث

* الاتجاه ويشير إلى الاستعداد أو الميل المكتسب الذي يزدهر في سلوك الفرد أو الجماعة عندما تكون بصدد تقييم شيء أو موضوع بطريقة منسقة ومتميزة، أنظر فاروق مداس. المرجع السابق، ص: 21، 22.

ومن جهة أخرى تدعم وسائل الإعلام القيم والتقاليد الجميلة التي طالما حثت على التضامن والتعاون اللارسمي واحترام كبار السن...، فالأمر الذي تعمل عليه وسائل الإعلام هو تصحيح تلك الازدواجية في النسق القيمي بالمجتمع الريفي، حيث تسعى لتشجيع على القيم الإيجابية، وتهدف إلى القضاء على القيم السالبة والعادات المعوقة من خلال برامج معتدلة تعمل على التأثير في سكان الريف وتهيئهم للتكيف مع المتغيرات الجديدة.

4-تغير القيم التقليدية للعائلة الريفية:

إن تغير البناء العائلي في الريف الجزائري أتى نتيجة لظروف قوية ومتسارعة فالعشرية السوداء بما حملته من دمار وجرائم كانت كفيلة بتغيير الذهنيات والتوجه نحو سبيل الحماية والتطوير، من خلال الجسر الثقافي الذي امتد بين الريف والحضر خلال تلك السنوات وما سببته من هجرة للريفيين نحو المدينة عملوا من خلالها ضمن مهن متنوعة وتوجهوا نحو تعليم أبنائهم وفتح المجال للإناث في هذا الباب وكما ذكرنا أن الدولة حاولت النهوض بالريف من خلال تدعيمه بمشاريع فلاحية واستثمارية في الموارد الريفية؛ بهدف الاستفادة من تفتح الذهنيات وتغير الاتجاهات وتدعيم استقرار الجماعات الريفية، وإعادة استقطاب الجماعات التي غادرت الريف.

وأخذت هذه المشاريع طريقها نحو القبول من خلال دعم الإعلام والاتصال في تمتين التوجه الجديد نحو تقبل التغير والتكيف معه

وإذا وجهنا الحديث نحو تغير القيم التقليدية للعائلة الريفية، لابد من تحديد بعض الأمثلة على ذلك؛ كتغير قيم الأرض، القيم المتعلقة بالمرأة، ، الأدوار والسلطة الذكورية،...

فأساس دراستنا هذه هو إلقاء الضوء على مظاهر التغير ومؤثراته في هذا المجتمع المعروف بطابعه المحافظ و مقاومة التغير، غير أن الكثير "من الظواهر الاجتماعية، أو أجزاء منها تأخذ بالتغير الملحوظ والسريع في حياة الفرد والمجتمع نتيجة التغيرات القاسية والمؤثرة على ثبات واستقرار [المجتمعات] و خير مثال على ذلك هو ما طرأ من زحزحة لكثير من القيم الاجتماعية والثقافية والروحية في بعض الأنساق"¹ ومثل تلك التغيرات القاسية تلك التي عاشها المجتمع الجزائري طيلة عشرية كاملة أو أكثر من ذلك وكان لها الأثر الكبير في تغير المجتمع ككل، خاصة الريفي منه.

أمثلة على تغير القيم التقليدية للعائلة الريفية :

أ-تغير العلاقات الاجتماعية :

لطالما تميز المجتمع الريفي كونه بناءا متماسك أساسه التضامن الآلي والعلاقات الاجتماعية المترابطة إما بالنسب أو المصاهرة، وهي علاقات أولية تحظى بمكانة عالية في هذا المجتمع، غير أن "توسع القرى واختلاط الأفراد نتيجة الهجرة الداخلية وارتفاع مستوى الثقافة، جعل الأفراد يستقلون شيئا فشيئا عن التقاليد وطرق تنظيم السلطة التقليدية للاندماج في الثقافة الحديثة التي تعتمد على هياكل الدولة"²

فأصبح المجتمع الريفي منفتحا على المدينة ويتعاطى مع مجريات التحضر بما فيها العمل بالقوانين الوضعية وتراجع السلطة العرفية الاجتماعية في الريف والتي يلجأ إليها في مواطن عديدة.

ب-القيم المتعلقة بالأدوار والسلطة:

¹ علي عبد الله الجبالي. المرجع السابق، ص145.

² بوفلجة غيات. تحولات ثقافية، ط1، (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005) ص77.

تميز المجتمع الريفي الجزائري بهرم سلطوي يأخذ ترتيبه على أساس السن والجنس فالقيادة عادة ما يتولاها الرجال من كبار السن ويعتبر الشيخ في العائلة الريفية محل تقدير واحترام حيث لهؤلاء الأفراد دور اجتماعي وهم يتدخلون عادة لإصلاح ذات البين وفض النزاعات، كما أن أفراد المجتمع يلتجئون إليهم طلبا للمساعدة وحل المشاكل¹

هذه القيمة تراجعت في المجتمع الريفي خاصة مع توسع وتواجد الدولة بمختلف هيئاتها وانتشار موظفيها في كل مكان، والجزئية التي نريد التأكيد عليها في هذه النقطة هي تراجع المكانة القيادية لكبار السن من الرجال وليس المكانة الاجتماعية فهي لم تتغير حسب أغلب الإشارات.

من جهة أخرى نجد أن السلطة أو توزيع الأدوار في الريف اختلف، حيث كان الرجل يحظى بالقيادة المنفردة للعائلة غير أن المرأة مع الانفتاح والتطور أصبحت تحظى بمكانة وصلاحيات أكبر من السابق ومساحة أكبر للمشاركة فيما يتعلق بمسألة اتخاذ القرارات.

ج- القيم المتعلقة بنظام الزواج والمرأة:

لقد تطرقنا فيما سبق للقيم المتعلقة بنظام الزواج في الريف والخصائص المتعلقة به وهي:

-أنه يتم داخل النسق القرابي

-التشجيع على الزواج المبكر.

-مسؤولية الاختيار تؤخذ على عاتق الأولياء دون الرجوع إلى الأبناء

لكننا وفي هذه الدراسة نفترض أن تلك القيم قد تعرضت إلى التغير التلقائي استجابة للعوامل السابقة الذكر من انفتاح وتطور إعلامي وتواصل ريفي حضري أدى بالمرأة إلى الخروج إلى التعليم، واكتسابها الثقة بالنفس وتغير متطلباتها الاجتماعية نحو اختيار الشريك "فبعد أن كان الزواج في الماضي يتم عن طريق ترشيح الأسر [أصبح الآن بفعل معطيات كثيرة]

¹ المرجع نفسه، ص ص: 76-77.

يتميز بالحرية في اختيار شريك الحياة دون [أن يفرض] الوالدين أو الأقارب تدخلهم في هذا الاختيار¹

من جهة أخرى نجد أن التغير في الزواج لم يقتصر فقط على فرص الاختيار بل أيضا الأمر أصبح يتمثل في الاتجاه نحو الارتباط خارج النسق القرابي؛ حيث يعتبر هذا العامل من "أهم التغيرات الواضحة في القرية، فلم يقتصر تغييره من حيث الشكل على الزواج الخارجي في حدود القرية، بل تعداه إلى القرى المجاورة أو من المدينة"² ويعود هذا إلى أسباب عديدة ذكرناها سابقا وتتمثل في الانفتاح الثقافي تزايد الوعي، التواصل الريفي الحضري، تغير النظرة نحو المرأة...

مما سبق نستطيع التوصل إلى نقاط أساسية أهمها: أن الحديث عن تغير القيم التقليدية للعائلة الريفية لا يقصد به التغير الجذري أو التحول من الشيء إلى نقيضه، بل هو تغير حدث في بعض من تلك القيم التي تحد من عمليات التنمية وتعوقها.

وهذا التغير كان نتيجة لعوامل متسارعة وقاسية كالعشرية السوداء، حيث كان لابد من تكثيف الجهود لإعادة إعمار الريف وصاحبت هذه الفترة تطورا هائلا في وسائل الإعلام والاتصال التي ساهمت بكثرة في نشر الوعي والتشجيع على التعليم وتغير النظرة نحو المرأة، وبهذا نجد أن الأسرة الريفية قد تغيرت في أمور عديدة ولم تبقى تلك الوحدة المنفردة والمسؤولية عن كل العمليات الاجتماعية، ولم تبقى أيضا في عزلتها الاجتماعية عن الحضر بل تحقق تواصل ريفي حضري.

لكن الجدير بالذكر هو أن المجتمعين الريفي والحضري في الجزائر لم يتميزا بفروقات شاسعة، حيث أن الطابع العام في البلاد هو الطابع المحافظ الذي تعتبر الأسرة فيه، المصدر الأول للقيم و المعايير الثقافية المحيطة بشكل الحياة ونوعية العلاقات وأيضا تبقى الأسر الجزائرية تحمل ثقافة العائلات الممتدة حتى ولو كانت أسر نووية بالإضافة إلى البعد الديني في وضع القيم، حيث مازالت الأسرة الجزائرية تعتمد على الدين كمصدر مهم في تسيير النسق القيمي الذي يحث على التضامن واحترام كبار السن وتقديس نظام الزواج.

¹ سناء الخولي. التغير الاجتماعي والتحديث (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003) ص: 216- 217.

² محمد عاطف غيث. دراسات في علم الاجتماع القروي، المرجع السابق، ص: 162.

وحديثنا عن تغير بعض من جزئيات خاصة في هذا النظام، لا نقصد به بتاتا الطعن في قدسيته ومكانته الكبيرة داخل الأسر الجزائرية لكن التغير الذي نتحدث عنه يكمن في بعض الجزئيات المتعلقة بالتوجه نحو الاختيار ومختلف المعطيات المحيطة به كنظام عام.

الأسرة الجزائرية سواء في المدينة أو الريف قد تتغير في بعض من القيم أو الوظائف لكنها لن تتعرض لما تعرضت له الأسرة في الغرب من انحلال وتفكك وانتشار أسر المثليين، وهذا ليس حكما تقييميا ذاتيا أو تكهنا جزافيا، لكن النظريات أو الظروف الاجتماعية التي تسير الأسرة الغربية تختلف تماما عن الأسرة في العالم العربي خاصة الأسرة الجزائرية فرغم التطور الحضاري وتغير مكانة المرأة والانفتاح وانتشار الوعي غير أن هناك ثوابت لم تتغير على مدى سنين وقرون طويلة تحكمها مقدسات معينة وكمثال على ذلك نظام الزواج كقيمة مقدسة في حد ذاتها مع تغير في بعض القيم المتعلقة بها .

وفي العنصر القادم سنلقي الضوء على تغير وظائف العائلة الريفية، كالوظيفة الإنجابية والاقتصادية؛ مواكبة للتطور الحضاري والانفتاح الثقافي والعلمي والذي نؤكد عليه أن الأصل ثابت والفروع تتغير فوجود العائلة كوحدة اجتماعية هامة لم تتغير، غير أن بعض من وظائفها وقيمها تغيرت.

5-بناء العائلة الريفية المتغيرة و مظاهرها :

نتيجة لعوامل عديدة كالانفتاح الثقافي ، والإقبال على العلم و تغير النظرة نحو المرأة في الريف ، بالإضافة إلى مشاريع التنمية التي تهتم الدولة بإنجازها نجد أن البناء العائلي في المجتمع الريفي تعرض لعدة تغيرات في الوظائف و النطاق مع التأكيد على أن هذا التغير لم يكن جذريا ،حيث مازالت العائلة الريفية تحمل قيما تبقى ناشطة في الذاكرة الاجتماعية ،كقيم التضامن واحترام كبار السن.

و التغير الذي حصل في بناء العائلة الريفية هو تغير على مستوى النطاق حيث "تتطور العائلة باتجاه نظام العائلة النووية [....] و الدراسات الحديثة تظهر بوضوح أن العائلة النووية هي الغالبة " ¹

من خلال هذا المنطلق نستطيع القول أن العائلة النووية كبناء أصبحت منتشرة في الأرياف، بعد أن كانت العائلة الممتدة تمثل المجتمع الريفي و تعبر عن مفاهيم اجتماعية كثيرة منها الترابط العائلي و تكوين عائلات كبيرة بغية الاستفادة من العمل الجماعي في الأراضي إلخ؛ و كانت العائلة الممتدة تعكس الصورة السلطوية من قبل الرجل الأب وقدرته على تسيير جيلين أو ثلاثة أجيال والعامل الذي ساعد على هذه الصورة هو توحيد العمل الفلاحي وانتشاره في المجتمع الريفي كمهنة سائدة.

غير أن الحاصل الآن هو انتشار التواجد العائلي ذو الطابع النووي مع بقاء العائلات الممتدة لكن ليس كالسابق ولقد أدى انقسام العائلات وانتشار الصورة النووية إلى إنتاج معطيات جديدة تتعلق بالوظيفة الاقتصادية والإنجاب والتنشئة والسكن....

تغير الوظيفة الإنجابية :

نجد أن انتشار الوعي في الأوساط الريفية والانفتاح الثقافي عمل على نشر ثقافة تنظيم النسل والتباعد بين الولادات، فالدولة الآن لا تشجع على زيادة الإنجاب من خلال وضع " برامج لتخفيض عدد المواليد عن طريق [تنظيم] النسل" ²، وهذا لكي لا يحدث اختلال توازن بين موارد الدولة واحتياجات السكان ولقد ساهمت وسائل الإعلام بصورة كبيرة في نشر هذه الثقافة وتلقاها الريفيون من خلال وعيهم بضرورة التقليل من الإنجاب لضمان صحة الأم وتحقيق المقدرة المادية والمالية والمعنوية في عملية التنشئة، بالإضافة إلى أن الآلة حلت مكان الإنسان في العمل الفلاحي، فلا حاجة لكثرة النسل.

تلك المعطيات أدت إلى التوجه نحو تبني سياسة تنظيم النسل من قبل العائلات في المجتمع الريفي الجزائري.

-تغير الوظيفة الاقتصادية :

¹ حليم بركات. المرجع السابق، ص194.

² علياء شكري. الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1992) ص180.

"تحولت الوظيفة الاقتصادية من وظيفة إنتاج إلى وظيفة استهلاك، حتى أن المنتجات الخام في البيئات الريفية لم يعد يتم تحويلها في المنزل إلى سلع صالحة للاستعمال، فقد أصبحت الصناعة تتولى هذه المهمة"¹

ونجد أن الزراعة التي هي وجه النشاط بالمجتمع الريفي أصبحت جزءا من العملية الصناعية بفعل تطور العوامل التكنولوجية، وهذا ما أدخل على المجتمع الريفي تغيرات كان لابد عليه أن يتكيف معها من خلال الداخل. "ولكن يجب أن يلاحظ أن التغير الذي نتحدث عنه ليس معناه أو يفهم منه على أنه كلي وجارف لكل البناءات القديمة التاريخية للمجتمع الريفي"²

لكن التغير شمل كما قلنا بعض من الوظائف والأدوار، وبالنسبة للوظيفة الاقتصادية لم تعد العائلة هي المسؤولة عنها، على الأقل ليس بنفس القدر بالنسبة لليد العاملة؛ حيث حلت الآلة محل الإنسان بالإضافة إلى إقبال العديد من الشباب على مهن الأخرى كالتجارة والتعليم والطب...؛ إذن فتغير الوظيفة الاقتصادية في المجتمع الريفي يعتمد على جزئيتين هما:

- الإقبال المتراجع على هذه المهنة من طرف الشباب في الريف لأسباب أهمها الانفتاح الثقافي وانتشار الوعي والتعليم وتغير اتجاهات الشباب وانفتاحهم على مهن أخرى.
- بفعل التطور التكنولوجي حلت الآلة محل الإنسان وعوضته في العمل الفلاحي فأدى به هذا الظرف إلى حالة البطالة أو التوجه نحو ميادين عمل أخرى.

التنشئة الاجتماعية والسكن:

من خلال ما سبق نستطيع التوصل إلى أن عملية التطبيع الاجتماعية والتي تعمل من خلالها العائلة الريفية في تعزيز نقل قيمها الاجتماعية وترسيخها قد تعرضت هي الأخرى لتغير في جزئيات معينة

- ففي أحضان العائلة الممتدة يشترك جميع الأهل في تنشئة الأبناء وتطبيعهم بالنموذج الاجتماعي المتعارف عليه، غير أن الحال يتغير لدى العائلة النووية حيث تصبح هذه المهمة من اختصاص الوالدين فقط.

¹ علياء شكري . المرجع السابق.ص179.

² عبد الحميد بوقصاص. المرجع السابق، ص182.

- تمثل الجزئية الثانية في تغير نقطة هامة في عملية التنشئة، حيث كانت في السابق تغرس قيم التفرقة بين الجنسين وتمنح الرجل درجات اجتماعية أكبر من المرأة، غير أنه وبتغير وضعية المرأة الريفية أصبح هناك تكريس مساواة خاصة فيما يتعلق بمسائل التعليم والزواج من جهة أخرى وكننتيجة لتغير النطاق في العائلة الريفية، وتوجهها نحو النمط النووي، تغير شكل المسكن الريفي تبعا للعوامل الاجتماعية المتغيرة؛ حيث كانت العائلة الممتدة بنسقتها القيمي وتوجهها الاقتصادي الفلاحي تعتمد على بناء السكنات ذات اللواحق الزراعية كالإسطبل والزريبة ومخازن المنتوجات... إلخ، بالإضافة إلى بساطة المواد المستعملة في البناء .

أما الآن أصبحت العائلة الريفية وبفعل معطيات كثيرة؛ كالتواصل الريفي الحضري ونمو الوعي وتوسع الفكر والتوجه نحو التعليم والمعرفة....أصبحت العائلة الآن تغير نمط سكنها تبعا للتوجه الجديد؛ فالعائلة النووية خاصة مع تغير نشاطها والتوجه نحو الأعمال الأخرى من غير الزراعة تبني مساكنها على أسس صحية وحضرية وتعتمد على وسائل بناء حديثة بالإضافة إلى المشاريع السكنية التي تهتم الدولة بإنجازها في المناطق الريفية والتي تتكيف مع حاجيات الأفراد في الأسرة النووية.

والتغير في شكل البناء الريفي أتى نتيجة لتغير القيم والنمط العائلي والتوجه الاقتصادي.....

لكننا لا نستطيع بهذا التأكيد على التغيرات الجذرية، حيث وكما ذكرنا سابقا فإن القيم الراسخة لسنوات طويلة تترك أثرها وبصمتها لدى الأجيال، وإن كانت درجات العمل بها تتفاوت استجابة لعوامل اجتماعية متغيرة من زمان لآخر .

6- المجتمع الريفي وبعض القراءات الإحصائية:

قبل النزول إلى الميدان حاولنا الحصول على بعض الوثائق الإحصائية التي تدعم البحث العلمي وتمدنا بصورة واضحة عن طبيعة المجتمع الريفي في الجزائر، ولقد وفقنا في ذلك إلى حد ما وسنتعرض إلى ما توصلنا إليه من خلال الجداول الإحصائية القادمة.

جدول رقم -2- يبين تطور المجتمع الجزائري بالنسبة للسكان في الريف والحضر

عدد السكان على المستوى الوطني	عدد سكان الحضر	عدد سكان الريف	السنة
-------------------------------	----------------	----------------	-------

1998	12.1	17.0	29.1 مليون
2005	13.4	20.5	33.9 مليون

المصدر: مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية باتنة

من الجدول أعلاه نستطيع قراءة عدة أبعاد ودلالات؛ حيث يبين لنا زيادة المجتمع الجزائري في التعداد السكاني فمن سنة 1998 إلى 2005 نجد أن الزيادة السكانية بالريف تقارب المليون وثلاثمائة ألف شخص.

ويمثل المجتمع الريفي 40 % من سكان الجزائر، ويدل هذا المعطى الإحصائي على أن الريف الجزائري مازال يحظى بنفس الأهمية والنقل من حيث التنوع البشري والسكاني في البلاد، هذا ورغم ما تعرض له خلال فترة العشرية السوداء إلا أن الطبيعة الاجتماعية للجزائريين والتي تتميز بالمقاومة ورفض الضغوط تبين لنا وتمدنا بتفسير حول أن الريف مازال يحمل تعدادا سكانيا مهما رغم ما تعرض له.

من جهة أخرى وحسب ذات المصدر نجد أن 70 % من سكان الريف يمثلون فئات عمرية شابة لأقل من 30 سنة، هذا معطى إحصائي آخر يمدنا بقراءة سوسيولوجية معينة حول علاقة السن وتغير العائلة الريفية.

لقد تطرقنا فيما سبق إلى أن العائلة والريفية تعرضت لتغيرات في النطاق والوظائف بفعل جملة من العوامل والأسباب؛ من بينها العشرية السوداء، الإعلام والاتصال الحديث وما أحدثه من توسيع للمدارك الذهنية ونشر الوعي والمعرفة... إلا أن المهم هو أن نعرف أن 70 % من هذا المجتمع هم شباب وهذه الفئة هي من تتكيف مع المنتج الإعلامي والتأثير الذي يحدثه، بالإضافة إلى أن الشباب يتطلعون دائما إلى التغير وتبديل الأوضاع من خلال الديناميكية والحيوية وحب التعامل مع الجديد، لذا فإن العائلة الريفية تغيرت في السنوات الماضية بفعل الفئات الشبانية التي تمثل قدرا كبيرا جدا من سكان الريف.

الجدول رقم -3- يمثل توزيع البلديات حسب النوع في الجزائر

	الجنوب	الهضاب العليا	الشمال	الوطن
مجموع البلديات	188	407	946	1541
البلديات الريفية	130	287	562	979
البلديات الحضرية	58	120	384	562

المصدر: التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية باتنة

كل بلدية يقل معدل التمدن فيها عن 50 % و الكثافة السكانية فيها أدنى من متوسط الكثافة في المنطقة التي توجد فيها (شمال ،هضاب عليا،الجنوب) تعتبر بلدية ريفية، وهذا حسب نفس المصدر.

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن مجموع البلديات في الوطن وهو 1541 بلدية، أكثر من نصفها تعد بلديات ريفية، حيث نسبة التمدن بها تقل عن 50 %.

وتقاس نسبة التمدن، بالمرافق الموجودة والمراكز الإدارية، والكثافة السكانية... الخ. إذن فنحن نستطيع أن نؤكد على أن الطابع العام للبلديات في الوطن هو الطابع الريفي وهذا يؤكد مرة أخرى على أهمية هذا التخصص العلمي (علم الاجتماع الريفي) و الدراسات التي ستقام من خلاله لفهم طبيعة تطور وتغير هذا المجتمع في الجزائر.

جدول رقم 4- يبين تصنيف البلديات حسب الإمكانيات الفلاحية:

البلديات قوية التمدن	158
البلديات ذات الإمكانيات الفلاحية القوية	636
البلديات ذات الإمكانيات الفلاحية الضعيفة	747

المصدر: التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية باتنة

إن الإحصائيات المقدمة في الجدول أعلاه تبين لنا وضعية الفلاحة في الريف، وتراجعها وذلك لأن 636 بلدية فقط من مجموع 1541 تعتبر بلديات ذات إمكانيات فلاحية قوية.

و هذا يدل على أن التوجه الجديد لدى العائلة الريفية أصبح متنوعا في الناحية المهنية، فلم تعد الأرض والعمل الزراعي هو النشاط الوحيد في هذا المجتمع وهذا ما تؤكد عليه النسب المئوية التالية التي يقدمها لنا هذا المصدر والتي تعطينا صورة عن التنوع المهني في الأوساط الريفية، حيث نجد القطاع الفلاحي يشغل 38% فقط من مجموع المهن في الريف أما بالنسبة للذين يعملون بالمهن الإدارية فيمثلون نسبة 21%، 11% بالنسبة لقطاع الخدمات، 14% بالنسبة للبناء والأشغال العمومية، و 16% بالنسبة للقطاعات الأخرى .

العائلة وتغير نمط الملكية :

إن تغير البناء العائلي في الريف من شكله الممتد إلى الشكل النووي صاحب تغيرات وظيفية وقيمة، ولقد شملت حتى نمط الملكية، حيث تدل النسبة المئوية التي سنتطرق إليها، على درجة تفتيت المستثمرات، والتوجه نحو الملكيات الصغيرة.

في السابق كانت للعائلات ملكيات أراضي بحجم كبير حافظا لثقافتها الاجتماعية التي ترمي إلى الترابط العائلي الدائم، غير أن الوضع تبدل وهذا ما يثبتته لنا المصدر الذي تناولناه لتوثيق معلوماتنا، فحسب نتائج الإحصاء الفلاحي، لوحظ تجزئة الأراضي بشكل مفرط.

-22% من الأراضي تقل مساحتها عن الهكتار الواحد.

-62% تقل مساحتها عن 5 هكتارات.

-تمثل الفئة المتوسطة التي تتراوح مساحتها بين 5هـ و 10هـ ما يقارب 18%.

-أما عدد المستثمرات التي تتجاوز مساحتها 10هـ فهي لا تتجاوز 21%.

مما سبق نستطيع التوصل إلى أن ما تطرقنا إليه في الجانب النظري، لم يكن ضربا من الخيال أو التأويلات الذاتية، بل هو واقع معاش أفضت إليه ضروريات الحياة الاجتماعية من خلال الأدوار التي لعبتها وسائل الإعلام والاتصال، والدور الذي تلعبه الدولة من خلال أجهزتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبهذا نستطيع التأكيد على أن العائلة الريفية قد تغيرت في أمور عديدة نظرا لوضعها السابق، ونحن لا نلقي أحكاما قيمية على هذا التغير بالإيجاب أو السلب، إنما نحاول في دراستنا تقديم مظاهر هذا التغير، خاصة أن الدراسات الجزائرية الخاصة بالمجتمع الريفي قليلة جدا، رغم أن هذا المجتمع يتميز بتعداد سكاني كبير، فئات عمرية شابة، نستطيع من خلال تقديم دراسات جادة حولها أن تصبح أداة فاعلة ومؤثرة في تحريك عجلة التنمية بالوطن.

-خلاصة:

في هذا الفصل تناولنا بداية، الوظائف التي قامت بها العائلة الريفية و التي لا تزال تقوم بها لكن بصورة مغايرة ، حيث تطرقنا للوظيفة الإيجابية وعملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم العائلة من خلالها بتطبيع الأبناء بالقيم التي تحمل سمات النموذج الاجتماعي المتعارف عليه.

بالإضافة إلى الوظيفة الاقتصادية التي قامت بها العائلة الريفية حيث كانت الوحدة الأساسية والمسؤولة على تأمين الاكتفاء الذاتي لأفرادها من قيام بأعمال زراعية وصناعات تقليدية...

لكن وبفعل عوامل قوية كالعشرية السوداء وما نتج عنها من آثار، بالإضافة إلى تطور وسائل الإعلام والاتصال وما ساهمت به من نشر للوعي والانفتاح الثقافي ودعم

التواصل الريفي الحضري كل هذه العوامل كان لها الدور الكبير في تغير العائلة الريفية وتهيئتها لتقبل الانفتاح الثقافي والإصلاح من وضعية المرأة والشباب.

وأصبحت العائلة الريفية الآن تتجه نحو الاستقلالية واتخاذ شكل ونمط جديد للحياة وهو البناء العائلي النووي وإثر هذا التغير نجد أن الوظائف التي كانت تقوم بها العائلة الريفية قد تقلصت وتراجعت فلم يعد الهدف من الإنجاب توفير اليد العاملة لأن التوجه الاقتصادي لم يعد حكرا على الزراعة حيث يتوجه الأفراد في الريف نحو مهن متعددة في مختلف القطاعات: الاقتصادية والتجارية والخدماتية...، وتبعاً لهذا التغير نجد أن القيم التي سادت في الماضي بدأت تتغير هي الأخرى خاصة تلك التي تتعلق بالمرأة والتعليم .

والمراد من دراستنا هذه هو الكشف عن التغير الذي يأخذ مظاهر متعددة ومؤشرات دالة عليه وهذا ما سنعمل عليه في الجانب الميداني مع الأخذ بعين الاعتبار أن التغير لا يكون جذريا في المجتمع الريفي، لأن هناك قيم متأصلة في هذا المجتمع على مر السنين ومن الصعب أن تتغير كالتضامن العائلي، العلاقات المتقاربة، قدسية الزواج والعائلة..... وتعتبر هذه القيم صورة المجتمع الجزائري بصفة عامة والريفي بصفة خاصة.

الفصل الرابع

الإجراءات المنهجية للدراسة

أولاً: مجالات الدراسة.

- 1- المجال الدراسي
- 2- المجال الجغرافي والبشري.
- 3- المجال الزمني.
- 4- المنهج المستخدم وأسلوب اختيار العينة

ثانياً: الأدوات والوسائل المستخدمة في الدراسة

- 1- الاستمارة.
- 2- الملاحظة.
- 3- الوثائق والسجلات

أولاً: مجالات الدراسة والمنهج المستخدم:

1- المجال الدراسي:

تقع بلدية الحاسي شمال ولاية باتنة على طول الطريق الولائي 153 أ، وتبعد عن مقر الولاية بـ 70 كلم، تتميز هذه المنطقة بمناخ قاري نصف جاف بارد، وتقدر الأمطار التي تتساقط سنوياً بالمنطقة بـ 348,4 مم.

أما عن النباتات التي تتميز بها المنطقة فهي:

- غابات البلوط الأخضر

- غابات الصنوبر، كما تنمو بها أشجار العنب، بالإضافة إلى وجود مزروعات أخرى

كالقمح والشعير...

وبالنسبة لعدد السكان في هذه المنطقة فهو يمثل 7911 نسمة موزعين على مساحة مقدرة بـ 57.91 كلم²، وتلبية لحاجيات السكان في هذه المنطقة نجد أنها توفر على سوق أسبوعي واحد وسوق يومي، بالإضافة إلى توفرها على مرافق خدماتية وصحية سعت الدولة إلى ترقيتها، حيث تضم البلدية داراً للشباب تم إنشاؤها عام 2001؛ وإنشاء دار الشباب في هذه الفترة بالذات بعد "العشرية السوداء" كان بهدف استقطاب الشباب والاهتمام بحاجياتهم وتدعيم استقرارهم بالمنطقة.

من جهة أخرى تحتوي البلدية أيضاً على ملعب لكرة القدم، بالإضافة إلى مكتبة علمية هي في طور الإنجاز أما بالنسبة للمرافق التعليمية فنجد أن بلدية الحاسي تضم سبعة مدارس تعنى بالتعليم الابتدائي ومؤسسة تربوية للتعليم المتوسط ولا تتوفر على ثانوية.

وفي مسألة الخدمات الصحية نجد أن المنطقة تتوفر على عيادة طبية متعددة الخدمات وقاعتين للعلاج وأيضاً مركز لحماية الأمومة والطفولة؛ وهذا يدل على أن البلديات التي تضم مناطق ريفية تتجه فعلاً نحو الاهتمام بالمرأة والطفل.

هذه بعض مظاهر الحياة الموجودة في بلدية الحاسي فهي ليست بمنطقة حضرية ولا منطقة ريفية خاصة؛ وهذا ما وقفنا عليه في الفترة التي تواجدنا فيها هناك، حيث ومن خلال تعاملنا مع الناس هناك وقفنا على بساطة الحياة الاجتماعية في التعامل وأدركنا أن العلاقات متكاثرة ومترابطة، فهي لا تزال تحتفظ بسمات المجتمع الريفي مع تطوير في بعض الأمور البادية

للعيان والتي نستطيع الوقوف عليها بالملاحظة المباشرة؛ كالمباني العمرانية والنمط الحضري المنتشر هناك في بلدية الحاسي.

2- المجال الجغرافي والبشري:

إن اختيارنا لبلدية الحاسي جاء من خلال أنها تضم عدة مناطق ريفية، نستطيع أن نجري دراستنا الميدانية بها، نظرا أنها تشمل خصائص العينة التي تفيدنا في مجال دراستنا هذه والمناطق الريفية التابعة لبلدية الحاسي هي في الحقيقة عبارة عن تجمعات سكانية مبعثرة ومتفرقة، ولكل تجمع أو منطقة تسمية إدارية تصنيفها قائم على أساس الألقاب الأكثر انتشارا والريف الذي أجرينا به دراستنا يطلق عليه اسم **ريف الآبار** نسبة للآبار المائية التي كان يشتهر بها فيما سبق، وتحت لواء هذا الريف يوجد تجمعين سكانيين يطلق على الأول اسم **براولة وجباس** ويضم 89 عائلة، والتجمع الثاني يطلق عليه **بوشارب والعشي** ويضم 95 عائلة.

وهاتين المنطقتين هما عبارة عن ريف واحد، متسع الأطراف، ووقع اختيارنا عليه كون أن عنصر التجانس من أهم السمات التي تميزه. بالإضافة أن هذا الريف نموذج عن التغير الذي بدأ يتضح في هذه المجتمعات، من خلال انتشار الوعي وفك العزلة الجغرافية والاجتماعية وخاصة بعد العشرية السوداء، بالإضافة إلى مشاريع تطويرية للأرياف كمشاريع البناء الريفي...

ومن جهة أخرى نجد أن هذه المنطقة تتميز بصفة المجتمع الريفي - والذي حددناه في الدراسة النظرية - الذي أخذ التغير طريقه إليه وهو يحمل مظاهر عديدة تعبر عن هذا التغير، ولقد لمسنا جزءا كبيرا منها في دراستنا الاستطلاعية التي قمنا بها قبل ملأ الاستمارات.

وبالنسبة لعدد السكان فإن هذا الريف يحتوي على 1022 نسمة من بينهم 530 ذكور 492 إناث وتبعد هذه المنطقة الريفية على بلدية الحاسي بحوالي 4 كلم.

3- المجال الزمني:

استغرقت الدراسة الميدانية قرابة شهر كامل بداية من 15 مارس إلى 15 أبريل 2010 حيث بدأنا عملنا من خلال مراحل وضعت وفقا لخطة منهجية.

بداية قمنا بالتوجه إلى بلدية الحاسي وأجرينا مقابلة مع رئيسها السيد بوهناف والذي أمدنا بالمعلومات وإحصائيات حول المنطقة وطبيعة السكان وبعدها قمنا بدراسة استطلاعية للمنطقة للوقوف على الأمور التي تخص الدراسة وبعدها جاءت مرحلة النزول الفعلي للميدان لملأ الاستثمارات وإجراء مقابلات مع سكان هذه المنطقة للخروج بنتائج علمية والتحقق من التساؤلات الدراسية.

4- المنهج المستخدم وأسلوب اختيار العينة:

4-1- المنهج المستخدم:

إن اختيار المنهج الملائم للدراسة الاجتماعية يتوقف على طبيعة وخصائص الموضوع المراد دراسته، والمنهج هو " الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة، أو هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار أو الإجراءات من أجل الكشف عن الحقيقة التي نجهلها أو من أجل البرهنة عليها للآخرين"¹

والمنهج هو "الكيفية التي يتم بها تنفيذ شيء ما حسب نظام معين، انطلاقا من جملة مبادئ من أجل الوصول إلى هدف معين"².

ولابد للباحث عن اختياره للمنهج العلمي أن يؤخذ بعين الاعتبار الموضوعية والدقة؛ فلا بد أن يتوافق مع طبيعة الدراسة، وأن لا يكون الاختيار تلقائيا أو اعتباطيا، بل يجب أن يبنى على أسس علمية، فالباحث مسؤول عن اختياره لمنهج بحثه بناء على معطياته الدراسية من صياغة الموضوع وتحديد الإشكالية إلى بناء الفرضية...، فطبيعة البحث هي من يؤدي بنا إلى اختيار منهج دون آخر، ونحن في هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج الوصفي باعتباره الأقرب والأصلح لها؛ ويعد هذا المنهج " بأنه طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي

¹ حسان هشام. منهجية البحث العلمي، ط1، (الجزائر: مطبعة الفنون البيانية، 2007)، ص44.

² فضيل دليو. دراسات في المنهجية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2000)، ص69.

للوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية معينة، ويقوم بوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كمياً عن طريق جمع معلومات معمقة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها¹

من هنا بنينا اختيارنا لهذا المنهج واعتمدنا عليه كطريقة بحث للوصول لنتائج علمية حول موضوع "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري"، ولقد اشرنا في الفصول السابقة بأن مغزى دراستنا هذه هو الوقوف على أهم مظاهر التغير في العائلة الريفية والتي نستطيع التوصل إليها من خلال إتباع وتوظيف هذا المنهج.

حيث اطلعنا على المصادر والمراجع النظرية في هذا المجال، والتي قدمت سمات وصفات معينة لهذا المجتمع، ونحن في هذه الدراسة افترضنا أن هناك تغير في بعض الصفات والوظائف والقيم؛ وللتحقق من هذا الفرض اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي يستخدم في "دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها، أشكالها، علاقتها"².

حيث نستطيع إثبات فرضيتنا من خلال وصف المظاهر و المؤشرات التي و المؤشرات تدل على هذا التغير، و هذا بالاعتماد على مجموعة من الوسائل و الأدوات البحثية التي توظف في هذا المنهج و تساعدنا على تقدير وصف علمي عن مظاهر التغير في البناء العائلي الريفي.

4-2- أسلوب اختيار العينة:

وفقا لمنهج الدراسة، و الخطوات الأساسية في مضمونها، لابد لنا من اختيار أسلوب محدد في وضع عينة البحث، ولتوضيح ماهية الاختيار لابد لنا من وضع نقاط معينة وهي: -أن الأسرة هي مفردة البحث في هذه الدراسة ممثلة في رب أو ربة العائلة. -مجتمع البحث كبير نسبيا حيث يمثل مجموع 184 عائلة، و هذا ما يعيقنا على إجراء مسح اجتماعي لاستهلاكه الوقت و الجهد، خاصة و أن التجمعات السكنية تقع في مساحات شاسعة و بعيدة نوعا ما عن بعضها، بالإضافة على أننا نستخدم استمارة مقابلة و هذا ما يستلزم وقتا طويلا.

¹ حسان هشام. المرجع السابق، ص ص: 72-73.

² المرجع نفسه، ص73.

-لذا كان لزاما علينا أن نختار أسلوب البحث بالعينة، للاستفادة من الوقت و الجهد. فكان اختيارنا الموضوعي للعينة العشوائية البسيطة للأسباب التالية:

"أن أسلوب العينة العشوائية يستخدم إذا كانت جميع مفردات جمهور البحث معروفة للباحث و إذا كان يريد أن يقوم بدراسة وصفية دقيقة، أو تقديم صورة عامة عن الجمهور"¹. ومفردات جمهور البحث في هذه الدراسة ستكون العائلة الريفية المتميزة بتجانس في الصفات الاجتماعية و النفسية و الاقتصادية....- بناءا على دراسات متعددة تطرقنا إليها قبلا -. حيث يشترط في العينة العشوائية البسيطة "أن يوجد تجانس بين المفردات في الخاصية التي يدرسها الباحث"².

و بالإضافة إلى ما سبق تتميز العينة العشوائية البسيطة بالدقة في النتائج، وإمكانية تمثيلها للمجتمع البحثي بأكمله، وهذا كونها تتميز بالموضوعية والابتعاد عن الاختيار الذاتي و أحكام التحيز، أما فيما يخص النسبة المئوية التي اعتمدنا عليها فهي نسبة 25 % في الدراسة على أساس أن تجرى الدراسة مع ربع مجتمع البحث و الذي يعطي صورة عامة و شاملة في نتائج الدراسة ، والجدول التالي نوضح من خلاله كيفية اختيار العينة و توظيفها

جدول رقم -05- يمثل نسبة اختيار العينة.

عدد مفردات البحث	النسبة المئوية(%)	مجتمع البحث	اسم التجمع السكاني
22	%25	89	براولة و جباس
24	%25	95	بو شارب و العشي
46	%25	184	المجموع

طريقة توظيف العينة:

¹ طلعت ابراهيم لطفي. أساليب و أدوات البحث الإجتماعي، (مصر:دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع

1995)، ص63.

² المرجع نفسه، ص63.

بعد أن مثلت النسبة المئوية 25 % من مجتمع البحث مما يعادل 46 مفردة تمثلها الأسر قمنا بالخطوات التالية:

- مفردة البحث هي العائلة ممثلة في رب أو ربة الأسرة وهذا الاختيار مبني على أسس موضوعية وهي:

✓ يكون رب الأسرة هو المسؤول عن عملية الإنجاب (الزوج أو الزوجة).

✓ يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية وترسيخ القيم العائلية من خلال العمل على توريثها لأبنائها.

✓ طبيعة الأسئلة موجهة للشخص المسؤول عن العائلة من خلال الوظيفة التي يقوم بها وكيفية الاعتناء بالعائلة.

✓ لمعرفة توجه الأدوار الاجتماعية ومساحات صناعة القرارات العائلية لابد وأن نتوجه إلى الزوج أو الزوجة لأنهما أكثر من يتحكم بآليات التغير والتكيف معها في العائلة.

لأسباب السابقة استثنينا الأبناء أن يكونوا مفردات بحث، أما عن طريقة توظيف العينة فقمنا بوضع قائمة بمساعدة المختصين تحتوي لقب كل أسرة، ولأن الألقاب متشابهة أضفنا اسم الزوج واسم الزوجة للحيلولة دون اللبس والاختلاط. عينا لكل مفردة رقما ثم وضعنا كل رقم في قصاصة ورقية وقمنا بعملية التمثيل بالقرعة وهكذا حتى تحصلنا على 46 مفردة بحث وهذه الطريقة تضمن النتائج الموضوعية.

ثانيا: الأدوات و الوسائل المستخدمة في الدراسة:

إن البحث العلمي و لوصوله إلى نتائج نهائية يستعين بأدوات بحثية تساعد على تحقيق أهدافه، ويتم اختيارها في ضوء إشكالية البحث و المنهج المتبع بالإضافة إلى الأهداف الموضوعية، ويستطيع الباحث أن يستخدم أكثر من أداة واحدة تبعا للمرونة المنهجية و الضرورة العلمية، بالإضافة إلى أن أدوات البحث العلمي تكمل بعضها من خلال أن تغطي مزايا أداة معينة عيوب أخرى.

وللأسباب السابقة الذكر اعتمدنا في عملنا هذا على استخدام أكثر من أداة بحثية حسب ما تطلبته طبيعة الدراسة ومجتمع البحث، محاولين بذلك الانتهاء عند نتائج دقيقة و موضوعية.

1-الإستمارة:

"نموذج يضم مجموعة من الأسئلة التي توجه للأفراد بهدف الحصول على بيانات معينة و هي أداة رئيسية لجمع البيانات الكمية التي تتطلبها البحوث الاجتماعية"¹، ونحن في هذا العمل اعتمدنا على استمارة المقابلة التي يتم تنفيذها عن طريق المقابلة الشخصية؛ حيث استخدمنا أسئلة محددة الصياغة بين الأسئلة المغلقة و المفتوحة، وراعيينا في ذلك شروط الصياغة المنهجية من مراعاة لطبيعة المبحوث، وأن تكون الأسئلة واضحة و مفهومة، بالإضافة أن تعنى بجميع مفردات البحث و تغطي الجوانب الدراسية للموضوع.

و بما أن عملية تصميم الاستمارة لا بد و أن تحظى بعناية خاصة و تراعى فيها الخلفيات الثقافية و الاجتماعية للمبحوثين، قمنا أثناء الدراسة الاستطلاعية بوضع استمارة أولية، وازلنا بها إلى الميدان وقمنا بتجريبها على عدد من المبحوثين قبل إعدادها بشكلها النهائي لمعرفة الأسئلة غير الواضحة أو غير المقبولة لدى المبحوثين.

¹ طلعت ابراهيم لطفي . المرجع السابق،ص83.

وبعد أن استقرينا على الأسئلة التي لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة قمنا بتعديلها ووضعها في صورتها النهائية، وهكذا اعتمدنا على استمارة مقابلة تضم 53 سؤالاً مقسمين إلى ستة أجزاء.

الجزء الأول: يعنى بمعرفة وتحديد الخصائص الاجتماعية والشخصية لعينة البحث وهذا من خلال معرفة السن والجنس والصفة العائلية...، والهدف من تخصيص هذا الجزء هو أن نستطيع ربط اتجاه المبحوث في الأجزاء الأخرى الخاصة بتغير وظائف العائلة الريفية بخلفيته الثقافية، ومستواه التعليمي، جنسه، سنه، ودور ذلك في تغير العائلة الريفية.

الجزء الثاني: ووجهنا من خلاله أسئلة تخص الوظيفة الانجابية للعائلة الريفية ومعرفة اتجاهها نحو ثقافة تنظيم النسل، وللتحقق من هذا الهدف قمنا بصياغة أسئلة حول تفضيل عدد الأبناء، الفترات الزمنية بين الولادات، التخطيط لذلك...

الجزء الثالث: وضعنا أسئلة متنوعة تخص عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء ونظرة العائلة الريفية لأساليب تطبيع الأبناء بالصفات الاجتماعية التي يعتبرونها تمثل النموذج الثقافي المتعارف والمشروع في هذا المجتمع.

الجزء الرابع: خاص بتغير القيم العائلية في الريف من خلال القضايا المتعلقة بالمرأة في مسائل التعليم ونظام الزواج، ولمعرفة ذلك خصصنا أسئلة حول الزواج داخل النسق القرابي النظرة نحو الزواج المبكر، مساحات الاختيار.

الجزء الخامس: قمنا بصياغة أسئلة هدفنا من ورائها معرفة التوجه الاقتصادي الحالي في المجتمع الريفي، وأيضا التوصل إلى حال الزراعة الريفية بين الماضي والحاضر.

الجزء السادس: يخص معرفة شكل المسكن والبناء الحالي في الريف، وكيف تتكيف هذه الوظيفة مع نمط العائلة الريفية المتغيرة.

وكحوصلة أخيرة، لقد قمنا بصياغة الاستمارة على نحو أن تغطي كافة الجوانب الدراسية التي حددناها في الإشكالية والتساؤلات، لذا كان لزاما علينا أن نضع هذا المقدار من الأسئلة لأن الموضوع يتطلب تغطية كافية للتوصل إلى نتائج تخدم البحث العلمي.

2- الملاحظة:

تعتبر الملاحظة من أهم الأدوات المستخدمة في عملية جمع البيانات، وذلك لأنها تساعد

الباحث في التعرف على النقاط كثيرة، كون هذه الأداة تعتمد بشكل كبير على حواسه والتي يقوم الباحث من خلالها بتحويل تلك الملاحظات إلى أرقام وبيانات يمكن تحليلها وكذلك التوصل إلى نتائج تفيد البحث.

والملاحظة هي عملية "مشاهدة ومراقبة دقيقة لسلوك أو ظاهرة معينة وتسجيل الملاحظات عنها والاستعانة بأساليب الدراسة المناسبة لطبيعة ذلك السلوك أو تلك الظاهرة بغية تحقيق أفضل النتائج والحصول على أدق المعلومات"¹، وبما أن هذه الأداة العلمية تفيد الباحث كثيرا وتستمر معه طيلة عمله، فإن الكثير من علماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس قد استعانوا بها في بحوثهم العلمية على خلاف أنواعها المعروفة؛ حيث توجد الملاحظة البسيطة وهي "نوع من الملاحظة غير العلمية ويقوم الباحث بملاحظة الظواهر والأحداث عن طريق الصدفة بدون إعداد وتخطيط مسبقين وبدون استخدام وسائل وأدوات مقننة، وهذا النوع من الملاحظة مفيد في الدراسات الاستطلاعية وفي الدراسات الأولية للمشكلة التي يريد الباحث أن يبحثها ويجمع المعلومات عنها"²

وهناك أيضا الملاحظة بالمشاركة وتعتمد أن يقوم الباحث "بمشاركة أفراد الدراسة في سلوكياتهم وممارساتهم المراد دراستها"³، وهذا النوع يعتمد عليه كثيرا علماء الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع لمعرفة الخصائص الحقيقية والفعلية لمجتمعات البحث، كأن يقوم الباحث بتقمص دور السجين ودخول السجن لإجراء دراسة دون علم المبحوثين.

وهناك نوع ثالث من الملاحظات وهي الملاحظة المنظمة "يحدد فيها الباحث الحوادث والمشاهدات والسلوكيات التي يريد أن يجمع عنها المعلومات وبالتالي تكون المعلومات أكثر دقة وتحديدًا عنها في الملاحظة البسيطة، وتستخدم الملاحظة المنظمة في الدراسة الوصفية بكافة أنواعها"⁴

في دراستنا التي بين أيدينا اعتمدنا على الملاحظة المنظمة لمعرفة ووضع صورة دقيقة عن مظاهر التغير في وظائف ونطاق العائلة الريفية، فوضعنا مسبقا وقبل النزول النهائي إلى

¹ عبد الله محمد الشريف. مناهج البحث العلمي، ط1 (مصر: مطبعة الإشعاع الفنية، 1996)، ص118.

² المرجع نفسه، ص118.

³ حسان هشام. المرجع السابق، ص137.

⁴ المرجع نفسه، ص137.

الميدان الأبعاد التي نريد أن نركز عليها حواسنا للإستفادة من هذه الأداة العلمية، والنقاط التي قمنا بتسجيلنا هي:

الجانب الأول: فيما يخص مظاهر التغير المادي

ونقصد شكل المسكن، المرافق الموجودة، وضعية السكن بالنسبة للحقول الزراعية....الخ. فلاحظنا أثناء تواجدها بالمنطقة أن المدينة أصبحت في الريف، فيما يخص البناء العمراني، حيث تطورت المساكن ولم تعد بتلك البساطة في السابق من حيث مواد البناء، الأثاث، المرافق الحياتية الضرورية لعيش الإنسان.

من جهة أخرى وفي أغلب المنازل التي دخلنا إليها لم نلاحظ وجود تقسيمات عمرانية تخص حماية الإنتاج الحيواني والنباتي إلا نادرا، وهذا يدل على تغير العائلة الريفية في توجهها نحو العمل الزراعي، وأنه لم يعد بذلك الانتشار الذي عرفته الأرياف سابقا.

إمكانية التنقل بالنسبة لريف والمراكز الحضرية القريبة أصبح ممكنا جدا من خلال ما لاحظناه من توفر وسائل نقل وتعبيد طرق مواصلات وهذا ما ساهم في فك العزلة الجغرافية عن المناطق الريفية والتي أسهمت في تقارب وتواصل الثقافتين الحضرية والريفية.

الجانب الثاني: فيما يخص مظاهر التغير القيمي والذهني.

من الأكيد أن الإنسان لا يستطيع قراءة الذهن والأفكار المجردة أو المنظومة الفوقية المتمثلة في القيم والمعتقدات من خلال أو بواسطة الملاحظة الحسية واعتماد الباحث على حواسه كالבصر، غير أن الباحث يستطيع قراءة الأفكار المجردة من الممارسات السلوكية، وهذا ما حاولنا تسجيل بعض الملاحظات حوله ولخصناها فيما يلي:

1- ملكية المرأة لمساحة المشاركة في الحوار والتعامل مع الغرباء (الباحث) أصبحت نقطة وعامل مهم في معرفة وتحديد مظاهر التغير، حيث في السابق لم يكن للمرأة الريفية دور بارز في مشاركتها في الحوارات أو التعاملات الاجتماعية خارج النسق القرابي - وهذا ما تطرقنا إليه في الجانب النظري- غير أنه ومن خلال ملاحظتنا وجدنا أن معظم الرجال في عينة البحث كانوا ينادون زوجاتهم ويجلسون كثنائي في محادثاتنا حول تغير العائلة الريفية،

وكثيرا ما لاحظنا أن المرأة والرجل يسري بينهما حوار على مستوى من الوعي والإدراك، وهذا ما أمدنا بصورة واضحة عن مسألة الأدوار الاجتماعية وتغيرها في العائلة الريفية خاصة فيما يتعلق بالمرأة.

2- الشيء الذي أكدنا عليه في بحثنا هو مسألة أن العلاقات الاجتماعية المعروفة بالتضامن والتكافل في الريف من النقاط التي تعد ركيزة النسق القيمي والتي لم تتعرض للتغير الذي طال نقاط عديدة، حيث لاحظنا أنه في هذه العينة الدراسية لم ألاقى صعوبات تذكر، بل كان الكل يهرع إلى المساعدة وتعريف الباحثة ببقية مفردات البحث وتسهيل التنقل بين المنازل، فلاحظنا أن العلاقات متكافئة والكل يعرف بعضه ومازالت صورة التعاون منتشرة في الريف، بالإضافة إلى صور الكرم وحسن الضيافة.

كانت هذه بعض من الملاحظات التي قمنا بتسجيلها من خلال تواجدها في العمل الميداني، محاولة منا تقديم صورة واضحة ودقيقة نخدم بها نتائج بحثنا والاستفادة من الأدوات معا، استمارة المقابلة وأداة الملاحظة.

3- الوثائق والسجلات:

إن الوثائق والسجلات هي من الأدوات المهمة التي يحتاجها الباحث الاجتماعي لتوثيق معلوماته البحثية، ونحن في دراستنا هذه اعتمدنا على مساعدة جهتين إداريتين المجلس الشعبي البلدي لبلدية الحاسي بالإضافة إلى السجلات المقدمة من طرف مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية لولاية باتنة.

حيث ساعدتنا الوثائق المقدمة على إيجاد إحصائيات حول السكان الحضر والريف في الجزائر منذ 1886، بالإضافة إلى مونوغرافية ولاية باتنة والتي تضم إحصائيات حول قطاعات كثيرة وإحصائيات حول السكان تخص الولاية والمناطق التابعة لها كبلدية الحاسي والتي أجرينا بها دراساتنا الميدانية، بالإضافة إلى السجلات والوثائق الخاصة بالمنطقة الريفية التي حددنا بها مجتمع بحثنا؛ لذا لطالما مثلت الوثائق والسجلات وسيلة مساعدة هامة يعتمد عليها الباحث كقاعدة معلومات دقيقة.

فيما سبق تناولنا مجمل الأدوات التي قمنا بتوظيفها في مجال بحثنا هذا والتي أردنا الاستفادة منها في تحقيق نتائج علمية تخدم مجال البحث العلمي.

الفصل الخامس

تحليل ومناقشة نتائج الدراسة

أولاً: تفرغ وتحليل البيانات الدراسية

ثانياً: مناقشة النتائج المتوصل إليها

ثالثاً: النتائج النهائية

1- عرض نتائج الدراسة في ضوء الدراسات المشابهة

2- عرض نتائج الدراسة في ضوء نظريات الدراسة

3- عرض نتائج الدراسة في ضوء التساؤلات

أولاً: تفريغ و تحليل لبيانات الدراسة

بعد نزولنا إلى الميدان و ملاً استمارات المقابلة، حري بنا أن نترجم تلك المعلومات إلى بيانات إحصائية لإضفاء الصبغة العلمية الدقيقة لنتائج الدراسة.

أ-تفريغ البيانات الخاصة بالمعلومات الشخصية

جدول رقم-6- يبين توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الجنس

النسبة%	التكرارات	الجنس
43.5	20	ذكور
56.5	26	إناث
100%	46	المجموع

إن الجدول أعلاه يبين لنا أن نسبة الإناث تمثل 56.5% من مجتمع البحث، فيما نجد أن نسبة الذكور تمثل 43.5% و ما يعادل على التوالي 20،26 مفردة بحث، ونجد أن نسبة الإناث فاقت نسبة الذكور؛ لان تواجد المرأة الريفية في البيت و ملازمتها له سهل من تمثيلها للأسرة والتي تعتبر الوحدة الدراسية في هذا العمل.

جدول رقم 7- يبين توزيع أفراد مجتمع البحث حسب السن.

النسبة %	التكرارات	الفئات العمرية
26.10	12	34-25
41.30	19	44-35
13.04	06	54-45
13.04	06	64-55
6.52	03	74-65
%100	46	المجموع

إن الجدول أعلاه يبين لنا أن هناك تنوعا في الفئات العمرية التي مثلت العائلة الريفية

وهذا حتى نتمكن من معرفة حقيقة تغير البناء العائلي في هذا المجتمع .

غير أننا وجدنا و حسب نتائج الجدول أن الفئات العمرية الأقل من خمسة و أربعين سنة تقارب 70% من مجتمع البحث، وهذا يطابق ما تطرقنا إليه في الجانب النظري من خلال المعطيات الإحصائية التي أمدتنا بها مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، حيث أن فئة الشباب في الريف تعادل 70%.

إلا أننا توجهنا إلى جميع الفئات العمرية لتكون الدراسة شاملة و تحمل نتائج اجتماعية دقيقة حول تغير العائلة الريفية، و بهذا نجد أن الفئة العمرية 44-35 تمثل أكبر نسبة في مجتمع البحث ب 41.30 % وفي المقابل نجد أن الفئة العمرية من 74-65 تمثل نسبة 6.52 % هذا منطقي ومبرر حسب الإحصائيات العامة للمجتمع الريفي.

جدول رقم 08: يبين لنا توزيع أفراد مجتمع البحث حسب الصفة العائلية.

النسبة %	التكرارات	الصفة العائلية
91.30	42	متزوج
2.18	01	مطلق
6.52	03	أرمل
100%	46	المجموع

إن نظام الزواج في المجتمع الريفي من المبادئ الأساسية المقدسة في الريف، ولطالما شجعت العائلة الريفية أبنائها على هذه القيمة للدور الذي تلعبه من حفظ للنسل وتوفير المودة والرحمة والاستقرار العاطفي، ولقد وجدنا أن نسبة المتزوجين في مجتمع البحث تعادل نسبة 91.30 % و هي نسبة كبيرة التي مثلتها نتائج الجدول أعلاه مقارنة بالنسبة التي مثلتها حالات الطلاق المعبر عنها

ب 2.18 % من مجتمع البحث.

وما أكد عليه المبحوثون هو أن الزواج أمر مقدس في الثقافة الريفية و هو يعبر عن رباط قوي يجمع بين الرجل و المرأة من أجل تكوين أسرة حفظا للنسل بالدرجة الأولى. وبهذا نجد أن قيمة الزواج كمبدأ أساسي لم تتغير بل مازال المجتمع الريفي يحافظ عليها كقيمة دينية واجتماعية.

أما الطلاق فهو مرفوض بالنسبة إليهم و مازال يستهجن اجتماعيا، و هو بنظرهم يسبب تفككا للأسرة و انحلالا لها.

جدول رقم 9- يبين عدد الأبناء لدى العائلة الريفية

النسبة %	التكرارات	عدد الأبناء
28.26	13	2-0
56.52	26	5-3
13.04	06	8-6
2.18	01	9 فما فوق
%100	46	المجموع

المتمعن في نتائج الجدول أعلاه يستطيع قراءة عدة نقاط تؤكد عليها النسب المتوصل إليها؛ فلقد وجدنا أن نسبة 56.52 % من مجتمع البحث تمثل أسرا عدد أبنائها من ثلاثة أبناء إلى خمسة، و بعدها مباشرة نجد أن نسبة 28.26 % أكدت على أن عدد أبنائها من صفر إلى إثنين أبناء، ونجد أن الأسر التي يتراوح عدد أبنائها من ستة إلى ثمانية تعبر عنها النسبة 13.04 % من مجتمع البحث، لنصل في الأخير إلى أسرة واحدة مثلت نسبة 2.18 % من مجتمع البحث عدد أبنائها يفوق التسعة.

من خلال هذا الجدول، وبالإضافة إلى ما قرأناه من المبحوثين نجد أن العائلة الريفية تتجه نحو تقليل عدد أبنائها و هذا ما عبرت عليه النسبتين 56.52% و 28.26% حيث تمثلان عدد الأسر التي يكون عدد أبنائها من صفر إلى خمسة أبناء.

أما فيما يتعلق بالأسر التي يمثل عدد أبنائها ستة أبناء إلى تسعة فهي تمثل فئات أسرية ممن يكون أربابها كبارا في السن، و لقد أنجبوا هذا القدر من الأبناء تماشيا مع القيم الريفية التي كانت تشجع الكثرة من الأبناء ، حيث و من خلال محادثتنا مع المبحوثين لاحظنا أن كبار السن من مجتمع البحث هم من يمثلون النسبة التي يكون عدد أبنائها كبيرا.

جدول رقم 10- يبين توزيع المستوى التعليمي حسب الفئات العمرية لأفراد العينة

المستوى التعليمي / الفئات العمرية	أمي	ابتدائي	متوسط	ثانوي	تعليم عالي	المجموع
34-25	01	02	03	04	02	12
44-35	07	04	06	02	/	19
54-45	03	03	/	/	/	06
64-55	06	/	/	/	/	06
74-65	03	/	/	/	/	03
المجموع	20	09	09	06	02	46
النسبة %	43.50	19.56	19.56	13.04	4.34	%100

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أن نسبة الأمية في مجتمع البحث تمثل نسبة 43.50% ونجد أن مفردات العينة التي مثلت الفئتين العمريتين 64-55 والفئة 74-65 كلهم أناس لم يتلقوا التعليم أبداً، أما بالنسبة للتعليم الابتدائي والمتوسط فنجد أن كل منهما مثلت نسبة 19.56% من مجتمع البحث، وبعدها نجد أن نسبة الذين تلقوا التعليم الثانوي تمثل 13.04% من مجتمع البحث ، و هي عبارة عن ستة مفردات؛ أربعة منها استقرت في الفئة العمرية من 34-25 و اثنتين في الفئة العمرية من 44-35 ، في حين نجد أن نسبة التعليم العالي قدرت ب 4.34% من مجتمع البحث وهي عبارة عن مفردتين في الفئة العمرية من 34-25.

من خلال النسب الموضحة أعلاه نجد أن نسبة الأمية تزيد في الريف كلما كبر عمر الإنسان وذلك مرده إلى أن الإنسان في الريف في الماضي لم يكن يشجع العلم لأنه في نظره ليس من الأولويات في هذه الحياة فكان يعمل على تربية أبنائه الزراعة والفلاحة ولم يهتم بالتعليم غير أن الأمور بدأت تتغير فعلاً؛ فالملاحظ من الجدول أنه كلما نزلنا في السن و كلما كان الإنسان يمثل فئات عمرية شابه، نجد أن الاهتمام بالعلم بدأ يزيد، و ذلك بالنسبة للذكور والإناث على حد سواء.

الجدول رقم -11- يبين الأوضاع المهنية في المجتمع الريفي

النسبة %	التكرار	النشاط الممارس	النسبة %	التكرار	الوصف المهني
13.04	06	عمل فلاح	32.60	15	
6.52	03	عمل تجاري			
6.52	03	عمل حرفي			
6.52	03	مهن أخرى			
/	/	/	67.40	31	دون عمل
32.60	15	المجموع	100	46	المجموع

الملاحظ من الجدول أعلاه أن نسبة العاطلين عن العمل في مجتمع البحث تمثل نسبة 67.40% حيث أنه ومن خلال لقائنا بالمبحوثين وجدنا أن مفردات البحث التي تمثلها أرباب الأسر من الإناث كلهن لا تعملن خارج المنزل حتى تلك الحاصلة على الشهادة الجامعية بالإضافة أيضا إلى كبار السن من الذكور؛ وذلك أن الثقافة الريفية تمنح كبار السن الاحترام والتقدير وينوب عنهم أبنائهم في عملهم خاصة إذا تجاوزوا سن السبعين .

ومن جهة أخرى وجدنا أن نسبة العاملين والمقدرة بـ 32.60 % تنوعت بين من يعمل بالنشاط الفلاحي ويمثل نسبة 13.04 % و بين من يعمل بالعمل التجاري و الحرفي و المهن الأخرى حيث مثلت كل منها 6.52%.

الجدول رقم -12- يبين الشكل الحالي للعائلة الريفية

النسبة%	التكرار	شكل العائلة الريفية
23.91	11	ممتدة
76.09	35	نووية
100	46	المجموع

تطرقنا في الجانب النظري إلى تغير نطاق العائلة الريفية و توجهها نحو تكوين أسر نووية و الاستقلال بالسكن، و هذا ما نجد أن نتائج الجدول قد أثبتته بما لا يدع مجالاً للشك. فنجد أن نسبة العائلات النووية مثلت 76.09% من مجتمع البحث وهي نسبة كبيرة بالمقارنة إلى العائلات الممتدة في مجتمع البحث، حيث مثلت هذه الأخيرة نسبة 23.91% ولقد تطرق المبحوثون إلى الأسباب التي شجعتهم على الاستقلال بالسكن، حيث أكدوا على عدة نقاط وهي تخلي أغلب العائلات عن العمل الفلاحي الذي كان يربط ويضطر أفراد الأسرة إلى التعايش الجماعي في وحدة سكنية واحدة، بالإضافة إلى أن الاستقلال يمنح الزوجين مساحة أكبر من الحرية والراحة النفسية والابتعاد عن المشاكل التي تحدث بين العائلات التي تشترك في سكن واحد، و هذا حسب ما أكده لنا أغلب المبحوثون.

ب-تفريغ البيانات الخاصة بالوظيفة الإيجابية

جدول رقم 13- يبين تفضيل العائلات قديما إنجاب الأبناء

النسبة %	التكرار	أسباب هذا الأمر	النسبة %	التكرار	تفضيل العائلات إنجاب الأبناء
60.86	28	الاعتماد عليهم في العمل الزراعي	100	46	
39.14	18	الاعتماد عليهم كقوة في تعزيز مكانة الأسرة			
/	/	/	/	/	لا
100%	46	المجموع	100	46	المجموع

من خلال نتائج الجدول أعلاه نلاحظ إجماع مجتمع البحث على رأي واحد وهو أن العائلات قديما كانت تفضل إنجاب العدد الكبير من الأبناء وذلك للاعتماد عليهم في العمل الزراعي وهذا بنسبة 60.86% أو الاعتماد عليهم كقوة في تعزيز مكانة الأسرة بنسبة 39.14%.

نقرأ من هذه النتائج أن المجتمع الريفي في فترة معينة قبل الآن تبني سياسة أو ثقافة تشجيع التكاثر لتحقيق مبادئ معينة؛ جشع عليها النسق القيمي في تلك الفترة، فكانت مكانة الأسرة و قوتها تتحدد وفق عدد الأبناء و الملكية الزراعية و كان أيضا إنجاب الأبناء الذكور يزيد من قيمة الأسرة والمرأة في تلك الفترة، وهذا ما أكدته لنا المبحوثون.

جدول رقم -14- يبين اتجاه الوالدين في تفضيل عدد الأبناء و الرغبة في جنس معين

تفضيل عدد الأبناء الرغبة في جنس معين	أقل من خمسة		من خمسة إلى سبعة		أكثر من سبعة		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
ذكور	02	4.34	04	8.70	05	10.86	11	23.91
إناث	04	8.69	00	00	00	00	04	8.69
كلا الجنسين	21	45.64	06	13.05	04	8.69	31	67.40
المجموع	27	58.69	10	21.75	09	19.56	46	%100

وضحت هذه الدراسة ومن خلال هذا الجدول التغير الفعلي للعائلة الريفية في عدة مبادئ أساسية التي تشكل النسق القيمي وهي: التوجه نحو تقليل عدد الأبناء بالإضافة إلى تفضيل إنجاب الجنسين معا وهذا ما توضحه النسب التي توصلنا إليها، حيث مثلت نسبة 58.69% وهي النسبة الأكبر لمفردات مجتمع البحث التي تفضل إنجاب أقل من خمسة أبناء، وقدموا تفسيراً لهذا؛ حيث أكد البعض على أن العوامل المادية لا تشجع الآن إنجاب العدد الكبير من الأبناء، خاصة مع تغير التوجه الاقتصادي وعدم اكتفاء العائلة الريفية بالنشاط الفلاحي.

أيضا وجدنا أن المبحوثين أكدوا على أن تعقد الحياة نوعا ما و ضرورة الاعتناء بتوفير الاحتياجات الاجتماعية و النفسية للأبناء تفرض هذا التوجه، ووجدنا الكثير من

مفردات العينة خاصة الإناث يؤكدون على أن صحة الأم وضرورة بناء أسرة على أسس سليمة يفسر الرغبة في إنجاب أقل من خمسة أبناء.

ونجد أن نسبة 58.69% ممن يفضلون إنجاب أقل من خمسة أبناء يميلون إلى إنجاب الجنسين معا (إناث و ذكور) بنسبة 45.64 %، في حين أن هناك من يفضل إنجاب الإناث بنسبة 8.69 %، أما تفضيل إنجاب الذكور بالنسبة لهذه الفئة فيمثل نسبة 4.34 %.

من جهة أخرى توصلنا إلى أن من يفضلون إنجاب عدد أبناء من خمسة إلى سبعة في هذا المجتمع يمثلون نسبة 21.75 % ولقد قال المبحوثون في هذا الصدد؛ أنهم يحتاجون إلى من يعينهم في هذه الحياة، لذا هم يفضلون عدد أبناء من خمسة إلى سبعة، و يفضلونهم من الجنسين بنسبة 13.05 % أما من يفضل الذكور من هذه الفئة فلقد مثلوا نسبة 8.70 % في حين لم نجد في فئة الذين يرغبون بعدد أبناء من خمسة إلى سبعة من يرغب في إنجاب الإناث فقط .

وفي الأخير مثلت الفئة التي ترغب في إنجاب أكثر من سبعة أبناء بنسبة 19.56 % من مجتمع البحث وهي نسبة صغيرة بالنسبة للنسبة الأولى، ووجدنا أن 10.86 % من هذه الفئة يفضلون إنجاب الذكور أكثر من الإناث في حين تفضل نسبة 8.69 % إنجاب كلا الجنسين

وهذه الفئة تمثل مفردات بحث من أرباب الأسر ذو السن الكبير والذين فعلا أنجبوا هذا العدد؛ أما عن تفضيلهم وتوجههم لهذا المبدأ هو أن الأبناء رزقهم على الله وأنهم سند لأوليائهم في الشيخوخة وأن الأبناء عز وفخر لوالديهم، هذه الفئة تجسد قيم العائلة الريفية التقليدية التي حملت وشجعت على ثقافة الإنجاب الكثير

وبالرجوع إلى النتائج عامة نلاحظ أن 67.40 % من مجتمع البحث يفضلون إنجاب الذكور والإناث معا على أساس أن كلا الجنسين يمثل الأسرة ويعتبر فخر الوالدين حسب السلوك والدور الذي يقدمه في المجتمع، ونجد أن نسبة من يفضلون الذكور والذين يفضلون إنجاب الإناث تمثل على التوالي: 23.91 % و 8.69 % وهذا يعبر عن بقاء بعض من الترسبات الثقافية التي لا تزول ببساطة، لكن الجدول في عموم نتائجه يعبر عن التوجه الفعلي للأسرة الريفية نحو تفضيل ورغبة داخلية في تقليل عدد المواليد وأيضا الرغبة في إنجاب الجنسين معا .

الجدول رقم -15- يبين التوجه نحو عملية تنظيم النسل و الفترات الزمنية بين ولادة الأبناء

الإختراع بعملية تنظيم النسل الفترات الزمنية بين الولادات	نعم		لا		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
عامين و أقل	01	2.17	10	21.73	11	23.9
من عامين إلى أربع سنوات	08	17.38	06	13.04	14	30.42
أكثر من أربع سنوات	21	45.64	/	/	21	45.64
المجموع	30	65.22	16	34.78	46	%100

من خلال هذا الجدول أردنا التعرف على توجه الأسرة الحالي نحو موضوع تنظيم النسل و فعلية ذلك من خلال الفترات الزمنية بين الولادات، فوجدنا أن نسبة 65.22 % من مجتمع البحث مقتنعة بعملية تنظيم النسل بما في ذلك من ضمان لصحة الأم و تنمية الأبناء في مختلف الأمور و أيضا للاستطاعة المادية.

أما عن الفترات الزمنية لهذه الفئة وجدنا أن نسبة 45.64 % ممن يتبعون فترات زمنية بين الولادات تمثل أكثر من أربعة سنوات، في حين نجد أن 17.38 % تتراوح الفترات الزمنية بين ولادة أبنائهم من عامين إلى أربعة سنوات، و لقد وجدنا مفردة واحدة وهي امرأة مقتنعة بعملية بتنظيم النسل غير أن الفترات الزمنية بين ولادة أبنائها أقل من عامين و مثلت هذه المفردة نسبة 2.17 % ممن يقتنعون بتنظيم النسل؛ و في حديثنا معها سألناها عن هذا التناقض بين اقتناعنا بعملية تنظيم النسل و بين الفترات الزمنية بين ولادة أبنائها و التي تعبر على عكس ذلك؛ فأكدت على أن زوجها هو من يرفض تنظيم النسل و لقد خيرها بين

الإنجاب أو الطلاق فعملت ضد قناعتها بتنظيم النسل، و هذه كانت حالة وحيدة وأردنا التعرف على أسبابها لكشف الغموض على كل ما يرتبط بالموضوع.

في المقابل وجدنا أن نسبة من هم غير مقتنعين بعملية تنظيم النسل يمثلون نسبة 34.78 % أما بالنسبة للفترات الزمنية للولادة بين الأبناء، فلقد وجدنا نسبة 21.73 % و 13.04 % و 0% على التوالي للفترات الزمنية: أقل من عامين، من عامين إلى أربعة، أكثر من أربعة سنوات.

ومن خلال النتائج العامة للجدول نجد أن النسبة الأكبر هي من مثلت الذين هم مقتنعون بعملية تنظيم النسل بنسبة 65.21% في مقابل من يرفضون ذلك بنسبة 34.78 % وذلك نتيجة للترسبات الثقافية والقيمية التي كانت تعبر عن الطبيعة الاجتماعية للريف.

جدول رقم -16- يبين إمكانية تخطيط الزوجين لتنظيم النسل و الاتفاق على ذلك في بداية الزواج

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
76.08	35	لا
23.92	11	نعم
%100	46	المجموع

لقد وضعنا سؤالاً في إمكانية تخطيط الزوجين لعدد محدد من الأبناء في بداية الحياة الزوجية، فوجدنا و حسب ما تدل عليه نتائج هذا الجدول أن 76.08 % و هي نسبة كبيرة من مجتمع البحث تؤكد على أنه و رغم الاقتناع بعملية تنظيم النسل إلا أنه لم يتم التخطيط والاتفاق بين الزوجين حول هذا الأمر؛ فالظروف الحياتية هي من فرض هذا التنظيم من تلقاء نفسها .

من جهة أخرى وجدنا أن نسبة 23.92% من مجتمع البحث أكدوا على أنه تم التخطيط بين الزوجين لعدد محدد من الأبناء وحدث اتفاق بين الطرفين على ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق هذا الهدف.

النتيجة التي دلت عليها نتائج هذا الجدول الموجود أعلاه، تؤكد أن هناك ترسبات ثقافية مازالت عالقة في شخصية الإنسان الريفي تمنع الزوج أو الزوجة من العمل وفق تخطيطات معينة، فرغم أن هناك اقتناع بنسبة كبيرة بعملية تنظيم النسل حسب نتائج الجدول الذي سبق هذا؛ الجدول رقم -9- إلا أن عنصر التخطيط والاتفاق على ذلك في بداية الزواج غير موجود.

جدول رقم -17- يبين توجه أفراد الريف نحو تشجيع تعدد الزوجات أو العكس

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
2.18	01	نعم
97.82	45	لا
%100	46	المجموع

من خلال الجدول المذكور أعلاه نلاحظ أن نسبة 97.82% من مجتمع البحث

و يمثلون خمسة وأربعين أسرة يرفضون تعدد الزوجات رفضاً قاطعاً وهذا للأسباب الآتية الذكر حسب ما أكدته لنا المبحوثون من أرباب وربات الأسر:

1- لا ضرورة أن يتزوج الرجل على زوجته و هذا لضمان حياة اجتماعية هادئة؛ بالإضافة إلى أن الزوجات لا يقبلن أن تشاركهن امرأة في أزواجهن، ومن خلال الحديث مع المبحوثات (الإناث بالذات) أصرين على أن حل الطلاق أفضل من العيش مع امرأة أخرى تشاركهن الزوج.

2- من جانب آخر وجدنا أن الرجال أيضاً ضد هذا الموضوع والأسباب التي ذكروها؛ أنه لا حاجة لزوجة أخرى ، لكي لا يقع الظلم على الزوجة الأولى والبعض الآخر يبرر ذلك على أساس الوضع المادي الذي لا يسمح بتكوين أكثر من أسرة .

3- جزء من المبحوثين أكدوا على أن الرجل لا يستطيع أن يعدل بين النساء لذا فلا بد من الاكتفاء بامرأة واحدة، ومن جهة أخرى نجد أن نسبة من يشجع تعدد الزوجات هي مفردة بحث واحدة تمثلها نسبة 2.18% وهو أحد الرجال المتقدمين في السن ولكنه أكد على أمر واحد وهو في حالة عدم قدرة المرأة على الإنجاب هنا قد يتزوج الرجل مرة أخرى، وليس لسبب آخر، وهذا حسب هذه النسبة.

من خلال ما سبق نستطيع التوصل إلى أن المجتمع الريفي لا يشجع تعدد الزوجات وهذا بنسبة كبيرة جداً وهذا يدل على، أن النظرة نحو المرأة تغيرت في الريف، وهي أيضاً أصبح لها مساحة في صناعة القرارات الأسرية وتعرض بقوة على الأشياء التي لا تريدها

جدول رقم-18- يبين حدوث وفيات للأبناء حسب توزيع الفئات العمرية للوالدين في مجتمع البحث

وفاة أبناء للعائلة الفئات العمرية لوالدين	نعم		لا		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
34-25	/	/	12	26.10	12	26.10
44-35	/	/	19	41.30	19	41.30
54-45	02	4.34	04	8.69	06	13.04
64-55	03	6.52	03	6.52	06	13.04
74-65	03	6.52	/	/	03	6.52
المجموع	08	17.40	38	82.60	46	%100

إن الجدول أعلاه يبين لنا أن نسبة 82.60 % من مجتمع البحث لم يحدث وأن كان في عائلاتهم حالات وفيات للأبناء، في حين نجد أن نسبة 17.40 % فقد عبرت عن عكس ذلك من خلال النسب الآتية : حيث نجد في كل من الفئتين العمريتين للوالدين، 64-55، 74-65 نجد أنه حدثت حالات وفيات للأبناء بنسبة 6.52 % لكل فئة عمرية بالإضافة إلى 4.34 % والتي حدثت في العائلات التي يمثل الوالدين فيها الفئة العمرية من 54-45.

من خلال النسب السابقة نستطيع التوصل إلى أن عامل تطور الصحة وسهولة التنقل بين الريف و المراكز الحضرية أصبحا عاملين متوفرين، و هذا ما ساعد على سهولة علاج الأم أو الابن وخاصة في حالات الولادة؛ حيث كانت العائلات قديما تفقد أبنائها جراء تأخر العلاج أو عدم التمكن من الوصول إلى المناطق والمراكز الاستشفائية .

ولقد أكد لنا المبحوثون بأن تسهيل الطرق والمواصلات وربط الريف بالمدينة قد عالج مشكلة الوفيات التي كانت تتجم عن تأخرها لعلاج أو عدم التمكن من الوصول إليه .

بالإضافة إلى العوامل السابقة الذكر نجد أن تغير الذهنيات في الريف ساهم بشكل كبير في تقليل حالات وفيات الأبناء؛ حيث و حسب ما أكد لنا كبار السن من المبحوثين أنهم كانوا في الماضي يعتمدون على الطرق الشعبية أو الدجل في علاج أبنائهم، والذي كان يتسبب في الكثير من الأحيان بموتهم، حيث لم يكونوا ليلجؤوا إلى الطب إلا نادرا نتيجة لمعتقداتهم البسيطة والتي كان الأولياء يشخصون حالات مرض أبنائهم على أساسها.

وحسب المبحوثين أن بعضا من الأبناء الذين توفوا في الماضي كان بسبب الجهل ونقص الوعي، حيث كانوا يفسرون حالة الأبناء المرضية على أساس أنها حالات سحر أو إصابة بالعين ولم يكونوا على علم أو على اقتناع بأنها حالات مرضية عضوية أو نفسية، فتسببت تلك التفسيرات الغيبية في موت أبنائهم دون قصد منهم .

و النقطة التي أكدوا عليها خلال محادثتنا معهم أن الجهل هو من دفعهم إلى ذلك، لكن الحال تغير ولا طريق لهم غير الإيمان بالطب والعلاج العلمي والنفسي - وهذا حسب ما أكدوه لنا-

جدول رقم 19- يبين توجه العائلة الريفية نحو تقليل عد الأبناء

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
97.82	45	نعم
2.18	01	لا
%100	46	المجموع

من خلال هذا الجدول أعلاه يتضح ويتأكد لنا ما توصلنا إليه في هذا المحور وهو أن العائلات الريفية تتجه فعلا نحو تغيير في الوظائف والنطاق، من خلال التوجه نحو تقليل عدد الأبناء وهذا ما عبرت عليه نسبة 97.82% من مجتمع البحث.

في حين نجد أن نسبة 2.18% قالت غير ذلك وهي نسبة صغيرة جدا ومازالت تتمسك بالتقاليد المشجعة على كثرة الإنجاب.

ج/تفريغ البيانات الخاصة بعملية التنشئة الاجتماعية.

جدول رقم-20- يبين الجهة المسؤولة عن تطبيع الأبناء بالصفات الاجتماعية والقيم العائلية

السماح بتدخل الأقارب في تعليم الطفل	الأم والأب		الجهة التي يتبعها الطفل		المجموع	
	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
نعم	17.40	08	43.48	20	60.88	28
لا	39.12	18	/	/	39.12	18
المجموع	56.52	26	43.48	20	%100	46

إن التنشئة الاجتماعية هي عملية تطبيع الإنسان بالصفات المتوارثة والمقبولة في المجتمع والجدول أعلاه يوضح لنا الجهة المسؤولة عن هذه العملية في الريف؛ حيث نجد أن 56.52% من مجتمع البحث يؤكدون على أن الوالدين هما المسؤولان عن تطبيع الأبناء بالصفات الاجتماعية، غير أننا نجد نسبة 17.40% من هذه الفئة يؤكدون على أنهم يسمحون لأقاربهم بالمساعدة في أمور معينة تخص تنشئة أبنائهم؛ وهؤلاء الأقارب قد يمثلون الجد والجدة والأعمام والأخوال... ولا يجدون مانعاً في استشارتهم والاستفادة من خبرتهم، ومن ناحية أخرى نجد أن نسبة 39.12% لا تستعين بأحد في تنشئة أطفالها و يرون أن تعدد أساليب التربية قد يؤدي لخلق نوع من الفوضى في شخصية الأبناء، وفي الجهة الأخرى نجد أن نسبة 43.48% يؤكدون على أن الأهل جميعاً مسؤولون في تربية الأطفال وتنشئتهم اجتماعياً وهم يسمحون لأقاربهم بذلك حتى وإن كانت الأسرة نووية، فإنهم يتركون أبنائهم يذهبون لبيت الجد ويتربون معظم وقتهم وهذا ما أكدته لنا هذه النسبة، ونلاحظ من خلال هذه النتائج أن التوجه العام في الريف والذي تعبر عنه نسبة 60.88% لا يجدون ضيراً في أن يعتمدوا على أقاربهم في منحهم المساعدة لتربية أبنائهم، لأنهم وحسب ما أكدوه لنا أن عامل الخبرة في الحياة يفيد الوالدين لتجنب أخطاء قد تضر بأبنائهم، أما نسبة 39.12% فيجدون أنه لا يجب أن يتدخل أحد في تربية أبنائهم وهي عملية تخص الوالدين فقط.

جدول رقم-21- يبين إمكانية الاستعانة بـأماكن معينة في تنشئة الأطفال

النسبة%	التكرار	في حالة الإجابة: نعم	النسبة%	التكرار	الاحتمالات
/	/	رياض الأطفال	56.52	26	
56.52	26	المساجد نعم			
/	/	أماكن خاصة			
/	/	أخرى تذكر			
/	/	/	43.48	20	لا
56.52%	26	/	100%	46	المجموع

إن الجدول أعلاه يبين لنا بنسبة 56.52% بأنه يوجد أماكن يمكن الاستعانة بها في تنشئة الأطفال قبل دخولهم العالم الدراسي ونفس النسبة تبين أنها تستعين بالمساجد كونها الأماكن الوحيدة المتوفرة حالياً؛ ويتم الاستعانة بها في تعليم الأطفال في بعض من المواد التي تهدف إلى تثقيف الطفل في الدين الإسلامي، أما بالنسبة لإمكانية الاستعانة برياض الأطفال أو أماكن خاصة كالجمعيات وغير ذلك فهذا لا يوجد بالنسبة لهذا المجتمع لأن ذلك غير متوفر.

في حين نجد أن نسبة 43.48% تؤكد على أنها لا تستعين بأي مكان في تربية أبنائها فيكفي حسب إشاراتهم المنزل ثم المدرسة، ومن خلال هذا نلاحظ أن التوجه العام في المجتمع الريفي هو الاستعانة بوسائل أخرى غير المنزل في تنشئة الأطفال، وإذا توفرت في المستقبل دور حضانة وجمعيات لتعليم الطفل ربما ستقبل الأسر الريفية عليها إن وجدت في مقر إقامتهم.

جدول رقم -22- يبين الأسلوب الذي يتوجه إليه الوالدين في تربية الأبناء

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
15.22	07	الضرب والشدة
60.86	28	التوجيه بالكلام اللين
23.92	11	ترك الطفل يتعلم وحده
/	/	أخرى تذكر
100%	46	المجموع

الجدول يوضح لنا توجهات العائلة الريفية نحو ما يرونه الأسلوب الأمثل في تربية الأبناء؛ فنجد أن نسبة 60.86% من مجتمع البحث ترى أن التوجيه بالكلام اللين هو من الأساليب الناجحة في استجابة الأبناء والتأثير في أفعالهم، وهذه النسبة هي كبيرة إذا ما قورنت بأسلوب أن يترك الطفل يتعلم وحده و تعبر عنها نسبة 23.92% من مجتمع البحث وهذا التوجه يعكس لنا أسلوب اللامبالاة والإهمال في حقيقة الأمر ،لان الطفل طالما تبني شخصيته فهو يحتاج إلى تقويم من الوالدين ،أما أن يترك وحده فهذا يعبر عن عدم مبالاة وإهمال.

من جهة أخرى نجد أن نسبة 15.22% من مجتمع البحث يرون أن الضرب والشدة هما أحسن وسيلة في تقويم الطفل وتوجيه سلوكه نحو المتعارف عليه كنموذج اجتماعي مقبول في الريف وبصفة عامة فإن الملاحظ من مجتمع بحثنا هو توجه العائلة الريفية إلى أساليب اللين كأفضل أداة تقويمية.

جدول رقم -23- يبين اتجاه العائلة في أسلوب التنشئة مع الجنسين

النسبة %	التكرار	المساوات بين الجنسين
69.56	32	نعم
30.44	14	لا
%100	46	المجموع

يوضح الجدول أعلاه من خلال النتائج المقدمة أن نسبة 69.56% من مجتمع البحث يتبعون نفس أسلوب التربية مع الإناث والذكور، وذلك حسب ما أشاروا إليه أن الرجل والمرأة متساويين بالإضافة إلى أن العدل قيمة إلهية والعدل مع الأبناء أهم قيمة يستعملها الآباء ليتقربوا بها إلى الله

ونجد بهذا أن العائلة الريفية بمن يمثلها من أرباب وربات بيوت يتوجهون نحو المساواة في تربية الجنسين وتقويم بعض من أجزاء النسق القيمي الذي كان في الماضي يحدث فوارق بين الجنسين بمدعاة أن الفتاة في الريف لابد أن تكون عليها رقابة اجتماعية كي لا تخطئ ، أما الرجل فله مساحة أكبر من الحرية ، ونحن لا نشير إلى أن هذه الأمور زالت غير أنها تغيرت بنسبة كبيرة ، وهذا ما أكدت عليه نتائج الجدول .

في حين نجد أن نسبة 30.44% مازالت تحمل بعض من الترسبات الاجتماعية الممثلة لقيم التفرقة بين الجنسين من خلال ما أكدوه لنا بأن الفتاة لابد أن يشد عليها أكثر من الرجل. لكن وللإشارة فإن أغلب مفردات هذه النسبة هم من كبار السن الذين لا يزالون يحملون هذه الأفكار والمعتقدات.

جدول رقم 24- يبين إمكانية التعامل بأسلوب الحوار في العائلة الريفية

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
78.26	36	نعم
21.74	10	لا
%100	46	المجموع

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ توجه نسبة كبيرة من المجتمع الريفي والمقدرة ب 78.26% إلى استخدام لغة الحوار بين الوالدين وأبنائهم، في حين نجد أن نسبة 21.74% من مجتمع البحث تؤكد على غير ذلك وهي لاتؤمن بفائدة الأمر.

إلا أننا نؤكد على أن هذه الفئة التي لاتستعمل لغة الحوار مع أبنائها هي قليلة مقارنة بتلك التي تؤمن بفعالية هذا الأسلوب وإمكانية مد جسور التواصل بين الأجيال.

جدول رقم-25- يبين قبول الآباء وجهات نظر أبنائهم نحو موضوعات معينة وعلاقة ذلك بتفهم عامل اختلاف الأجيال

قبول الآباء وجهات نظر أبنائهم الأخذ بعامل اختلاف الأجيال	نعم		لا		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
نعم	32	69.55	/	/	32	69.55
لا	03	6.52	11	23.92	14	30.45
المجموع	35	76.08	11	23.92	46	%100

هذا الجدول المقدم أعلاه يوضح لنا من خلال نسبة 76.08% من مجتمع البحث أن الوالدين يتقبلون أن يعبر أبنائهم عن رفضهم إزاء موضوعات واقتراحات معينة من طرف الوالدين، وترى نسبة 69.55% منهم أنه من الضروري أن يؤخذ عامل اختلاف الأجيال بعين الاعتبار لأن كل جيل له قيمه وقناعاته، وترى نسبة 6.52% من هذه الفئة أنه لا ضرورة للأخذ بعنصر اختلاف الأجيال حيث أن العادات نفسها والقيم واحدة و"أن أتقبل وجهة نظر إبني لا يعني أنني أحمل نسقا قيميا يختلف عنه" وهذا ما أخبرنا به المبحوثون.

في المقابل نجد نسبة 23.92% من مجتمع البحث تؤكد على أنها لا تقبل أن يعبر أبنائها عن رفضهم في موضوع معين؛ لأن هذا عقوق للوالدين حتى وأن بعض من المبحوثين الكبار في السن قالوا "بأن تمرّد الابن على رأي أبيه فهو حرام"، وأكدت لنا نفس النسبة أنه لا ضرورة لأن تراعي الاختلافات بين الأجيال لأنه لا بد وأن لا يعصي الأبناء آباءهم، حسب المبحوثين.

ومن خلال الاتجاه العام لنتائج الجدول، نلاحظ أن الذهنيات في الريف تغيرت وتعلم أفراده أن يتقبلوا الآخر بتفهم أكبر، وهذا مرده إلى وسائل الإعلام والاتصال والدور الذي لعبته في تغير الذهنيات بالإضافة إلى الاقتناع بضرورة العلم والمعرفة وغيرها من الآليات التي توسع مدارك الإنسان في حين أنه لا تزال بعض من الفئات التي تعتمد في توجهاتها على ضيق الأفق وإطلاق الأحكام الدينية على كل أمر اجتماعي، حتى وإن كانت الأحكام تعسفية.

د-تفريغ البيانات الخاصة بتغير القيم الاجتماعية

جدول رقم-26-يبين توجه القيم الخاصة بتعليم الأبناء في الريف

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي المرغوب فيه	النسبة %	التكرار	السماح للأبناء بتلقي التعليم
/	/	الإبتدائي	100	46	
6.52	03	المتوسط			
6.52	03	نعم الثانوي			
86.96	40	التعليم العالي			
/	/	/	/	/	لا
%100	46	/	100	46	المجموع

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه أن مجتمع البحث بأكمله يرغب في أن يتلقى أبنائهم التعليم ونجد أن نسبة 86.96% من مجتمع البحث ترغب في أن يواصل أبنائهم الدراسة حتى التعليم العالي، و كما أكد لنا المبحوثون أنهم يريدون أن يكون أبنائهم من خيرة أبناء المجتمع وأن يكون منهم: الطبيب، المهندس والأستاذ....، فالجهل والامية يعرقلان الحياة ويؤجلان التطور ؛ ونلاحظ من هذا أن هناك تغيرا كبيرا في هذا الاتجاه ففي الماضي لم تكن العائلة الريفية تهتم بتعليم أبنائها، غير أن الوضع تغير وأصبح هناك وعي منتشر وذهنيات تغيرت.

أما بالنسبة لمن يرغبون في أن يصل أبنائهم إلى المستوى الدراسي المتوسط أو الثانوي فيمثلون نسبة 6.52% لكل مستوى دراسي، و هذه النسبة تعبر عن الذين يملكون مساحات زراعية كبيرة ويحتاجون لأبنائهم في الأعمال المحيطة بها، لذا فلقد قالوا لنا أنهم يريدون أن يتلقى أبنائهم التعليم حتى لا يتعرضوا لما تعرضت له الأجيال السابقة من جهل وأمية.

جدول رقم-27-يبين توجه العائلة الريفية نحو تعليم و عمل المرأة

النسبة %	التكرار	خروج المرأة للعمل	النسبة %	التكرار	السماح للمرأة بالتعليم
43.48	20	نعم 38	82.60		
39.12	18	لا			
/	/	/	17.40	08	لا
82.60	38	/	100%	46	المجموع

يوضح لنا الجدول أعلاه نظرة العائلة الريفية نحو تعليم الفتاة، ففي السابق وكما تناولنا في الجانب النظري فإن الفتاة تحرم من حقها في التعليم، غير أن الملاحظ من خلال هذه النتائج أن الأسرة الريفية تغيرت نظرتها نحو تعليم المرأة؛ حيث نجد أن نسبة 82.60 % من مجتمع البحث يرغبون و يسمحون بتعليم بناتهم، في حين نجد أن 17.40 % من مجتمع البحث و هي نسبة صغيرة لا يمنحون الابنة الفرصة في التعليم .

من جهة أخرى نجد أن نسبة الذين يسمحون بخروج المرأة للعمل بشهادتها التعليمية يمثلون نسبة 43.48 % والذين يرفضون عمل المرأة المتعلمة يمثلون نسبة 39.12 %.

الملاحظ من خلال الجدول أن تغير العائلة الريفية تمثل في جزئية التعليم؛ حيث أصبحت العائلة الريفية الآن تتوجه و تسمح بتعليم بناتها وهذا اقتناعا بضرورة العلم و دور المرأة المتعلمة في الأسرة، غير أن النظرة نحو عمل المرأة فهي تتراوح بين السلب

والإيجاب، و هذا مرده إلى أن البعض منهم قال بأن "تبقى المرأة في المنزل لتربي و تعلم أبنائها لأن المنزل مكانها الأساسي، والبعض أكد أنه يرفض عمل المرأة لأن أماكن العمل تبعد بعض الشيء عن الريف" .

جدول رقم-28- يبين العلاقة بين نظام الزواج و النسق القرابي في الريف

وجود قرابة بين الزوجين	نعم		لا		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
السماح للأبناء بالزواج خارج النسق القرابي						
مقبول	23	49.99	22	47.82	45	97.80
مرفوض	01	2.17	/	/	01	2.17
المجموع	24	52.18	22	47.82	46	%100

إن الجدول أعلاه يمدنا بنسب مئوية حول نظام الزواج في الريف والنسق القرابي حيث توصلنا من خلاله أن 52.18% من مفردات البحث هم مرتبطون زواجيا داخل النسق القرابي في حين نجد أن نسبة 47.82% مرتبطون خارجه، و هما نسبتان متقاربتان .

والشيء الذي لاحظناه من خلال مجتمع بحثنا هو أن الارتباط داخل النسق القرابي يتراوح بكثرة في الفئات العمرية التي تعبر عن السن الكبيرة والتي تحمل قيم الجيل الماضي وهذا مرده إلى أن القيم الريفية كانت تفرض هذا التوجه في الزواج ونقصد الارتباط القرابي حفاظا على الملكيات و عدم الاختلاط بالأجانب، بالإضافة إلى العزلة الجغرافية التي كان يعاني منها الريف و كانت تقلل من فرص التعارف خارج النسق القرابي .

لكن التغير في هذه النقطة بدا جليا من خلال ما أكدته لنا نسبة 97.80% حيث أكدوا لنا من خلالها أنه مسموح للأبناء حاليا بالزواج خارج النسق القرابي، لأنه لاخوف على ملكيات زراعية حيث لم تعد توجد بنفس القدر الذي كان عليه في الماضي، بالإضافة إلى هجرة الأبناء المؤقتة نحو المدينة للعمل أو الدراسة و التي تتيح فرص تعارف كثيرة خارج النسق القرابي، لذا فهم يسمحون لأبنائهم بالزواج خارج هذا النسق.

في حين نجد نسبة صغيرة جدا ترفض زواج أبنائها خارج النسق القرابي، وتمثل 2.17% من مجتمع البحث لذا فالقراءة العامة للجدول توضح لنا أن هناك تغيرا في المجتمع الريفي فيما يتعلق بالزواج داخل النسق القرابي.

جدول رقم -29- يبين المكانة التي يحظى بها الوالدين في اختيارات الأبناء

النسبة %	التكرار	استشارة الأبناء لوالديهم في مسألة الزواج
93.48	43	نعم
6.52	03	لا
100%	46	المجموع

يبين الجدول أعلاه نسبة 93.48% أن الأبناء يستشيرون والديهم في خياراتهم الزوجية وهي نسبة كبيرة تدل على احترام الوالدين والحفاظ على مكانتها الاجتماعية و هي من القيم الريفية التي شجعت عليها العائلة و لا تزال كذلك.

في حين نجد نسبة صغيرة و هي 6.52% أكدت على أنها لم تستشر في خيارات أبنائها الزوجية .

جدول رقم-30-يبين ما إذا كان الأولياء في المجتمع الريفي يتدخلون لفرض و تغيير خيارات أبنائهم الزوجية.

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
21.74	10	نعم
78.26	36	لا
%100	46	المجموع

هذا الجدول أعلاه ومن خلال مقارنته بالجدول رقم 24 نجده قدم لنا نفس النتائج، حيث وفي الجدول السابق الذي تطرقنا إليه في إمكانية أن يكون الحوار أسلوب تعامل بين الوالدين وأبنائهم وجدنا أن نسبة 78.26% أكدت على لغة الحوار وهي نفس النسبة التي وجدناها في نتائج هذا الجدول وأكدت على عدم التدخل أو فرض خيارات زوجية أخرى على أبنائهم وهذا ما يدل على التغير العائلي في القيم الخاصة بمسألة الزواج، و في حديثنا مع المبحوثين أكدوا لنا على هذه النقاط .

1-أن الزواج يعتبر خيارا حرا .

2-يستطيع الأهل نصح أبنائهم لكن لا يجب أن يفرضوا آرائهم في هذه المسألة.

3-يستطيع الأبناء والآباء التوصل إلى لغة مشتركة من خلال الحوار .

وفي المقابل نجد أن نسبة 21.74% من مجتمع البحث أكدت على أنها تتدخل في تغيير اختيارات أبنائهم وأنها تختار الأنسب والأصلح وهي نفس النسبة التي وجدناها في الجدول رقم 24 وترفض أن يكون حوار بينها وبين أبنائهم، وهي في العموم نسبة صغيرة جدا مقارنة بالنسبة التي تؤكد على أهمية الحوار بين الأجيال .

جدول رقم-31-يبين النظرة الحالية نحو موضوع الزواج المبكر في الريف الجزائري

النسبة %	التكرار	الأسباب التي تمنع ذلك	النسبة %	التكرار	تشجيع الزواج المبكر
/	/	/	30.44	14	نعم
28.25	13	أسباب مادية	69.56	32	
41.30	19	عدم اكتمال النضوج الذهني والنفسي			
69.56	32	/	100%	46	المجموع

كان الزواج المبكر في النسق القيمي من أهم أسس نظام الزواج، إلا أنه وحسب نتائج الجدول أعلاه نجد بأن نسبة 69.56% من مجتمع البحث لا يشجعون الزواج المبكر، لأن الشباب الصغار يكونون غير مكتملين نفسيا وذهنيا ولا يستطيعون تحمل هذه المسؤولية وهذا لخصته النسبة المئوية 41.30% من نسبة 69.56% أما النسبة المتبقية وهي 28.25% فهي ترى أن الوضع المادي الصعب هو ما يمنع الزواج المبكر، خاصة وأن متطلبات الزواج لم تعد بسيطة كما في الماضي، وهذا حسب ما أشار إليه المبحوثون.

وفي المقابل نجد أن نسبة 30.44% من مجتمع البحث تحتفظ بالقيم الريفية التي لطالما دعت إلى أهمية الزواج المبكر بالنسبة للفتاة والفتى لكنها تظل نسبة صغيرة وتدل على تغير القيم الريفية فيما يخص المجتمع الريفي.

جدول رقم -32- يبين مساحة الاختيار التي تملكها الفتاة في موضوع الزواج

النظرة للفتاة الريفية الرافضة لزواج تقبله العائلة ملكية الفتاة لمساحة الاختيار	خروج عن القيم العائلية		انحراف أخلاقي		حرية شخصية		المجموع	
	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
نعم	/	/	/	/	37	80.43	37	80.43
لا	13.04	06	6.52	03	/	/	19.56	09
المجموع	13.04	06	6.52	03	37	80.43	46	%100

هذا الجدول أعلاه يبين لنا إمكانية أن تملك الفتاة مساحة للاختيار في مسألة الزواج حيث أكدت نسبة 80.43% من مجتمع البحث أن للفتاة الحق في اختيار شريك حياتها إذا كان مناسباً و اعتبر الأمر حرية شخصية لا بد من احترامها ،في حين نجد أن نسبة 19.56 % من مجتمع البحث يرون أن الفتاة لا تملك حقاً بالاختيار ؛لأن التعبير عن رغبتها يعد خروجاً عن القيم العائلية و هذا بنسبة 13.04 % ويعتبر الآخرون الفتاة التي تعترض عن زوج تقبله العائلة أنها منحرفة أخلاقية و هذا بنسبة 6.52 % .

من خلال الجدول نلاحظ أن النسبة الكبرى وهي 80.43 % ترى أن الفتاة تملك مساحة من الاختيار كالابن الذكر و أكدوا على أن هذه المسألة تعتبر حقا دينيا و اجتماعيا وفي حالة رفضت الفتاة زوجا تراه العائلة مناسبا فأكدت هذه النسبة أنها تقبل رأي الفتاة وتحترمه لأنه مسألة شخصية.

نستطيع التأكيد على أمر وهو أن الفتاة التي كانت تزف دون استشارتها فيما مضى في الريف، أصبحت تأخذ حقها بالاختيار وبنسبة كبيرة وهذا التغيرأتى نتيجة لعوامل متسلسلة ومتراصة أهمها النظرة نحو العلم وتوسع المدارك بالإضافة إلى الانفتاح على الثقافات الأخرى.

جدول رقم 33- يبين الجهة التي تتوجه إليها العائلة الريفية في حال تعرضها لمشاكل

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
30.45	14	عائلة الزوج
4.34	02	عائلة الزوجة
65.21	30	الأهلين معا
/	/	لأحد
%100	46	المجموع

الجدول أعلاه يوضح لنا أن العائلة الريفية و في حال تعرضها لمشكلة معينة تلجأ إلى أهل الزوج والزوجة معا بنسبة 65.21% أما التوجه إلى عائلة الزوج فقط فيمثل نسبة 30.45% في حين يمثل التوجه نحو عائلة الزوجة حوالي 4.34% أما الفئة التي لا تتوجه لأحد فوجدناها تمثل 0 % والملاحظ من هذه النسب عدة نقاط و هي:

1- أن شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الريفي لا تزال تتميز بالتضامن والتكافل والترابط و انه في حال واجهت العائلة مشكلة معينة فهي تتوجه إلى باقي الأقارب لمساعدتهم في حلها.

2- لم نجد مفردة بحث واحدة تقول أنها تحل مشاكلها لوحدها، مما يدل على أن العلاقات الثانوية لا مكان لها في الريف.

3- الثقافة الريفية تلزم الأفراد بالإتباع الذكوري اجتماعيا و هذا ما دلت عليه الفئة التي تقصد أهل الزوج أكثر من أهل الزوجة، حيث وكما أفصح عنه المبحوثون؛ فإن التوجه إلى أهل الزوجة قبل أهل الزوج يعد إذلالا لكرامة الرجل و انتقاصا لمكانته في الريف بالإضافة

إلى أن الزوجة الريفية تتسبب إلى أهل زوجها بعد زواجها أكثر من أسرتها وهذا ما أكدته لنا المبحوثون .

جدول رقم-34-يبين حجم العلاقات الاجتماعية بين الجيران

النسبة%	التكرار	الاحتمالات
100	46	نعم
/	/	لا
%100	46	المجموع

يدل الجدول أعلاه دلالة واضحة وصارخة على أهمية العلاقات الاجتماعية في الريف والتي لم تتعرض للتغير حيث وجدنا أن هناك إجماع بنسبة 100 % حول جزئية الزيارات المتبادلة بين الجيران في المجتمع الريفي؛ حتى وأن بعضا من المبحوثين أكدوا لنا على عدة نقاط مهمة وهي:

1-أنهم في الريف يستخدمون كلمة أهل بدل جيران وهذا يدل على عمق العلاقات وترابطها.

2-أن الناس في الريف يعتبرون عائلة واحدة ،حتى ولو كان الجيران من عائلات قرابية مختلفة.

3-أن الجار أوصى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، و هذا يدل أيضا على أهمية الدين كمصدر من مصادر القيم في الريف.

❖ لقد توجهنا إلى مجتمع البحث بسؤال مفتوح حول شكل العلاقات الاجتماعية بين الماضي و الحاضر فوجدنا تأكيدا على عدة نقاط أهمها و أغلبها أكدت على طرحنا في الجانب النظري حيث تناولنا العلاقات الاجتماعية و أنها كانت بمنى عن التغير القيمي الذي حدث في العائلة الريفية، على الأقل التغير لم يكن جذريا.

وجدنا أن التغير الذي حدث قد مس جانب العلاقات بين الجنسين والأدوار المتعلقة بهما ففي الماضي كان الرجل يحظى بمكانة اجتماعية أعلى بكثير من المرأة و هذا ما دلت عليه المسائل المتعلقة بمساحات القرار الاجتماعي و التأثير فيه، غير أن النتائج السابقة دلت على توازن الأدوار الاجتماعية و تكيفها حسب ما يصلح اجتماعيا لكل من الجنسين بالإضافة إلى توسيع مساحات الاختيار للمرأة .

من جهة أخرى توصلنا إلى نتيجة معينة من خلال المبحوثون و هي مسألة العلاقات الأولية وفيما إذا تعرضت للتغير أم لا ؛فوجدنا تأكيدا و إجماعا على أن مسألة التضامن والتكافل الاجتماعي مازالت من أهم الصور التي تعبر عن الريف، وكخلاصة للعلاقات الاجتماعية بين الماضي والحاضر، وحسب المبحوثون توصلنا إلى ما يلي:

1 -التغير ظهر في مسألة الأدوار الاجتماعية و توازنها الحالي بين الرجل والمرأة .

2 -المكانة الاجتماعية للفئات ذات السن الكبيرة مازالت تحظى بمكانة اجتماعية و احترام ولم تتعرض للتغير .

3-العلاقات القرابية و الجيرة مازالت تحظى بنفس الأهمية و المكانة في الريف .

4-التوزيع مازالت من المظاهر الموجودة في الريف لكن ليس بنفس الحجم،و هي تظهر في مواسم و مناسبات معينة كالأفراح و الأحزان...

هـ-تفريغ البيانات الخاصة بالتوجه الاقتصادي

جدول رقم-35-يبين وضعية الزراعة في الريف

النسبة%	التكرار	ممارسة الزراعة كنشاط رئيسي
13.04	06	نعم
86.96	40	لا
100%	46	المجموع

يدل هذا الجدول أعلاه أن النشاط الزراعي لم يعد المورد الأساسي للعائلة الريفية وهذا ما دلت عليه نسبة المبحوثين المقدرة بـ 86.96 % وعن الموارد التي تعتمد عليها العائلة الريفية فهي متنوعة بين التجارة والأعمال الحرفية و الحكومية...الخ.

وفي المقابل نجد أن 13.04% من مجتمع البحث يمارسون العمل الزراعي كنشاط أساسي.

من خلال هذه النتائج نستطيع التوصل إلى أن التوجه الاقتصادي في الريف تغير ولم تعد الزراعة هي المورد الأساسي أو الوحيد للعائلة الريفية.

جدول رقم-36-يبين التوجه الحالي للأبناء نحو الزراعة

النسبة%	التكرار	توجه الأبناء نحو العمل الزراعي
2.18	01	نعم كلهم
28.26	13	البعض منهم
69.56	32	لأحد منهم
100%	46	المجموع

يتضح لنا من خلال الاطلاع على نتائج الجدول أعلاه أن العائلة الريفية تتجه اتجاهها جديدا في النشاط الاقتصادي، حيث كانت سابقا تعتمد على العمل الزراعي والفلاحي بدرجة كبيرة، ولطالما اعتبرت الزراعة طريقة كسب وحياة في الريف؛ غير أن الملاحظ من الجدول هو وجود تغير واضح و ذلك ما عبرت عليه النسبة 69.56 % من مجتمع البحث والتي أكدت انه لا احد من أبنائها يمارس الزراعة.

في حين نجد أن 28.26% من مجتمع البحث قد يمتن البعض من أبنائهم العمل الزراعي والبعض الآخر أعمال متنوعة من تجارة و مهن حرفية وأعمال حكومية

أما بالنسبة لمجتمع البحث فوجدنا مفردة واحدة تؤكد على أن جميع أبنائها يمارسون العمل الزراعي و يمثلون نسبة 2.18% من مجتمع البحث.

في السابق كانت العائلة الريفية تتجب لتستفيد من أبنائها في العمل الزراعي، غير أنه وحسب ما أكده لنا المبحوثون فهم يرغبون في أن يطور أولادهم سبل حياتهم وطريقة عيشهم وأن لا يجعلوا حياتهم مرتبطة بالزراعة فقط .

جدول رقم-37-بين العلاقة بين نمط الزراعة المعمول به الريف و الاحتياج لليد العاملة

نوع الزراعة الممارسة في الريف الاستعانة باليد العاملة	تقليدية		حديثة		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
بقدر كبير	01	2.18	/	/	01	2.18
بقدر بسيط	34	73.90	11	23.92	45	97.82
المجموع	35	76.08	11	23.92	46	100%

من خلال نتائج الجدول أعلاه، نجد أن 76.08 % من مجتمع البحث يؤكدون على أن الزراعة الممارسة في الريف هي زراعة تقليدية تعتمد على وسائل بسيطة ومساحات صغيرة حيث مثلت نسبة 73.90% من هذه الفئة مفردات بحث تؤكد على أن الزراعة الريفية حالياً لا تحتاج إلى اليد العاملة بقدر كبير وهذا لأن المساحات المستغلة زراعياً هي صغيرة الحجم وليست شاسعة .

أما نسبة 2.18% من مجتمع البحث و تمثل مفردة بحث واحدة أكدت على أن الزراعة تحتاج اليد العاملة بقدر كبير، وهذا لأن صاحب الزراعة هنا يملك أرضاً واسعة ويعتمد على وسائل بسيطة في استثمارها، لذا فهو يعتمد على جميع أبنائه لخدمة أرضه وهي نسبة صغيرة مقارنة بالذين يؤكدون على أن الزراعة الريفية في الوقت الحالي لا تحتاج إلى اليد العاملة.

من جهة أخرى وجدنا نسبة 23.92% من مجتمع البحث يصفون نشاطهم الزراعي بأنه عبارة عن زراعة حديثة نسبة إلى الوسائل المستخدمة والطريقة التي يتبعونها في الإنتاج .

ونفس النسبة أكدت أنهم لا يحتاجون إلى اليد العاملة بقدر كبير، لأن الآلة وتطور التكنولوجيا حلتا محل الإنسان، وكما علق البعض من المبحوثون بأن الآلة الحديثة تعمل بكفاءة وسرعة أفضل من الإنسان.

و بهذا نتوصل إلى أن نسبة 97.82% من مجتمع البحث يؤكدون على أن الزراعة الحالية سواء التقليدية أو الحديثة لا تحتاج لليد العاملة بقدر كبير وذلك بسبب :

- ✓ إحلال الآلة محل الإنسان .
- ✓ ملكيات الأراضي الزراعية هي ملكيات صغيرة و لم تعد تستثمر بقدر كبير.
- ✓ تغير توجهات الأبناء، وميلهم إلى تنوع الأعمال و تخليهم عن الأعمال الزراعية .

جدول رقم -38- يبين ممارسة المرأة الصناعة التقليدية

النسبة %	التكرار	الإحتمالات
56.52	26	نعم
43.48	20	لا
100%	46	المجموع

من خلال هذا الجدول نجد أن المرأة الريفية مازالت تحب ممارسة الصناعة التقليدية من أعمال النسيج والغزل بالإضافة إلى صناعة الزرابي ومختلف المفروشات وهذا ما عبرت عنه نسبة 56.52% من مجتمع البحث .

في حين نجد أن نسبة 43.48% من مجتمع البحث يؤكدون على أن الصناعة التقليدية لم تعد من اهتمامات المرأة الريفية ،غير أن نتائج الجدول في عمومها تبين أن المرأة الريفية تشجع الصناعة التقليدية حتى ولو كانت عملا شخصيا يتم في نطاق ضيق فقط،حتى أن بعضا من مفردات البحث أكدوا على أن قيمة المرأة مازالت تقاس بإتقانها لأعمال النسيج والغزل وصناعة المفروشات المتنوعة .

جدول رقم-39-يبين العلاقة بين الاستفادة من مشاريع فلاحيه ووضعية الزراعة الريفية حاليا

الاستفادة من مشاريع فلاحية وضعية الزراعة الريفية	نعم		لا		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
تؤمن الاكتفاء الذاتي فقط	02	4.34	12	26.08	14	30.43
تمثل مصدر استهلاك وتصدير	07	15.21	02	4.34	09	19.56
لاتغطي الاحتياجات للعائلة الريفية	/	/	23	49.99	23	50
المجموع	09	19.56	37	80.43	46	%100

يبين لنا هذا الجدول أعلاه أن نسبة 80.43% من مجتمع البحث لم تستفد من مشاريع وضعتها الدولة للتنمية الفلاحية، أكدت لنا ما يعادل نسبة 49.99% أن الفلاحة الريفية لا تغطي احتياجات العائلة وأن نسبة 26.08% يؤكدوه على ان المساحات الزراعية الصغيرة المتوفرة لديهم تنتج لهم ما يحقق اكتفاء ذاتيا في مجال الخضروات و الحليب ومشتقاته فقط، وفي نفس العينة التي لم تستفد من مشاريع فلاحية توفرها الدولة نجد أن نسبة 4.34% يؤكدون على أنهم يملكون مشاريع زراعية خاصة بهم يستفيدون بها في عمليات تجارية خارج الرقعة الريفية .

في المقابل نجد أن نسبة 19.56% من مجتمع البحث أكدوا على أن الدولة قدمت لهم تسهيلات لتنمية مشاريعهم الفلاحية وذلك من خلال القروض وغيرها من الوسائل، ووجدنا أن نسبة 15.21% من هذه العينة تؤكد على أن مشاريعها أقيمت بهدف تنمية وترقية النشاط الزراعي و تدعيم المناطق الحضرية بالموارد الأساسية من منتوجات زراعية .

وكحوصلة لنتائج هذا الجدول نلاحظ أن النسب التي أخذت حيزا كبيرا في مجتمع البحث هي تلك التي أكدت على أنها لم تستفد من مشاريع تنمية و هي 80.43%، بالإضافة إلى أن 50% من مجتمع البحث أي نصفه أكدوا على أن الزراعة الريفية لا تغطي احتياجات العائلة الريفية .

و-تفريغ البيانات الخاصة بتغير شكل ووظيفة السكن الريفي

جدول رقم-40-يبين الإقامة في منزل الوالدين في بداية الحياة الزوجية في المجتمع الريفي.

النسبة %	التكرار	سنوات الإقامة	النسبة %	التكرار	الإقامة في منزل والدي الزوج قبل الاستقلال
28.25	13	5-1	60.86		
28.25 نعم	13	10-6 28			
2.17	01	15-11			
2.17	01	20-16			
/	/	/	39.14	18	لا
60.86	28	/	%100	46	المجموع

إن الثقافة الريفية فيما سبق كانت تضع شرطا اجتماعيا على الأبناء وهو الإقامة في منزل والدي الزوج لبضع سنوات، لأن استقلال الأبناء بسكن خاص في بداية الحياة الزوجية لم يكن يلقي استحسانا اجتماعيا في الريف وهذا ما بينته لنا النسبة الموجودة في الجدول أعلاه وهي 60.86 % من مجتمع البحث حيث أكدوا على أنهم أقاموا في منزل والدي الزوج قبل الاستقلال بسكن خاص، أما عن سنوات الإقامة فوجدنا أن مفردات البحث التي أقامت فترات زمنية قدرت من ستة إلى خمس سنوات، وأيضا تلك التي أقامت فترات زمنية مقدارها من ستة إلى عشر سنوات، فحظيتا بالنسبة الأكبر بما يعادل 28.25% لكل فترة زمنية.

في حين نجد أن نسبة 2.17% تعبر عن فترتي إقامة في منزل والدي الزوج من 11 إلى

15 و أيضا من 16 إلى 20 سنة و هي نسبة صغيرا جدا .

وفي المقابل وجدنا أن 39.14% من مجتمع البحث أكدوا على أنهم استقلوا بسكن خاص مع بداية حياتهم الزوجية، ولقد أكدوا لنا أن هذا الأمر أصبح ضرورة اجتماعية وأنه يلقي إقبالا وقبولا من فئات الشباب في الوقت الحالي؛ لأن الاشتراك في السكن سابقا فرضته الثقافة الزراعية التي كانت تستدعي أن يكون أفراد العائلة كلهم في سكن واحد للحفاظ على ملكيتهم غير أنه ويتغير التوجهات الآن وتنوع المهن واستقلال الدخل أصبح الزوج يستقل عن منزل والديه وهذا ما أثبتناه في الجدول رقم 12 حيث وجدنا أن الأسر النووية تعادل نسبة 76.08% من مجتمع البحث.

وكل هذه النتائج تدل على تغير بعض من قيم العائلة الريفية .

جدول رقم 41: يبين شكل المساكن الريفية وتغيرها مقارنة بالمساكن السابقة

المقارنة بين المسكن الحالي والسابق لأفراد العينة	أبسط من منزل الوالدين		يشبه منزل الوالدين		أحسن من منزل الوالدين		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
البساطة في مواد بناء المساكن								
نعم	/	/	02	4.34	/	/	02	4.34
لا	/	/	16	34.78	28	60.86	44	95.64
المجموع	/	/	18	39.13	28	60.86	46	%100

تميز العمران الريفي سابقا بالبساطة في مواد البناء والمرافق الموجودة تماشيا مع الحياة الاجتماعية في الريف، غير أن هذا الجدول أعلاه يبين لنا أن العمران الريفي تغير بمرور السنوات؛ حيث ومن خلال مقارنة استوضحناها من الأسئلة المقدمة للمبحوثين وجدنا أن نسبة 60.86% من مجتمع البحث أكدت لنا أن بناءها العمراني والمرافق الموجودة به أفضل من المنازل التي عاشوا فيها قبلا مع والديهم، وهذا ملاحظناه فعلا، حيث وفي فترة تواجدنا بالعمل الميداني تبين لنا أن المساكن الريفية تحتوي وتشمل أغلب المرافق الحياتية التي تسهل عيش الإنسان وهي تشبه إلى حد كبير المنازل في المدينة إن لم نقل أننا وجدنا المدينة في الريف، وهذه النتيجة دعمتها لنا النسبة 95.64% التي أكدت لنا أن مواد البناء التي أقاموا بها منازلهم لا تختلف عن مواد البناء التي تستخدم في المساكن الحضرية، حيث لم يتبقى من المساكن التقليدية إلا القليل وهذا ما وقفنا عليه عند نزولنا للميدان وهي النقطة التي أثبتتها لنا نسبة 4.34% من مجتمع البحث التي مساكنها تعد تقليدية وبسيطة من حيث المرافق الضرورية ومواد البناء.

من جهة أخرى وجدنا أن نسبة 39.13% من مجتمع البحث أكدت على أن مساكنها مقارنة بمساكن عائلاتهم الأولية تتشابه من حيث المرافق الموجودة وحدثة مواد البناء مؤكدين على نقطة هامة وهي أن تغير نمط البناء العمراني واستحدثه تشجع عليه جميع الفئات العمرية في الريف.

والحقيقة أننا ومن خلال المنازل التي دخلنا إليها لاحظنا وجود المدينة في الريف وأن المنازل التقليدية لا توجد إلا بصفة قليلة.

جدول رقم -42- يبين إدخال أنماط حضرية على المنازل الريفية

الاحتمالات	التكرار	النسبة%
نعم	44	95.65
لا	02	4.34
المجموع	46	%100

إن نتائج هذا الجدول تدعم الملاحظات والنتائج التي توصلنا إليها من خلال الجدول السابق، حيث وجدنا نسبة 95.66% من مجتمع البحث تؤكد على أنها أدخلت أنماط حضرية على مساكنها بينما نجد أن نسبة 4.34% لم تدخل أنماط حضرية على مساكنها، وهذا فعلا ماوقفنا عليه من خلال دخولنا منازل المبحوثين .

وكنتيجة نستخلصها من الجدولين السابقين هو أن التواصل الريفي الحضري وفك العزلة عن الريف خاصة بعد العشرية السوداء؛ ساعد على نقل حيثيات المدينة إلى الريف واختلاط الأنساق الثقافية مع بعضها، حيث لاحظنا فعلا تغيرا في الجانب المرئي مثل تغير البناء العمراني .

جدول رقم -43- يبين موقع المساكن الريفية بالنسبة للحقول الزراعية

النسبة%	التكرار	وقوع المسكن في نطاق الحقل
19.56	09	نعم
80.44	37	لا
%100	46	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن نسبة 80.44% من مجتمع البحث مساكنها لا تتواجد داخل حقول زراعية وهي نسبة كبيرة تعبر عن تغير القيم المتعلقة بالبناء العمراني في الريف، حيث كان سابقا يهتم الفلاحون بأن تكون منازلهم متواجدة في نطاق الحقول الزراعية وهذا لضمان مراقبة الإنتاج والعمل الفلاحي، ونحن قد تطرقنا لهذه النقطة في الجانب النظري، والتي يثبت هذا الجدول أنها تغيرت وبنسبة كبيرة .

في حين نجد أن نسبة 19.56% قد بنت مساكنها داخل حقول زراعية حفاظا على النمط الزراعي التقليدي .

جدول رقم -44- يبين مواقع المساكن الريفية

هل المنزل يقع في منطقة مأهولة بالعمران المسافة بين الجيران	نعم		لا		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
قريبة	41	89.13	02	4.34	43	93.47
بعيدة	/	/	03	6.51	03	6.51
المجموع	41	89.13	05	10.86	46	%100

تبين لنا من خلال نتائج الجدول أعلاه أن 89.13% من مجتمع البحث تقع منازلهم في مناطق عمرانية مأهولة بالسكان وأكدت لنا نفس النسبة أن المسافة بينها وبين جيرانها قريبة وهذا ما وقفنا عليه؛ وقرب الوحدات السكنية مع بعضها أتى نتيجة لمشاريع الإسكان التي وفرتها الدولة للعائلات الريفية هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن هذه العائلات لا تملك مساحات زراعية شاسعة لتقيم بناءاتها السكنية فيها، لأن هذا العامل هو ما قد يحدث بعدا في المسافة بين العائلات .

وفي المقابل نجد أن نسبة 10.86% من مجتمع البحث يؤكدون على أن منازلهم أنشأت في مناطق غير مؤهولة هذا نتيجة لاستقرارهم في نطاق حقولهم للزراعة، غير أن نسبة 4.34% من هذه العينة ورغم إقامتها في حقول زراعية، إلا أن المسافة بينها وبين جيرانها قريبة، لأن مساكنهم بنيت في أطراف الحقول القريبة من المناطق العمرانية، وهذا ما وقفنا عليه وتأكدنا منه في دراستنا الميدانية .

جدول رقم -45- يبين تقسيم المساكن الريفية حسب احتياجات العائلة

النسبة %	التكرار	الاحتمالات
76.08	35	حسب عدد الأفراد فقط
23.92	11	تضم مخزن للإنتاج الفلاحي والحيواني
100%	46	المجموع

لقد تطرقنا في الجانب النظري لوظيفة البناء والتعمير في الريف، وأكدنا على أن هذه الوظيفة تعمل على تكيف السكن مع الاحتياجات الاجتماعية للعائلة، فكانت في الماضي تبنى على أساس أن تشتمل اشتراك عدة أجيال في السكن بالإضافة إلى إلحاق الوحدات السكنية بمباني لحفظ الإنتاج الحيواني والزراعي.

وننتج الجدول أعلاه تبين لنا بنسبة 76.08 % من مجتمع البحث قد بنوا مساكنهم على أساس الاحتياجات البشرية فقط؛ وهذا يدل على توجه الأفراد نحو أعمال أخرى غير زراعية فتكيفت وظيفة البناء والتعمير هنا حسب الاحتياجات الجديدة، بينما نجد نسبة 23.92 % من مجتمع البحث قد مزجوا بين نمط عمراني حضري يلبي احتياجات الأفراد بالإضافة إلى حفاظهم على توفير مباني تلحق بالوحدة السكنية لأجل حماية الإنتاج الحيواني والفلاحي .

جدول رقم -46- يبين استفادة العائلات من مشاريع البناء الريفي

النسبة %	التكرار	الاستفادة من البناء الريفي
54.34	25	نعم
45.66	21	لا
100%	46	المجموع

لقد تطرقنا في الجانب النظري لدور الدولة في تغيير وضعية الريف وهذا من خلال تدعيمه بمشاريع سكنية تساهم في إمكانية استقلال الأبناء في زواجهم عن الأسرة الوالدية وهذه المشاريع ساهمت وبشكل كبير في انتشار نمط الأسر النووية في الريف، حيث نجد أن نتائج الجدول أعلاه تبين ما تطرقنا إليه وهذا ما نقلته إلينا النسبة المئوية 54.34 % وتمثل العينة التي استفادت من المشاريع البناء الريفي الذي تقدمه الدولة في الأرياف بغرض تحسين الظروف المعيشية وحل مشكل السكن .

في حين نجد أن نسبه 45.66% من مجتمع البحث تؤكد على أنها لم تستفد من مشاريع البناء الريفي وتدل نتائج الجدول على تعضيد وتدعيم رأي أن الأسرة في الريف تغيرت من حيث النطاق والوظيفة وهذا بفعل عدة عوامل من بينها المشاريع التي واضعتها الدولة

وفي الأخير لابد أن نشير إلى أن نتائج الجداول السابقة أمدتنا بنسب إحصائية تدل على التغير الحاصل في العائلة الريفية خاصة في النطاق وبعض من الوظائف والقيم، وهذا ما عملنا على إثباته في هذه الدراسة .

ثانياً: مناقشة النتائج المتوصل إليها

بعد الخطوة التي قمنا بها من تفرغ للبيانات المأخوذة من مجتمع البحث، لابد وأن نقوم بمناقشة عامة للنتائج المتوصل إليها من خلال المحاور التي اعتمدنا عليها في استمارة المقابلة.

1- تحليل النتائج الخاصة بالبيانات الشخصية:

إن البيانات الشخصية تعتبر من أهم النقاط التي لابد وأن يركز عليها الباحث لمعرفة شاملة ودقيقة عن مجتمع بحثه، فلكي نستطيع فهم البناء العائلي والتغير الذي حدث فيه، لابد وأن نعرف الخصائص الاجتماعية لمفردات البحث.

فالجنس (ذكر، أنثى) مثلاً له دور مهم في هذا البحث؛ حيث أن المرأة هي أكثر من يشملها التغير في العائلة الريفية والرجل هو من يساهم بشدة في إحداث التغير، لذا فلقد كان هناك تنوعاً في هذا الدراسة بنسب متقاربة، 56.5 % إناث و 43.5 % ذكور، في حين أن التوصل إلى نتيجة مئوية قدرها 67.40 % تمثل فئات عمرية أقل من خمسة وأربعين سنة يوضح لنا عدة نقاط:

✓ هذه النتيجة تدعم الإحصائيات المقدمة لنا من طرف مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية فيما يخص أن نسبة الشباب في الريف عبر الوطن تمثل 70 %.

✓ الشباب هم الفئات الأكثر تكيفاً وتقبلاً للتغير خاصة مع وسائل الإعلام والاتصال الحديثة والتأثيرات المباشرة التي تحدثها في الذهنيات والممارسات السلوكية.

فحينما نعرف أن أرباب الأسر هم شباب بنسبة كبيرة؛ ندرك لماذا تغيرت العائلة الريفية وتقبلت الانفتاح على العالم الحضري في مختلف مجريات الحياة.

من جهة أخرى أردنا التعرف على الصفة العائلية لأرباب الأسر، ووجدنا 91.30 % منهم متزوجين وهذه النسبة تعرفنا من خلالها على النقطة التي أردنا التأكد منها، وهي مسألة أن الزواج لا يزال يحظى بنفس القدسية كما في السابق، من حيث أنه نظام متكامل يوفر الاستقرار العاطفي والتكاثر بالطريقة التي يقبلها المجتمع والدين.

مجتمع بحثنا يتميز بنمط عائلات نووية بنسبة 76.09 % وهي عائلات مستقلة يسكنها عن عائلة التوجيه، وربما هذا الانتشار للعائلات النووية مرده إلى أن الفئات الشبانية الغالبة في

الريف والتوجهات القيمية الجديدة التي يؤمنون بها، خلافا للأجيال السابقة التي كانت تشجع على السكن لدى الوالدين.

2- تحليل النتائج الخاصة بالوظيفة الإيجابية:

إن الإنجاب أو التكاثر هو من أهم المقاصد الاجتماعية للزواج، وقد كان يمثل في السابق بالنسبة للعائلات الريفية مصدر فخر وعز خاصة إذا كان المولود ذكرا، غير أن النتائج التي توصلنا إليها دلت على تغير هذه النقطة، وهذا ما أكدته نسبة 67.40 % من مجتمع البحث بتفضيلها إنجاب الجنسين معا وأنه لا فضل لأحد على الآخر، إلا بما يقدمه من عمل ودور في بناء المجتمع.

ومن جهة أخرى وجدنا أن 65.22 % من مجتمع البحث مقتنعين بعملية تنظيم النسل لضمان صحة الأم من خلال التباعد بين الولادات، وصحة الأبناء أيضا.

أما عن التخطيط الذي يتم بين الزوجين في بداية حياتهم الزوجية لتنظيم النسل، فهو أمر لا يزال من النقاط المرفوضة اجتماعيا، وهذا ما أكدته لنا نسبة 76.08 % من مجتمع البحث، وتدل هذه النتيجة على بقاء بعض الرواسب الثقافية في المجتمع الريفي التي تمنع المرأة والرجل على الاتفاق على عدد معين من الأبناء في بداية الحياة الزوجية، ونستطيع قراءة مسألة مهمة وهي أن التغير لا يكون جذريا في جميع المفاهيم القيمية والوظائفية للعائلة الريفية، ورغم أن أمورا عديدة قد تغيرت بشكل كبير إلا أننا نجد أن مسائل معينة مازالت على حالها في هذا المجتمع.

3- تحليل النتائج الخاصة بعملية التنشئة الاجتماعية:

إن عملية التنشئة الاجتماعية من أهم الوظائف التي تقوم بها العائلة ومن خلالها يتم تطبيع الأبناء بالصفات المقبولة والمتوارثة في المجتمع، وكانت العائلات الريفية تعتمد على جميع الأطراف، أعمام، أخوال، جد، جدة... في مساعدة الوالدين في تربية أبنائهم، غير أن هذه المسألة تغيرت نسبيا، وهذا ما دلت عليه النتيجة المئوية 39.12 % من مجتمع البحث.

غير أن النسبة الأكبر لازالت تعتمد على الأقارب في مساعدتهم في تنشئة أبنائهم وهذا يدل على أن صورة الترابط العائلي مازالت موجودة في الريف، فرغم أن النسبة الأكبر هي عائلات نووية غير أنها لا تزال تحمل قيم العائلات الممتدة.

من جهة أخرى وفيما يخص مسألة التواصل الاجتماعي بين جيل الآباء وجيل الأبناء من خلال لغة مشتركة التي أصبحت ضرورة اجتماعية في العائلة الريفية، أكدت نسبة 78.26% من مجتمع البحث اعتمادها على استعمال لغة الحوار لإحداث التواصل بين التوجهات والأفكار والطموحات المختلفة للجيلين والأمور التي أصبحت العائلة الريفية تطبعها في أبنائها من خلال عملية التنشئة هي إزالة الفوارق بين الجنسين من خلال استخدام أسلوب تربية متساوية معهما وهذا ما أكدته لنا نسبة 69.56% من مجتمع البحث والتي تؤدي إلى تقليص المساحة الكبيرة للدور الذكوري في هذا المجتمع.

4- تحليل النتائج الخاصة بتغير القيم الاجتماعية:

من تفريغ بيانات الاستمارة وتحويل الإحصائيات، إلى لغة سوسيولوجية، وجدنا أن قيم العائلة الريفية قد تغيرت في مسائل معينة كنا قد حددناها بدقة، منها مسألة النظرة نحو التعليم، حيث وجدنا أن نسبة 86.96% من مجتمع البحث أكدوا على أنه يريدون أن يتخطى أبناؤهم كل المراحل العلمية والحصول على الشهادات الجامعية، وهذه النظرة شملت التعليم بالنسبة للمرأة أيضا، أما بالنسبة لخروج المرأة للعمل فوجدنا أن نسبة 43.48% يرون أن هذه المسألة أصبحت من الأمور المقبولة اجتماعيا في الريف، وهذا التغير كان بناء على عوامل عديدة؛ منها التواصل الريفي الحضري.

من جهة أخرى وجدنا أن القيم المتعلقة بنظام الزواج تغيرت بناء على النسب التي توصلنا إليها حيث وجدنا 97.81% من مجتمع البحث أكدوا على أنهم سيسمحون لأبنائهم بالزواج خارج النسق القرابي طالما كان هذا خيارهم في الحياة، ونجد أيضا أن نسبة كبيرة من مجتمع البحث وقدرها 80.43% أكدت على أن الفتاة لها نفس مساحة الاختيار لأن هذا من حقوقها المشروعة دينيا والتي أصبحت مقبولة اجتماعيا

وبهذه النتائج توصلنا إلى أن الوعي ازداد بين الأوساط الريفية وأصبحت أكثر قابلية وتكيفاً مع تغير الأمور التي كانت تستهجن في الماضي، وكانت تعد من المحظورات، وهذا التغير ليس جذريا بل توجد بعض القيم الاجتماعية مازالت على حالها، كبقاء العلاقات الاجتماعي بين الأقارب والجيران وهذا ما أكدته المجتمع البحثي بالإجماع حيث أن صور التضامن والتعاون من أبرز العمليات الاجتماعية التي تتميز بها العائلة الريفية.

5- تحليل النتائج الخاصة بتغير التوجه الاقتصادي:

إن من أهم مظاهر تغير العائلة الريفية هو تغير التوجه الاقتصادي؛ حيث في السابق كانت العائلات الريفية تمارس العمل الزراعي كنشاط أساسي يربط بين أفرادها ويحقق الاكتفاء الذاتي لهم إلا أن النتائج تدل على تغير هذا الاتجاه من خلال ما وجدناه، حيث مثلت نسبة 86.96 % من مجتمع البحث مفردات لا يمارسون العمل الزراعي، بل يقومون بأعمال أخرى تجارية وحرفية وأعمال إدارية....

وأكدت لنا نسبة 97.82 % من مجتمع البحث أن الزراعة الحالية لا تحتاج إلى يد عاملة كثيرة، إما نتيجة لإحلال الآلة محل الإنسان أو انتقال الأبناء نحو أعمال أخرى وتوسيع الأنشطة الحياتية الخاصة بهم.

وهذا التوجه يتأكد لنا من خلال ما تطرقنا إليه سابقا في الإحصائيات التي قدمتها لنا مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية حول القطاعات الموجودة في الريف والتي يشغل منها القطاع الفلاحي 38% فقط، وهذا بالنسبة للوطن بأكمله.

والفلاحة الريفية الآن ورغم ما ينادى إليه من طرف الدولة لتثبيت الأهالي في الأقاليم الريفية من خلال مشاريع التنمية الفلاحية، إلا أننا نجد أن 50% من مجتمع البحث يؤكدون على أن الفلاحة الآن لا تغطي الاحتياجات العائلية.

6- تحليل النتائج الخاصة بالبناء العمراني في الريف:

إن تغير التوجه الاقتصادي في الريف، وتراجع العمل الزراعي من قبل أرباب العائلات الريفية أظهر عدة دلالات اجتماعية تعبر عن تغير في أمور عديدة؛ حيث ولأن الزراعة سابقا كانت هي النشاط الأساسي جمعت بين أفراد العائلة في سكن واحد، بالإضافة إلى تشجيع الإنجاب لتوفير اليد العاملة، بناء المساكن بطريقة تتكيف مع بساطة الحياة وطبيعة العمل الزراعي.

وبتغير التوجه الاقتصادي للعائلة الريفية تغيرت معها المفاهيم السابقة، ومن بينها شكل ووظيفة المسكن الريفي، حيث دلت نسبة 95.65 % من مجتمع البحث أنها أدخلت أنماط حضرية على منازلها ولم تعد تبنى بالوسائل البسيطة تماشيا مع طموحات الأبناء

وتطلعاتهم وهذا بفضل التواصل الريفي الحضري وفك العزلة الجغرافية والاجتماعية عن الريف.

وبالإضافة إلى شكل المسكن الريفي تغيرت الوظيفة أيضا، فلم تعد المنازل تبنى في الحقول الزراعية وهذا ما أكدته لنا نسبة 80.44 % بالإضافة إلى أن نسبة 76.08 % من مجتمع البحث دلت على أن منازلها لا تحتوي مخازن للإنتاج الحيواني والفلاحي، وهذا بفعل تغير التوجه الاقتصادي وتراجع العمل الزراعي.

من جهة أخرى نجد أن انتشار نمط البناء النووي للعائلات الريفية ساهمت فيه الدولة بتوفيرها مشاريع بناء ريفية للسكان وهذا للمساهمة في إيجاد حلول لأزمة السكن، وأكدت لنا نسبة 54.34 % من مجتمع البحث أنها تحصلت على مشاريع بناء ريفي من طرف الدولة وهذا ما ساهم من جهة معينة في استقلال جيل الأبناء على جيل الآباء في السكن.

ثالثا: النتائج النهائية:

من خلال ما سبق وبعد تفريغ البيانات ومناقشة النتائج، يمكن الوصول إلى نتائج نهائية في موضوع دراستنا وهو "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري"، ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على أن البناء العائلي قد مرسته تغيرات قيمية ووظيفية خاصة في الألفية الثالثة بفعل عوامل كثيرة منها؛ الدور الذي لعبته وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، العشرية السوداء وما أحدثته من ضرورة تغيير في الذهنيات وتبني قيم جديدة بالإضافة إلى المشاريع التي ساهمت بها الدولة وأدت من خلالها إلى فك العزلة الاجتماعية والجغرافية عن الريف ومد جسور التواصل بين الريف والحضر.

كل هذه العوامل أدت إلى تغيير البناء العائلي والذي نستطيع إدراكه من خلال عدة مظاهر ومؤشرات من بينها؛ انتشار النمط العائلي النووي بالإضافة إلى تغيير النظرة القيمية نحو المرأة، تعديل مساحات الأدوار الاجتماعية، إدخال أنماط حضرية على المساكن الريفية تراجع العمل الزراعي، ... إذا فالتساؤل الرئيسي في دراستنا تمحور حول معرفة المظاهر والمؤشرات التي تعكس صورة تغيير هذه الوحدة الاجتماعية في المجتمع الريفي.

وفي طرحنا للنتائج النهائية ستعتمد على محاور ثلاث لتدعيم النتائج ووضعها في قالب اجتماعي علمي ودقيق، لذا سنتناول النتائج في ضوء الدراسات المشابهة، وفي ضوء النظريات الدراسية، ثم نقوم بعرض النتائج في ضوء التساؤلات.

1- عرض نتائج الدراسة في ضوء الدراسات المشابهة:

لقد أردنا القيام بهذه الخطوات وعرض نتائج دراستنا في ضوء الدراسات المشابهة لنبيين النقاط التي استفدنا منها والتي مثلت جوانب نقص أو إخفاق في تلك الدراسات، وحاولنا معالجتها بطريقة موضوعية وقبل التطرق إلى نتائج دراستنا، لابد وأن نعاود التذكير بأهم المحاور التي تناولتها تلك الدراسات الاجتماعية.

الدراسة الأولى:

وهي الدراسة التي تناولتها الباحثة **عالية حلمي عبد العزيز** بعنوان "بعض ملامح التغير في شكل الأسرة الممتدة في الريف المصري" وأهم نتيجة توصلت إليها الباحثة، أكدت من خلالها على تغيرات جذرية في شكل ووظائف العائلة، وذلك في مجتمع تقليدي بعيد عن عوامل التصنيع والتحضر.

الدراسة الثانية:

وهي دراسة أردنية للباحثين **أيمن الشبول** و**محمود نعانمة** بعنوان "التغير الاجتماعي وبناء الأسرة دراسة اثولوجية لبلدة الطرة" وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة؛ أن الأسرة اتسمت بتغيرات ديناميكية سريعة انعكست على النظام السلطوي للعشيرة، وظهرت مفهوم العلاقات القرابية الذي حد من نطاق التعاون ووسع أفق التنافس بين أفراد للمجتمع.

الدراسة الثالثة:

وهي دراسة جزائرية للباحثة **راضية لبرش** بعنوان "نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت والمتغير" وتوصلت بعد خطوات عديدة إلى نتائج أساسية مفادها أن الزواج المبكر عند أهل الريف لم يعد من الأمور التي تلقى اهتماما بالإضافة إلى انتقال الخيار الزواجي من الوالدين إلى الفرد بحد ذاته، وأصبح الزواج يتم عن طريق الاختيار الحر.

هذا تذكير بسيط بنتائج الدراسات التي تطرقنا إليها بنوع من التفصيل في المراحل الأولى من هذا العمل، ونريد أن نناقش نتائج دراستنا وهي بعنوان "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" في ضوء نتائج هذه الدراسات لنوضح كيف استفدنا من جوانب النقص فيها.

عرض نتائج الدراسة:

الدراسات المشابهة في النتائج التي توصلت إليها تتمحور أغلبها حول:

1- التغير الجذري لقيم العلاقات الريفية بمختلف المجتمعات.

2- تغير القيم القرابية وتوسيع أفق التنافس والصراع بين أفراد المجتمع الريفي.

نحن نرى أن هذه النتائج مبالغ في تعميمها على المجتمعات، بالإضافة أنها تعبر عن أحكام مطلقة بدون مراعاة الخصائص الثقافية والقيمية، وهي النقاط التي حاولنا تفاديها. وقبل الوصول إلى النتائج النهائية، هناك عدة أمور ركزنا عليها لنبتعد عن الأحكام الذاتية ووضع دراسة موضوعية، وهذه الأمور هي:

1- تعرض المجتمع الجزائري لقرون طويلة من الاحتلال قديما، وفي العصر الحديث أدى أن يكون معظم سكانه الأصليين من يستوطنون الأرياف.

2- طبيعة المجتمع الجزائري الريفي تطرقنا إليها في الجانب النظري من خلال مراحل تاريخية متعددة، وأكدنا أن هذا المجتمع يتميز بتركيبة قيمية تختلف عن باقي المجتمعات وذلك فيما ميزه من طبيعة المقاومة للأجانب والتمرد على كل نظام اجتماعي يحاول أن يفرض نفسه على هذا المجتمع، بالإضافة إلى أن المعروف عن المجتمع الجزائري أنه يكيف العقائد والاتجاهات وفق طبيعته وحياته الاجتماعية، من خلال التضامن الشديد بين الأفراد والعلاقات الاجتماعية التي من الصعب تفكيكها أو تحويلها إلى علاقات ثانوية في الريف الجزائري.

من خلال ما سبق وبنزولنا إلى الميدان توصلنا إلى أن القيم التي تعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية في الريف لم تتغير، بل ما زال السكان في الريف يتميزون بالترابط والتضامن والتكافل الاجتماعي وما زالت مظاهر التعاون جلية و ظاهرة، وهذه النتيجة عكس ما توصلت إليه الدراسات الأخرى التي أشارت إلى التغير الجذري في طبيعة القيم، وربما يعود هذا الاختلاف إلى طبيعة الشعوب، رغم اشتراكها في الدين واللغة والخطوط العامة للحياة الاجتماعية، إلا أن كل مجتمع لابد وأن يدرس على حدى وبموضوعية مراعاة للخصائص القيمية المتعلقة به.

مما سبق، لابد وأن نوضح أننا لا ننفي التغير في بعض القيم الاجتماعية، بل نؤكد عليه، لكننا توصلنا إلى أن التغير الجذري لا يمكن حدوثه طالما أن هناك عقائد تحكم المجتمع، وفي هذا الصدد تناولنا تغير القيم الخاصة بالمرأة الريفية في مسألة التعليم

والزواج، وربما يتبادر إلى الأذهان أسئلة حول كيف أن حدث التغير في القيم الخاصة بالمرأة ولم يشمل العلاقات؟ ولتوضيح هذه المسألة، لابد وأن نذكر بطبيعة المجتمع الريفي الجزائري ونظراته الأصلية حول المرأة والتي تطرقنا إليها سابقا.

المرأة كانت تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الجزائري، وهذا دلت عليه الأدوار القيادية التي حظيت بها **كالكاھنة، لالا فاطمة نسومر،...**، غير أن الاحتلال الفرنسي استطاع بجهود تدميرية كبيرة، استطاع أن يغرس قيما زاحمت التراث القيمي للعائلة الريفية، وغيّرت النظرة نحو المرأة فأصبحت تزوج دون استشارتها، وتسحب من مقاعد الدراسة، غير أن السنوات الأخيرة سيما مع التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال والدور الذي لعبته في تغيير الاتجاهات والذهنيات ساهمت في إعادة النظرة الأصلية للمرأة الريفية.

فالتغير هنا أعاد التوازن القيمي، فأبقى على الصورة التضامنية للعلاقات الاجتماعية وعدل وأعاد النظرة الأصلية القيمة نحو المرأة الريفية، وهي النتيجة التي توصلنا إليها.

2- عرض نتائج الدراسة في ضوء النظريات:

إن عرض نتائج الدراسة في ضوء النظريات، التي تطرقنا إليها قبلا، يبين الأفكار التي عملنا من خلالها وتبينها في عملنا هذا، وقبل عرض النقاط التفصيلية لابد وأن ننوه إلى بعض المسائل.

أولاً: نحن قمنا بعرض أفكار معينة لجملة من النظريات التي عالجت وفسرت المجتمع الريفي والبناء العائلي كل على حدى؛ وهي نظرية ابن خلدون، المحك الواحد، المحكات المتعددة، الثنائيات الاجتماعية، المتصل الريفي الحضري، ولقد حملت أفكارها معالجة نظرية لسمات المجتمع الريفي في مقابل المجتمع الحضري.

النظرية التطورية، البنائية الوظيفية، التفاعلية الرمزية، النظرية التنموية، النظرية التبادلية، ولقد عالجت أفكارها البناء العائلي من منطلقات فكرية مختلفة.

ثانياً: قمنا بوضع ملخصات النظريات السابقة وأهم الأفكار التي تناولت بالدراسة والتحليل كل من المجتمع الريفي، البناء العائلي، لكننا نؤكد على أننا لم نتبنى تلك الأفكار كاملة لأسباب موضوعية، لكننا تطرقنا إليها لعرض التراث النظري في هذه المواضيع، وعدم إغفال الجهود التي قام بها علماء اجتماع كثر.

ثالثا: لنظريات التي فسرت المجتمع الريفي اعتمدت أغلبها على خصائص مجتمعات معينة وكانت بعيدة بعض الشيء عن الشمولية في الدراسة لذا لم نركز عليها، غير أننا تبيننا أفكار ابن خلدون لأنها كانت أقرب في تفسير المجتمع الريفي الجزائري وذلك لتعمقه في الخصائص الاجتماعية للشعوب وبالذات في مسألة القيم الاجتماعية والتركيز على التضامن الموجود الذي فرضته ضروريات الحياة.

في المقابل كنا حذرين في تناولنا للنظريات التي عالجت البناء العائلي، لأن أغلبها قائم على تفسيرات للمجتمعات الغربية، فالنظرية التطورية عالجت البناء العائلي على أساس التطور الذي يحمل انقلابات جذرية في نظام الزواج، فلو تبيننا هذه الأفكار لذهبنا في اتجاه التأكيد على أن العائلة الريفية في الجزائر ستختفي عن الوجود، أو تعوضها أسر المثليين وهذا ما يعد مستحيلا وربما لا أبالغ في هذا الحكم نظرا لطبيعة مجتمعنا الذي ما تزال تحكمه التقاليد والدين والأعراف...

في المقابل تبيننا أفكار النظرية البنائية الوظيفية لأنها تخدم اتجاه دراستنا، فهي تدرس السلوك الأسري في محيط إسهاماته في بقاء النسق الأسري، وهي لا تنفي وجود تغير في الوظائف والأدوار، طالما أنه جاء نتيجة طبيعية لمتطلبات الحياة الأسرية، ولقد لمسنا هذا من خلال ما أكدته تالكوت بارسونز عن ظهور الأسرة النواة الذي جاء ليبي حاجات الاقتصاد من مهارات متخصصة وحراك جغرافي

هذه النظرية ورغم أنها تبدو استاتيكية، غير أنها لم تنف التغير، طالما أننا لا نتحدث عن الانقلابات الجذرية أو التحولات المفاجئة، بل نصف تغيرا ديناميكيا يتكيف مع ضروريات الحياة للحفاظ على البناء الكلي.

ومظهر التغير الأساسي الذي توصلنا إليه في دراستنا ويتوافق مع أفكار هذه النظرية هو انتشار نمط الأسرة النووية في المجتمع الريفي الجزائري و الذي ارتبط بتغير وظائف عديدة للعائلة الممتدة، ورغم أن دراستنا لم تهدف إلى معالجة أسباب التغير، غير أننا ذكرنا عوامل أثرت بطريقة مباشرة في هذه المسألة، أهمها الدور الذي لعبته وسائل الإعلام والاتصال من نشر للوعي والانفتاح على الثقافات ومد جسور التواصل الريفي الحضري...

والمهم في هذه الدراسة هو تناولنا لمظاهر التغير وأهمها: انتشار النمط النووي للعائلات الريفية، الذي أتى نتيجة لتغير التوجه الاقتصادي، فالعائلات سابقا كانت تشترك في المسكن ذاته حفاظا على النشاط الزراعي العائلي والملكيات، وعلى إثر هذه الثقافة كان نظام الزواج يتم داخل النسق القرابي غير أن الوضع تغير، لأنه وبانتشار التعليم وتوسع المدارك الذهنية وتطور الطموحات الإنسانية لم يعد الفرد في الريف يكتفي بالعيش البسيط وطريقة الحياة المحدودة، فنوع نشاطه من تجارة إلى أعمال حرفية بالإضافة إلى الأعمال الحكومية والإدارية، وباستقلال النشاط والدخل، بالإضافة إلى دور الدولة في تدعيم الريف بالمشاريع التنموية وتفتيت الملكيات أصبح الزوجين يستقلون عن أسرة التوجيه في المسكن والدخل غير أن العلاقات بقيت مترابطة ومتضامنة، ولا بد أن نشير إلا أنه بالرغم من التغير الذي شمل شكل البناء العائلي (نمط ممتد إلى نمط نووي) إلا أن العائلات ما زالت تحمل ثقافة الأسر الممتدة، ولهذا يكون التغير أتى تكيفا مع متطلبات الحياة الاجتماعية دون المساس بالمبادئ الأساسية التي تعبر عن الثقافة الكلية.

3- عرض نتائج الدراسة في ضوء التساؤلات:

من خلال ما تقدم دراسته في هذا العمل في جانبه النظري والميداني، نصل إلى نقطة مهمة وهي عرض النتائج النهائية التي توصلنا إليها بعد خطوات دراسية متعددة، اعتمدنا فيها على الطرح الموضوعي والعلمي، بالاستناد إلى مراجع ووثائق تخدم نتائج العمل، ومن الضروري أن نذكر بالتساؤلات الدراسية والنتائج التي توصلنا إليها في ضوءها:

التساؤل الرئيسي:

إن التطورات التي مست مختلف المركبات في المجتمع الجزائري سيما مع بداية الألفية الثالثة والتي تبعها نقلات نوعية على مستوى المجتمع المحلي، أدت إلى تغير في نطاق ووظائف العائلة الريفية، فما هي أهم المظاهر والمؤشرات التي تعكس صورة تغير هذه الوحدة الاجتماعية في الريف الجزائري؟

تمحورت هذه الدراسة حول العائلة الريفية لأنها المؤسسة الاجتماعية المهمة التي تلعب أدواراً ووظائف أساسية في هذا المجتمع، وطالما حمل الإنسان صورة ذهنية نمطية عن هذه المؤسسة الريفية، على أنها تتميز بالثبات الذي يكاد يكون جامداً وتقاوم كل ما يأتي بمحاولات لتغيير بعض القيم أو الأدوار، وأن هذه المؤسسة بقيمتها والأدوار التي تلعبها تهدف إلى الحفاظ على كيانها عن طريق العزلة الاجتماعية عن الحضر، والكثيرون ما يزالون يحملون هذه الصورة عن العائلة الريفية، لكن الأحداث المتسارعة التي حدثت في السنوات الأخيرة سيما في الألفية الثالثة، استطاعت اختراق هذه المؤسسة والمساهمة في تغيير بعض من هذه الأدوار والوظائف، وما ساهم في هذا هو انتشار الوعي والتعليم في الأوساط الريفية عن طريق وسائل الإعلام والاتصال التي كان لها دور كبير في تغيير الذهنيات بالإضافة إلى أن السنوات الأخيرة زادت فيها النسبة السكانية الممثلة لفئات الشباب في الريف وهي بمقدار 70% من سكان الريف في هذا الوطن، كل هذه العوامل أدت إلى تغيير العائلة الريفية، وهذا التغير لا بد وأن يحمل مؤشرات ومظاهر، يعبر عنه بدلالات اجتماعية واضحة، ولنضع صورة واضحة حولها خاصة مع ندرة الدراسات الحديثة حول الريف الجزائري، اخترنا التركيز على عدة وظائف وقيم رأينا أنها تعبر عن تغيير العائلة الريفية في شكل تساؤلات جزئية.

التساؤل الفرعي الأول:

هل تتجه العائلة الريفية نحو تنظيم النسل، وكيف تغيرت الوظيفة الإنجابية في الريف؟.

إن عملية الإنجاب هي من أكثر المؤشرات التي قد تعبر عن تغيير العائلة الريفية لما تحمله من دلالات ثقافية تعبر عن خصائص هذا المجتمع.

في السابق كان يمثل فخر العائلة وقوتها الاجتماعية، وكلما كان إنجاب العائلة للذكور أكثر من الإناث يزيد من مكانة العائلة اجتماعياً، هذه الثقافة ارتبطت بالتوجه الاقتصادي السابق للعائلة الريفية فالعمل الزراعي والملكيات الكبيرة كانت توجب إنجاب العائلة العدد الكبير من الأبناء لضمان الاكتفاء الذاتي في اليد العاملة، خاصة أن الأبناء لم يكن أمامهم إلا العمل

الزراعي بسبب عدم تطوير قدراتهم وإمكاناتهم في مجالات أخرى نتيجة لعدم تلقي التعليم الكافي، غير أن العوامل والتطورات المتسارعة والتي ذكرناها سابقا أدت إلى تغير النظرة نحو الإنجاب في نقاط عديدة.

1- تغيرت نظرة العائلة الريفية وأصبحت مقتنعة بعملية تنظيم النسل والتباعد بين الولادات لضمان الصحة الجسدية للأُم من جهة، ولضمان المقدرة على توفير احتياجات الأبناء من جهة أخرى، خاصة مع الإقبال على التعليم وتطوير القدرات الإنسانية.

2- تغيرت الوظيفة الإنجابية، من حيث التعبير عنها في مسألة الرغبة في إنجاب جنس معين، حيث أصبحت العائلة الريفية تتجه نحو الرغبة في إنجاب الجنسين معا، خاصة مع تغير التوجه الاقتصادي الذي كان يوجه الرغبة في إنجاب جنس معين.

3- النقطة التي نريد أن نشير إليها، وهي على قدر من الأهمية في تعبيرها عن التغير العائلي الذي سببه انتشار الوعي، هي مسألة تقلص حالات الوفيات بين الأبناء خاصة في حالات الإنجاب، فسابقا كانت المرأة تلد في البيت، وفي حالة مرض الأبناء أو الزوجة تعتمد العائلة على تشخيص الأمراض بتفسيرات غيبية أو خرافية كالسحر والمس، فعوض التدوي عند الطبيب كان التدوي بالأعشاب الطبيعية التي تضر حينما تكون دون دراسة علمية، ومن جهة أخرى كان يتم التدوي عند الرقاة والدجالين فلا يتم تشخيص علمي الأمراض ويموت الأبناء، وهذا كان يعبر عن حالات الجهل التي عاشتها العائلة الريفية، لكن الوضع تغير وأصبحت العائلة الريفية تتجه نحو معالجة أبنائها عن طريق الطب العضوي خاصة مع مد طرق المواصلات وإنشاء المراكز الاستشفائية القريبة من الريف.

من خلال المؤشرات السابقة نستطيع قراءة التغير الذي مس طبيعة الوظيفة الإنجابية لدى العائلة الريفية وما يرتبط بها من مضامين ثقافية واقتصادية.

التساؤل الفرعي الثاني:

هل ترقى التنشئة الاجتماعية وبكل أساليبها بالأفراد الذين ينتمون إلى العائلة في الوسط الريفي من تعزيز التغير الحاصل في بنائها؟

إن التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات التي تعبر عن ثقافة الجماعة وتكرس لها من خلال تطبيع الأبناء بالصفات والسمات المشروعة في المجتمع، ولقد كانت في الريف تقوم بتطبيع

الأبناء بقيم فيها تفرقة بين الجنسين من خلال توزيع الأدوار الاجتماعية بطريقة غير متساوية، وتقليص مساحات القرار للبنات، وهي نتيجة لما زرعه الاستعمار الفرنسي من جهل وزرع قيم متطفلة على العائلة الريفية.

لكن بفضل عوامل عديدة، تغير اتجاه هذه العملية وبدأ يعيد للمرأة الريفية مكانتها التي حظيت بها في المجتمع الجزائري ، كما تطرقنا له سابقا، فأصبحت العائلة تتعامل بنفس أسلوب التربية مع الأبناء والبنات، وهذا الأسلوب يعبر عنه بلغة الحوار والتواصل بين الأجيال ولقد أصبح هذا التوجه العام في الريف من خلال تغير الذهنيات، وأيضا بفضل عامل مهم جدا وهو أن السكان في الريف يمثلهم الشباب بنسبة كبيرة جدا (70%).

وهذه الفئة هي من تؤمن بوجوب التغير تماشيا مع متطلبات العصر وإرضاء طموحات الأبناء ومع تطور وسائل الإعلام والاتصال والوعي الذي أسهمت به أدرك جيل الآباء أنه لا بد من تنشئة الأبناء بطريقة تعدهم للحياة والتكيف مع أوجه الأنشطة المتعددة فيها، حيث لم تعد بتلك البساطة كما في السابق وحتى أن اتجاهات الأبناء تتغير.

ولخلق لغة مشتركة أدركت العائلة الريفية أن الحوار هو من يمد جسور التواصل وأن تنشئة الأبناء بطريقة متساوية بين الذكر والأنثى تجعلهم أكثر تكيفا وتمثلا للتغير الحاصل.

من جانب آخر ولكي نعطي صورة واضحة وموضوعية عن العائلة الريفية لابد وأن نشير إلى أنها ما زالت تحمل بعض من السمات الثقافية المعبرة عن العائلة الريفية الممتدة

رغم تراجع وجودها، وذلك من خلال اعتماد الوالدين في تنشئة أبنائهم اجتماعيا على مساعدة أقاربهم، وبهذا تكون النتيجة التي توصلنا إليها في هذه الدراسة فيما يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية، أنها تغيرت من حيث الأساليب حيث أصبح الوالدين أكثر تواترا مع أبنائهم من خلال لغة الحوار التي يستخدمونها كلغة مشتركة.

أصبح الذكر والأنثى في العائلة يحظون بنفس أسلوب التعامل من قبل الوالدين.

أما الجانب الذي لم يتغير هو اشتراك الأهل في تربية الأبناء رغم انتشار النمط النووي للعائلات الريفية.

التساؤل الفرعي الثالث:

ماهي المظاهر والدلالات التي تبين تغير القيم العائلية المتعلقة بالمرأة الريفية في مسائل معينة كالتعليم ونظام الزواج؟

إن القيم العائلية مرتبطة بعملية التنشئة الاجتماعية فهي تنقل من خلالها وتورث من جيل إلى جيل والقيم التي اخترنا دراستها في هذا العمل؛ تلك المتعلقة بالمرأة كالتعليم ونظام الزواج وهي من المؤشرات التي نستطيع قراءة تغير البناء العائلي بالفعل من خلال تغيرها.

النتائج التي توصلنا إليها تؤكد تغير نظرة العائلة الريفية نحو التعليم خاصة بالنسبة للمرأة حيث أصبح الوالدين ينشؤون بناتهم على الرغبة في تحصيل العلم والمعرفة، خاصة مع توفر وسائل النقل التي تربط بين الأرياف وأماكن التحصيل الدراسي، وهذا وعيا بدور العلم في التكيف مع التطورات المتسارعة والتماشي معها.

وبالنسبة لقيم الزواج، تغيرت نظرة العائلة والمرأة نفسها حول هذه النقطة، ونوضح ذلك في النقاط التالية:

- 1- وعي العائلة الريفية بالحق الشرعي والاجتماعي للفتاة بحقها في الاختيار.
 - 2- تعليم المرأة أعطاهها فرصة التخلي عن نظرة الدونية إلى نفسها، وتكوين متطلبات خاصة في شريك حياتها.
 - 3- خروج المرأة للتعليم والعمل وسع من مساحات اختيارها خارج النسق القرابي.
 - 4- انتشار الوعي الصحي من خلال وسائل الإعلام والاتصال ودور العليم في معرفة المضار الصحية من زواج الأقارب أدى إلى تراجع الإقبال عليه لدى العائلة الريفية.
- من خلال ما تقدم ذكره نتوصل إلى أن قيم العائلة الريفية قد تغيرت فيما يخص التعليم، نظام الزواج، ... وأدت عملية التنشئة الاجتماعية بأساليبها المتغيرة إلى تعزيز هذا التغير والتكيف معه من خلال تطبيع الأبناء بصورة المساواة في التعليم والاختيارات الاجتماعية.

التساؤل الفرعي الرابع:

ماهي أوجه النشاط الاقتصادي المتعدد في المجتمع الريفي والتي أصبحت تدل على أن الزراعة لم تعد النشاط الوحيد في البناء العائلي والذي يجمع بين أفرادها؟

لقد كانت العائلة الريفية سابقا تتميز بالبساطة في طبيعة الحياة الاجتماعية من حيث أوجه النشاط التي تمارسها، وكانت الزراعة من الأعمال الأساسية التي يمارسها أفراد العائلة حيث كانت مهنة وطريقة حياة، جعلت الريفي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض وكانت محور حياته، غير أن هذا التوجه تغير ولم تعد الزراعة تمثل سوى 38% من القطاعات الممارسة في الريف الجزائري، ونتيجة طبيعية أن يتغير هذا التوجه تماشيا مع تطور الإنسان وتوسيع طموحاته وتنويع تطلعاته، واستقلال الأزواج عن عائلات الوالدين، تفتيت الملكيات الزراعية...

وأصبح الأبناء في العائلة الريفية يتوجهون نحو أعمال متنوعة؛ تجارية وحرفية وحكومية حسب المستوى التعليمي والطموح الشخصي ولم تعد الزراعة تحظى بنفس القدر من الأهمية كما في السابق فرغم أهميتها والدور الذي تلعبه في عجلة التنمية الاقتصادية، إلا أن الملفت للانتباه وحسب النتائج التي توصلنا إليها فإن العائلة الريفية في تراجع نحو الإقبال عليها.

ممارسة العمل الزراعي أصبحت محدودة، ولم تعد تمثل منهج حياة، ومن جهة أخرى مازالت الصناعة التقليدية تمارس من قبل المرأة في الريف بغض النظر على مستواها العلمي، وهذا حفاظا على بعض الخصائص الثقافية للعائلة الريفية، والصناعة التقليدية التي مازالت تمارسها المرأة في الريف تتمحور أغلبها حول صناعة المفروشات والزرابي.

وكنتيمة توصلنا إليها حول التغير الاقتصادي في الريف، وجدنا أن الزراعة لم تعد النشاط الأساسي في هذا المجتمع ورغم أهميتها فهي بوضعها الحالي لا تغطي حتى الاحتياجات الذاتية للعائلة الريفية، وهذا التغير أتى نتيجة لسلسلة من التغيرات؛ منها المستوى التعليمي تزايد مستوى الطموح، تنوع الخيارات الحياتية...

التساؤل الفرعي الخامس:

كيف يتكيف السكن الريفي بنمط عمرانه وفضاءاته مع نمط البناء العائلي المتغير في المجتمع الريفي، وما هي العوامل المساعدة على ذلك؟

كان المسكن الريفي فيما سبق من خلال مواد بناءه والمرافق الموجودة به يتكيف مع طبيعة البناء العائلي الممتد والتوجه الاقتصادي المرتبط به، ومن خلال ذلك تميز بعدة نقاط وهي:

- ✓ البساطة في مواد البناء.
 - ✓ أن يكون المنزل يتسع لاشتراك الأبناء مع زوجاتهم في منزل واحد.
 - ✓ يرفق بمخازن للإنتاج الحيواني والنباتي.
 - ✓ تبني المنازل وسط الحقول الزراعية أو على أطرافها لتسهيل خدمة الأرض ولجعل الفلاحة محور الحياة الاجتماعية للعائلة الريفية.
- لكن التغيرات التي توصلنا إليها وتطرقنا إليها خاصة في تغير التوجه الاقتصادي للعائلة الريفية انعكست بطبيعة الحال على شكل ووظيفة المسكن الريفي ونستطيع تلخيص هذا التغير في النتائج التي توصلنا إليها.

أولاً: من حيث الشكل

- 1- أصبحت المساكن الريفية تبني بطريقة المنازل الحضرية من حيث المواد والأثاث.
- 2- تبني بعيدة عن الحقول الزراعية وخاصة إذا كانت العائلة في عمومها لا تمارس الزراعة.
- 3- أغلب المنازل الريفية لا تشمل ملحقات خاصة بالإنتاج الحيواني والزراعي.

ثانياً: من حيث الوظيفة

- 1- إن تغير شكل المسكن الريفي يدل دلالة واضحة على التكيف مع التوجهات الجديدة للعائلة الريفية.
- 2- بناء المنازل بالطريقة الحضرية يدل على فك العزلة بين الريف والمدينة والانفتاح على الثقافة الحضرية والأخذ بأنماطها.
- 3- أصبحت المنازل معدة بطريقة تتماشى مع طموحات الأبناء واتجاهاتهم.
- 4- تغير التوجه الاقتصادي أثر بطريقة مباشرة على تغير وظيفة السكن الريفي التي كانت تحمل ثقافة العائلات الممتدة، وما ساهم في هذا التغير مشاريع البناء الريفي التي ساهمت بها الدولة.

التساؤل الفرعي السادس:

هل أصبحت العائلة النووية تعد شكلا ونمطا منتشرا في المجتمع الريفي؟ وهل تقلص تواجد العائلة الممتدة؟

إن الإجابة على هذا التساؤل تعد من أهم النتائج في دراستنا هذه، فظهور العائلة النووية كنمط غالب يعد مظهرا صارخا حول تغير العائلة الريفية وبعض الوظائف المرتبطة بها كطبيعة الوظيفة الاقتصادية، أساليب التنشئة الاجتماعية، المضمون الاجتماعي لبعض القيم تقارب الأدوار الاجتماعية بين الجنسين.

الشكل النووي للعائلة وتكوين مجموعات أسرية تضم الزوج والزوجة والأبناء فقط، هو مظهر جلي يعبر عن الاتجاه الجديد للعائلة الريفية وأتى تكيفا مع التطورات المتسارعة وخاصة في السنوات الأخيرة، والدولة دعمت إمكانية استقلال جيل الأبناء عن جيل الآباء في تكوين أسر خاصة بهم من خلال مشاريع البناء الريفي التي مكنت الشباب من توفير السكن الذي تتطلبه الحياة الأسرية الحديثة.

في المقابل تراجع وجود الأسرة الممتدة في الريف من حيث وجودها شكلا فلم تعد العائلات تشترك جيلين أو أكثر في مسكن واحد، ولم تعد العائلات ترتبط بنشاط وتوجه اقتصادي موحد لكن بقاءها في مضمونها الاجتماعي لا يزال موجود، وهذا من خلال نوعية العلاقات الاجتماعية المترابطة والمتكاثفة، واستمرارية الوالدين في الاستعانة بخبرات أقاربهم في تنشئة أبنائهم، ولو لم يكن المسكن نفسه إلا أن السمة الاجتماعية للعائلة الممتدة لا تزال موجودة وهذا نتيجة للتراكبات الثقافية التي تضرب بجذورها بعمق في المجتمعات.

والنتيجة التي نؤكد عليها هي أن التغير العائلي في المجتمع الريفي الجزائري ليس تغيرا جذريا بل هو تغير ديناميكي أتى نتيجة لعوامل كثيرة ليتكيف معها حفاظا على البناء الاجتماعي.

خلاصة عامة للدراسة:

لقد تناولنا في هذه الدراسة موضوع "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" منطلقين من تساؤلات عديدة تتمحور حول المظاهر التي تعبر عن تغير العائلة الريفية

والمؤشرات الدالة على ذلك، ولقد توصلنا إلى نتائج عديدة للإجابة عليها من خلال عملنا في الميدان هذه النتائج تؤكد على مسألة مهمة؛ وهي أن التغير أتى في بعض من القيم وطبيعة جزء من الوظائف العائلية، وهذا التغير ليس كما يدعو له بعض من المبالغين بأنه تغير راديكالي وانقلاب مفاجئ لأن خصائص المجتمع الجزائري تحول دون ذلك.

العائلة الجزائرية سواء في الحضر أو الريف تبقى محافظة على الشكل العام المعروفة به من نظام زواج مشروع يعبر عن ارتباط بين رجل وإمرأة في نطاق ما يعترف به المجتمع، فالجماعة التي تحكمها منظومة قيمية فوقية تقاوم التغيرات الجذرية التي تسمح للخصائص العامة عن الوجود، وتسمح بالتغير الديناميكي الذي يحفظ البناء الاجتماعي ويعزز من تكيفه مع العوامل المحيطة به.

والنتائج التي توصلنا إليها تطرقنا لها بالتفصيل فيما سبق، سنتناولها في شكل نقاط محددة كخلاصة للدراسة.

✓ نتيجة للتطورات التي حدثت في السنوات الأخيرة داخل المجتمع الجزائري، سيما مع الألفية الثالثة، نجد أن العائلة الريفية قد تغيرت في بعض القيم والوظائف، وأخذت مظاهر إجتماعية تعبر عن تماشيها وتكيفها مع تلك العوامل المحيطة بها.

✓ تغيرت النظرة نحو الوظيفة الإنجابية، فبعد أن كانت مصدر فخر وعز للعائلة الريفية من خلال إنجاب العدد الكبير من الأبناء، أصبحت حاليا في شكل مغاير من خلال أن العائلة تفضل حاليا تنظيم النسل والتباعد بين الولادات لضمان صحة الأم وتوفير الرعاية اللازمة للأبناء، لكن مع هذا التغير إلا أنها مازالت الوظيفة الأساسية للعائلة الجزائرية عموما.

✓ تغيرت أساليب التنشئة الاجتماعية، حيث أصبح الوالدين أكثر وعيا وإدراكا بمسألة خلق لغة مشتركة بينهم وبين أبنائهم مراعاة للاختلافات الاجتماعية للأجيال

ولكي تستطيع العائلة أن تتكيف مع التوجهات الجديدة لأبنائها أصبحت أكثر تفهما لضرورة تعليم الأبناء من ذكور وإناث، غير أن الجدير بالذكر هو أن العائلات الريفية مازالت تعتمد على خبرات أقاربها في تربية الأبناء، وهذا لأن العلاقات في المجتمع الريفي مازال تحظى بنفس المكانة الاجتماعية السابقة.

✓ القيم العائلية هي من بين الأمور التي تسعى العائلة لتوريثها عن طريق التطبيع بالصفات الاجتماعية المعروفة والمشروعة في المجتمع، ولم تكن بعض القيم المتعلقة بالمرأة بمنىء عن التغير الواعي للعائلة الريفية حيث أصبحت تحظى بمكانتها الاجتماعية التي طالما تميزت بها في الماضي، فأصبح لها الحق في التعليم والاختيار الزواجي، كما تقلص الدور الذكوري البارز وأصبحت لها مساحة اجتماعية في اتخاذ القرارات العائلية والمشاركة فيها.

✓ لقد تغير التوجه الاقتصادي في المجتمع الريفي، فبعد أن كان يتميز بممارسة نوع واحد من النشاط وهو الزراعة بالإضافة إلى المهن المتقاربة معها، نجد أن العائلة الريفية في الوقت الحالي قد تراجع إقبالها على هذا العمل، خاصة أن الشباب يمثلون 70% من المجتمع الريفي الجزائري وهم يحملون توجهات جديدة من خلال الإقبال على العلم وتوسيع الطموحات وتنويع مجالات الحياة، وبهذا نجد أن الزراعة رغم أنها قطاع حيوي ومهم في تنمية الاقتصاد الوطني إلا أن العائلة الريفية في تراجع نحو الإقبال عليها.

✓ بفعل المعطيات السابقة خاصة منها التوجه الاقتصادي، نجد أن وظيفة المساكن الريفية قد تغيرت هي الأخرى بطريقة واضحة، وهذا بفعل التواصل الريفي الحضري الذي نقل ماديات الحياة الحضرية إلى الريف، فأصبحت المنازل تبنى على الطريقة الحضرية ومع تغير التوجه الاقتصادي وتناقص العمل الزراعي، أصبحت المساكن مهيئة للأفراد فقط ونادرا ما يجد المرء منزلا ريفيا به ملحقات للإنتاج الزراعي والحيواني، حتى نوعية الأثاث الموجود والمستلزمات الضرورية لحياة الإنسان وحتى الكمالية منها متوفرة الآن في الريف وهذا ما وقفنا عليه خلال تواجدها في العمل الميداني ، وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على تأثير وسائل الإعلام والاتصال الحديثة كعامل مهم في إحداث التغير أو على الأقل تهيئة المجتمع الريفي لتقبله.

وكخلاصة لما سبق وكمظهر عام لتغير العائلة الريفية ، نجد أن النمط النووي لتكوين الأسرة هو الغالب في الريف، فلم تعد العائلات تحوي جيلين أو أكثر في منزل واحد خاصة مع مشاريع البناء الريفي ومساعدتها في توفير السكنات، لكن مع هذا فنجد أن السمات الثقافية للعائلة الممتدة لا تزال موجودة ولا يمكن أن تختفي بسهولة ويعكس هذا صورة العلاقات الاجتماعية المترابطة الموجودة في الريف واشتراك الأهل في تنشئة أبنائهم رغم أن الوحدات

السكنية ليست نفسها، لذا فنحن نؤكد على صعوبة أن تحل العلاقات الثانوية أو الشخصية محل العلاقات الأولية والعائلية في المجتمع الريفي وهذا تأكيدا على أن التغير غير جذري .

إن البحث العلمي هو خلاصة مجهود فكري وعلمي للباحث لدراسة موضوع معين تأكد بأنه مهم ولا بد من لفت الانتباه إليه.

نحن في هذا العمل المعنون بـ "تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري" قمنا بالتطرق إلى أهم وحدة اجتماعية في الريف وهي العائلة، ولطالما كانت مؤسسة مسؤولة عن وظائف وترسيخ قيم المجتمع.

ولأهمية الموضوع تناولنا عدة فصول في الجانب النظري حاولنا من خلالها التطرق إلى النماذج النظرية التي عالجت وفسرت المجتمع الريفي والبناء العائلي للإحاطة بالتراث النظري في هذا المجال، ولنبين أيضا الاتجاه النظري الذي يفيدنا في هذه الدراسة، ولقد تبيننا **البنائية الوظيفية** حيث ورغم أنها تدعو للتوازن والانسجام، إلا أنها لا تنفي التغير الديناميكي الذي يتكيف مع متطلبات الحياة الاجتماعية وهي ترفض الإدعاءات القائمة حول التغير الجذري، وهذا ما أكدنا عليه أيضا ولتدعيم ذلك تطرقنا إلى العائلة الريفية والمجتمع الجزائري في مراحل تاريخية متعددة قبل وبعد التواجد الإسلامي، لنبين أن التغير الجذري لا يمكن حدوثه نظرا لخصائص المجتمع الجزائري.

وفي جانب آخر ألقينا الضوء على بعض العوامل المحيطة، بتغير من قيم العائلة الريفية وطبيعة جزء من وظائفها تكيفا مع تلك العوامل، ولإثبات ذلك نزلنا إلى الميدان حاملين استمارات مقابلة قمنا بصياغتها بناء على تساؤلات الدراسة، ووصلنا إلى نتائج مهمة وتطرقنا إليها بالتفصيل فيما سبق.

من خلال الخطوات التي قمنا بدراستها والتطرق إليها توصلنا إلى عدة نقاط قد تؤخذ في صورة توصيات موجهة لأصحاب القرار في الدولة وأيضا موجهة للباحثين في علم الاجتماع، ورغم تواضع الدراسة إلا أننا نريد التطرق ولفت النظر إلى تلك المسائل التي نعتقد بضرورة التنبيه إليها.

التوصيات الموجهة لأصحاب القرار :

✓ تعد العائلة الريفية المحرك الاجتماعي في الريف الذي يوفر موارد بشرية وثروات طبيعية لا بد وان تحظى بالإهتمام والدراسات اللازمة.

✓ ضرورة تغيير الصورة الذهنية النمطية عن العائلة الريفية التي تشير إلى أنها مازالت تحافظ على العمل الزراعي والانتباه إلى تراجع إقبالها على هذا العمل.

✓ وصول الصورة الحقيقية على هذه الجماعة الاجتماعية يعطي نتائج دقيقة حول توجهاتها ومستوى أفرادها العلمي والثقافي، وكيفية توظيف مشاريع في الدولة للاستفادة من هذه الطاقات، حسب توجهاتها وإمكانياتها.

✓ لابد من تشجيع الدراسة العلمية للعمل الزراعي من خلال جذب أبناء العائلة الريفية نحو الدراسات الزراعية ليقبلوا على تبني المشاريع الفلاحية من خلال إرضاء طموحهم العلمي، لأن أصحاب القرار لابد وأن ينتبهوا إلى أن وضع مشاريع فلاحية في الريف دون تدريب وتكوين الأفراد يعد هدرا للوقت والجهد والمال.

التوصيات الموجهة لأصحاب البحث الاجتماعي:

من خلال الإطلاع التاريخي النسبي على خصائص المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى نتائج الدراسات المشابهة توصلت إلى عدة نقاط لابد وأن يأخذها الباحث بعين الاعتبار خاصة في مجال الدراسات الريفية سيما أن الدراسات الخاصة بالمجتمع الريفي الجزائري قليلة جدا وإن وجدت فهي دراسات تقليدية لم تتطرق إلى الوضع الحالي للعائلة الريفية والنقاط التي لابد أن تراعي هي:

✓ لا يجب أن يقع الباحث الاجتماعي في مغالطات سردية على أن خصائص الشعوب تشترك في كل شيء، خاصة إذا كانت محكومة بنفس العقيدة والاتجاهات الثقافية فالشيء الذي توصلت إليه هو أن كل مجتمع ينفرد بخصائص لا تشبه حتى المجتمع الذي يشترك معه في الحدود الجغرافية، نحن لا نتحدث هنا عن الخطوط العامة، بل بعض من الظواهر الخاصة والمتفردة في مجتمع بعينه، ومن أمثلة ذلك؛ ظاهرة الثأر الموجودة في المجتمع المصري، هي ظاهرة خاصة غير أننا في بعض الأحيان نصادف بعض الدراسات تشير إلى أنها ظاهرة خاصة بالمجتمعات العربية كاملة وهي مغالطة يقع فيها الكثير من الباحثين، والأمثلة على ذلك كثيرة لابد وأن ينتبه الباحث لها ويكون حذرا بهذا الصدد.

✓ عند القيام بدراسة مجتمعات إنسانية من الضروري الإطلاع ولو بجزء يسير على ماضي ذلك المجتمع لمعرفة العوامل المؤثرة في حاضره، وهذه المسألة أفادتنا في جزئية

معرفة تغير مسار القيم الخاصة بالمرأة الريفية في الجزائر، من خلال تدخل الاستعمار وزرعه قيما متطفلة على المنظومة القيمية، وأن المرأة في الوقت السابق للاحتلال كانت تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، هنا أدركنا أن الدراسة التاريخية تعطينا صورة واقعية عن الطبيعة الاجتماعية في الحاضر والعوامل التي أثرت فيها وأنتجت صورتها القيمية الحالية.

✓ لابد أن يأخذ الباحث الاجتماعي حذره في تعاطيه مع الدراسات والنظريات الغربية، فهو لابد أن يتطرق إليها للالتزام والأمانة العلمية، لكن يجب أن ينتبه في أن خصائص المجتمعات تختلف، وهذا ما إستنتجناه في مسألة طبيعة التغير، حيث أكدنا في هذه الدراسة على أن التغير ليس جذريا لذا تطرقنا إلى النظرية التطورية، لكن لم نتبنى أفكارها لأننا لو فعلنا لكنا أكدنا على أن العائلة الجزائرية ستلقى مصير الأسرة في العالم الغربي، وأن نظام الزواج المثليين سيمثل صورة مقبولة في المجتمع؛ لذا كنا حذرين في التعامل مع طبيعة التغير الذي تناولناه في دراستنا وأكدنا على أنه تغير جزئي ولا يخص نظام العائلة بشكله المعروف.

وكخلاصة علمية لما سبق لابد وأن يأخذ الباحث في مجال المجتمعات الإنسانية نقاط أساسية منها أن؛ يأخذ بعين الاعتبار ضرورة الإطلاع التاريخي ولو بجزء بسيط على المجتمع المدروس، إختلاف خصائص المجتمعات حتى العربية منها، الحذر في تناول النظريات الغربية خاصة إذا ما كانت الدراسة متعلقة بالمجتمع الجزائري وليست دراسة شاملة لكل المجتمعات البشرية.

وهذه النقاط كان لابد لنا من ذكرها لكي يستفيد الباحث الاجتماعي منها في الأعمال المقدمة، وكمحاوله منا لإثراء المعرفة العلمية والمكتبة الجامعية بمحاوله متواضعة لكنها بمجهود عميق.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

- الكتب

- 1- ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2007
- 2- أبو طاحون، عدلي علي. علم الاجتماع الريفي، مصر: المكتب الجامعي الحديث، 1997
- 3- أحمد، غريب محمد سيد. علم الاجتماع الريفي، مصر: دار المعرفة الجامعية، 1982
- 4- أحمد، علي فؤاد. علم الاجتماع الريفي، بيروت: دار النهضة العربية، 1981
- 5- أبو كريشة، عبد الرحيم تمام. دراسات في علم الاجتماع والتنمية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2003
- 6- الأخرس، محمد صفوح. تركيب العائلة العربية ووظائفها، دمشق: مطبعة وزارة الثقافة 1977
- 7- الأحمر، أحمد سالم. علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004
- 8- الأشرم، محمود. محاضرات في المجتمع الريفي، سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1976
- 9- الأشرف، مصطفى. الجزائر الأمة والمجتمع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983
- 10- الجبائي، علي عبد الله. علم خصائص الشعوب علم الأقوام، سوريا: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2007
- 11- الحسن، إحسان محمد. العائلة والقرابة والزواج، ط2، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1985
- 12- الخشاب، مصطفى. دراسة المجتمع، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1977
- 13- الخشاب، مصطفى. دراسات في علم الاجتماع العائلي، بيروت: دار النهضة العربية، 1985
- 14- الخولي، سناء. التغير الاجتماعي والتحديث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2003
- 15- الخولي، سناء. الأسرة والحياة العائلية، بيروت: دار النهضة العربية، 2002
- 16- الحسنية، سليم. تنظيم الأسرة فكريا وواقعيا وطموحا، سوريا: دار الثقافة، 1998
- 17- الطنوبي، محمد عمر. التغير الاجتماعي، مصر: منشأة المعارف، 1996

- 18- النبال، مایسة أحمد. التنشئة الاجتماعية ، مصر: دار المعرفة الجامعة، 2007
- 19- العمر، معن خليل. ثنائيات علم الاجتماع ، الأردن: دار الشروق النشر والتوزيع ، 2001
- 20- العقاد، أنور. دراسات في المجتمع العربي، سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1969
- 21- الساعاتي، حسن. علم الاجتماع القانوني، ط3، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968
- 22- السويدي، محمد. مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1990
- 23- السيد، عبد العاطي السيد. علم الاجتماع الحضري، الجزء الأول، مصر: دار المعرفة الجامعية، 1998
- 24- الشريف، عبد الله محمد. مناهج البحث العلمي، ط1، مصر: مطبعة الإشعاع الفنية، 1996
- 25- الطفيلي، محمد. علم الاجتماع ودور الشباب في الريادة المجتمعية ، ط1، بيروت: دار المنهل اللبناني، 2007
- 26- بن نبي، مالك. مشكلات الحضارة تأملات ، ط6، سوريا: دار الفكر ، 2006
- 27- بركات، حلیم. المجتمع العربي المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة، دون ذكر سنة النشر.
- 28- بوفلجة، غيات. تحولات ثقافية، ط1، الجزائر : دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005.
- 29- بوقصاص، عبد الحمید. النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، دون ذكر سنة النشر.
- 30- بوقرة، بلقاسم. من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2004
- 31- بوتقنوش، مصطفى؛ دمري، احمد. العائلة الجزائرية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984
- 32- بيومي ، محمد أحمد محمد. علم اجتماع القيم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2002
- 33- جابر، سامية محمد ؛ وآخرون. الأسرة والمجتمع، مصر: دار المعرفة الجامعية ، 2006
- 34- حامد، خالد. المدخل إلى علم الاجتماع، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، 2008

- 35- حسن ، محمود. الأسرة ومشكلاتها، لبنان: دار النهضة العربية، 1967
- 36- حجازي، محمد عبد الواحد. الأسرة في الأدب العربي، مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006
- 37- دعبس، محمد يسري إبراهيم. الأسرة في التراث الديني والاجتماعي، مصر: دار المعارف، 1995
- 38- دكلة، محمد عبد الهادي؛ الفرحان، قاسم محمد. المجتمع الريفي، العراق: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1979
- 39- دليو، فضيل. دراسات في المنهجية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2000
- 40- رأس مال، عبد العزيز. كيف يتحرك المجتمع، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999
- 41- رشوان، حسين عبد الحميد. الأسرة والمجتمع دراسة في علم اجتماع الأسرة، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2003
- 42- رشوان، حسين عبد الحميد. البناء الاجتماعي الأنساق والجماعات، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2007
- 43- زايد، أحمد؛ وآخرون. الأسرة والطفولة دراسات اجتماعية وأنتربولوجية، ط1، مصر: دار المعرفة الجامعة ، دون ذكر سنة النشر
- 44- سيد، عوض جابر؛ الجميلي، خيرى خليل. الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة مصر: المكتبة الجامعية ، 2000
- 45- شكري، علياء. الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1992
- 46- نيشكلي، محسن. دراسات في المجتمع العربي، الجزء الأول، ط2، سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1965
- 47- عبد الرحيم، عبد المجيد. علم الاجتماع الريفي، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 1975
- 48- عبد القادر، محمد علاء الدين. علم الاجتماع الريفي المعاصر والاتجاهات الحديثة في دراسات التنمية، الإسكندرية: منشأة المعارف ، 2003
- 49- عودة، محمود. دراسات في علم الاجتماع الريفي، مصر: دار المعرفة الجامعية، 1992

- 50- عودة، محمد. أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، تقديم ،السيد، محمد خيرى، بيروت: دار النهضة العربية، 1988
- 51- غيث، محمد عاطف. علم الاجتماع الحضري مدخل نظري، مصر: دار المعرفة الجامعة، 1988
- 52- غيث، محمد عاطف. دراسات في علم الاجتماع القروي، بيروت: دار النهضة العربية، دون ذكر سنة النشر
- 53- فركوس، صالح. تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2005
- 54- لطفي، طلعت إبراهيم. أساليب وأدوات البحث الاجتماعي، مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1995
- 55- لقصير، عبد القادر. الأسرة المتغيرة في مجتمع المدنية العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 1999
- 56- هشام، حسان. منهجية البحث العلمي، ط1، الجزائر: مطبعة الفنون البيانية، 2007
- 57- وافي، علي عبد الواحد. الأسرة والمجتمع، مصر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1977
- 58- والي، عبد الهادي محمد. التنمية الاجتماعية مدخل لدراسة المفاهيم الأساسية، مصر: دار المعرفة الجامعية، دون ذكر سنة النشر

المعاجم والقواميس:

- 1- الجوهري، عبد الهادي. قاموس علم الاجتماع، ط3، مصر: المكتب الجامعي الحديث، 1998
- 2- خليل، أحمد خليل. معجم المصطلحات الاجتماعية، لبنان: دار الفكر اللبناني، 1995
- 3- مذكور، إبراهيم. معجم العلوم الاجتماعية، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1975
- 4- مداس، فاروق. مصطلحات علم الاجتماع، الجزائر: دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، 2003

المجلات العلمية:

- 1- الشبول، أيمن؛ نعانمة، محمود. "التغير الاجتماعي وبناء الأسرة" في مجلة الشؤون الاجتماعية عدد 104، الشارقة: 2009
- 2- عويس، عبد الحليم. "إبن خلدون وتطور الفكر الإسلامي" في مجلة الأحياء، عدد 11، جامعة باتنة: 2007
- 3- عواشرية، السعيد. "الأسرة الجزائرية" في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 12، باتنة: المؤسسة العمومية الاقتصادية، 2005
- 4- زيان، دريد فطيمة. "من مظاهر التفكك الأسري" في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 14، جامعة باتنة: 2006
- 5- وزارة المجاهدين. "كفاح المرأة الجزائرية" دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، ط2، الجزائر: مطبعة دار هومة، 2007

الوثائق الرسمية:

- 1- وزارة العدل. قانون الأسرة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993 ، المادة رقم 2
- 2- وزارة الفلاحة والتنمية الريفية. دليل الإجراءات لإعداد وتنفيذ مشروع جوارى للتنمية الريفية الجزائر: 2004
- 4- الوزير المكلف بالتنمية الريفية. اللجنة الوطنية للتنمية الريفية، التجديد الريفي، الجزائر: 2006

-الرسائل الجامعية

- 1- قلمامي، سناء. "صراع الأجيال حول القيم داخل الأسرة الجزائرية"، رسالة ماجستير، جامعة باتنة: 2003
- 2- لبرش، راضية. "نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت والمتغير"، رسالة ماجستير، جامعة باتنة: 2002

ثانيا المراجع باللغة الأجنبية

- 1 - Boukhobza, m'hammad. Monde Rural contraintes et mutations
Alger: office des publications universitaires, 1992
- 2-Boudon, Raymond. Dictionnaire critique de la sociologie, France: presse universitaires de France ,1986.
- 3- Castellan, Yvonne. la famille, France: presse universitaires de France ,1995
- 4- Miermont, Jaques. Dictionnaire de thérapies familiales théories et pratique
paris: 1987
- 5- Rambaud, placide. société rural et urbanisation, paris: 1974
- 6- Segalen, martine. sociologie de la famille, paris:1984
- 7- Famille, histoire de la famille, éditions des connaissances modernes: 2000

الملاحق

الملحق 01

❖ أولاً : البيانات الخاصة بالحالة الشخصية

1. الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

2. السن:

3. الصفة العائلية: متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐

4. عدد الأبناء:.....

5. المستوى التعليمي: أمي ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ تعليم عالي ☐

6. الوضع المهني: عامل ☐ بدون عمل ☐

- إذا كان الإجابة "عامل" فما هو النشاط الممارس؟

عمل فلاح ☐ عمل تجاري ☐

عمل حرفي ☐ مهن أخرى تذكر.....

7. شكل البناء العائلي: ممتد ☐ نووي ☐

❖ ثانياً البيانات الخاصة بالوظيفة الإيجابية:

8. هل كانت العائلات قديماً تفضل إنجاب العدد الكبير من الأبناء؟ نعم ☐ لا ☐

في حالة الجواب بنعم: لماذا؟

4- هل هذا الإعتماد عليهم في العمل الزراعي ☐

5- الاعتماد عليهم كقوة تعزيز مكانة الأسرة ☐

9. هل تفضل أن يكون عدد أبنائك:

- أقل من خمسة ☐

6- من خمسة إلى سبعة ☐

7- أكثر من سبعة ☐

لماذا؟.....

10. هل ترغب أن يكون جميع أبنائك: - ذكورا ☐
- إناثا ☐
- كلا الجنسين ☐
11. ما هي الفترات الزمنية بين ولادة أبنائك؟ - عامين وأقل ☐
- من عامين إلى أربع سنوات ☐
- أكثر من أربع سنوات ☐
12. هل أنت مقتنع بعملية تنظيم النسل؟ نعم ☐ لا ☐
- نعم لماذا؟.....
- لا لماذا؟.....
13. هل كنتم (الزوجين) تخططون في بداية حياتكم لعدد محدد من الأبناء؟
- نعم ☐ لا ☐
14. هل تشجع ظاهرة تعدد الزوجات؟ نعم ☐ لا ☐
- نعم لماذا؟.....
- لا لماذا؟.....
15. هل حدث وإن كان هناك حالة وفاة بين أبنائك؟ نعم ☐ لا ☐
16. هل أصبحت العائلة الريفية تتوجه نحو تقليل عدد أطفالها؟ نعم ☐ لا ☐

❖ ثالثاً: البيانات المتعلقة بعملية التنشئة الاجتماعية

17. من يقوم بتعليم الطفل القيم العائلية؟

الأم والأب ☐ جميع الأهل ☐

18. هل تؤيدون تدخل الأقارب في تنشئة أطفالكم؟ نعم ☐ لا ☐

19. هل تستعينون بـأماكن معينة في تعليم أبناءكم قبل الدراسة؟ نعم ☐ لا ☐

- في حالة الإجابة بنعم ما هي هذه الأماكن؟ - رياض الأطفال ☐

- المساجد ☐

- أماكن خاصة للعب ☐

- أخرى تذكر.....

20. ما هو الأسلوب الأمثل في تحسين سلوك الأبناء؟

- الضرب والشدّة ☐

- التوجيه بالكلام اللين ☐

- ترك الطفل يتعلم وحده ☐

- أخرى تذكر:.....

21. هل تستخدم نفس أسلوب التربية على حد سواء مع أبنائك الذكور والإناث؟

نعم ☐ لماذا؟.....

لا ☐ لماذا؟.....

22. هل تستعمل لغة الحوار بينك وبين أبنائك؟ نعم ☐ لا ☐

23. هل تقبل أن يعبر أبنائك عن رفضهم إزاء موضوعات معينة؟ نعم ☐ لا ☐

24. هل ترى أنه من الضروري أن تأخذ عنصر اختلاف الأجيال بعين الاعتبار في تنشئة أطفالك؟

نعم ☐ لا ☐

❖ رابعا: البيانات المتعلقة بتغير القيم الاجتماعية:

25. هل تسمح لأبنائك بتلقي التعليم؟ ☐ نعم ☐ لا

- في حالة الإجابة بنعم: ما هو المستوى الذي ترغب في أن يتحصلوا عليه؟

☐ الابتدائي ☐ المتوسط

☐ ثانوي ☐ التعليم العالي

26. هل تمنح ابنك نفس الفرصة في التعليم؟ ☐ نعم ☐ لا

27. في حالة تلقي المرأة التعليم الكافي، هل تخرج للعمل بشهادتها التعليمية؟

☐ نعم

☐ لا لماذا؟.....

28. هل يعتبر زوجك من داخل النسق القرابي؟ ☐ نعم ☐ لا

29. كيف ترى الزواج خارج النسق القرابي بالنسبة لأبنائك؟ ☐ مقبول ☐ مرفوض

30. هل تتم استشارتكم من قبل أبنائكم في خيارتهم الزوجية؟ ☐ نعم ☐ لا

31. هل تتدخلون لتغيير الاختيار؟ ☐ نعم ☐ لا

32. هل الزواج المبكر يعتبر من الأمور التي تشجع عليها الأبناء حاليا؟ ☐ نعم ☐ لا

☐ إذا كان الجواب لا: حدد - لأسباب مالية

☐ - لعدم اكتمال النضوج الذهني والنفسي

33. هل تملك الفتاة كابنة نفس مساحة الاختيار كالابن الذكر في مسألة الزواج؟

☐ نعم لماذا؟.....

☐ لا لماذا؟.....

34. كيف تعتبر عدم موافقة الفتاة على زوج تقبله العائلة؟

☐ - خروج عن القيم العائلية

☐ - انحراف أخلاقي واستهجان اجتماعي

☐

- حرية شخصية ولابد من احترامها

35. إذا واجهتم مشكلة يصعب حلها فإلى من تتوجه؟

عائلة الزوج ☐ عائلة الزوجة ☐ الأهلين معا ☐ لا أحد ☐

36. هل يوجد علاقات وزيارات متبادلة بينكم وبين جيرانكم؟ نعم ☐ لا ☐

37. تكلم عن شكل العلاقات الاجتماعية في الريف بين الماضي والحاضر؟.....

.....
.....

❖ خامسا: البيانات المتعلقة بتغير الوجه الاقتصادي في الريف

38. هل تمارس العمل الزراعي كنشاط أساسي؟ نعم ☐ لا ☐

إذا كان الجواب بلا: فما هي الموارد التي تعتمد عليها العائلة؟.....

.....

39. هل يتجه الأبناء نحو النشاط الزراعي؟ نعم كلهم ☐ البعض منهم ☐ لا أحد منهم ☐

40. الزراعة التي يقومون بها هل هي؟ زراعة تقليدية ☐ زراعة حديثة ☐

41. هل تمارس المرأة الصناعة التقليدية إلى جانب العمل المنزلي؟ نعم ☐ لا ☐

42. هل استفادت العائلة من مشاريع وضعتها الدولة للتنمية الفلاحية؟ نعم ☐ لا ☐

43. هل تحتاج الزراعة إلى اليد العاملة بقدر كبير؟ نعم ☐ لا ☐

44. كيف تعتبر الزراعة الريفية في الوقت الحالي؟

☐ - تؤمن الاكتفاء الذاتي كمصدر استهلاك فقط

☐ - تمثل مصدر استهلاك وتصدير للمدينة

☐ لا تغطي الاحتياجات للعائلة الريفية

❖ سادسا: البيانات المتعلقة بتغير وظيفة السكن:

45. هل أقمت في منزل والديّ الزوج في بداية الحياة الزوجية؟ نعم ☐ كم سنة.....

☐ لا

46. إذا تمت مقارنة منزلك بمنزل والديك فيما يخص ضروريات الحياة، هل يعتبر منزلك؟

- أبسط من منزل والديك ☐

- يشبه منزل والديك ☐

- أحسن منزل والديك ☐

47. هل يعتبر منزلك كالمنازل الريفية التقليدية التي تبنى من مواد بسيطة فقط؟

☐ لا

☐ نعم

48. هل أدخلت أنماط هندسية حضرية على مسكنك الريفي؟ نعم ☐ لا ☐

49. هل يتواجد مسكنك في نطاق الحقل الزراعي (إن وجد)؟ نعم ☐ لا ☐

50. هل يوجد منزلك في منطقة مأهولة بالعمران؟ نعم ☐ لا ☐

51. هل المسافة بين منزلك ومنزل جيرانك ؟ قريبة ☐ بعيدة ☐

52. ما هي التقسيمات التي وضعتها في منزلك؟

- حسب عدد الأفراد فقط ☐ - تضم مخزن للإنتاج الفلاحي والحيواني ☐

أخرى تذكر:.....

53. هل استفادت العائلة من مشاريع البناء الريفي الذي تخصصه الدولة؟ نعم ☐ لا ☐

الملحق 02

تطور السياسات الفلاحية والريفية على المستوى العالمي والوطني

السنوات	أوروبا والعالم	الجزائر
1970/1960	:1962 دخول السياسة الفلاحية للمجموعة الأوروبية حيز التنفيذ.	:1962 التسيير الذاتي الثورة الزراعية
1990/1980	إدخال الإنتاج بالحصص (الحليب مثلا) وظهور مفهوم تعددية وظائف الفلاحة والتنمية الريفية في إطار السياسات الفلاحية والإقليمية	- إعادة هيكلة المستثمرات الفلاحية - تحرير الأسواق الفلاحية - خصوصية تسيير المستثمرات الفلاحية - استرجاع الأراضي المؤممة
1994	المنظمة العالمية للتجارة: انفتاح الفلاحة للأسواق الدولية	- برنامج التعديل الهيكلي - الشروع في تطبيق توصيلة الاستشارة الوطنية حول الفلاحة - القرض التعاضدي الفلاحي - نظم الضبط المهنية المشتركة - تكييف نظم الإنتاج الفلاحي
1999/1996	قمة الغذاء العالمية: مكافحة الجوع وتوفير الأمن الغذائي للأسر. إعلان كورك (الإتحاد الأوروبي) التفصيل اليفي، المنظور المتكامل متعدد الاختصاصات ومتعدد القطاعات، تنويع الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في الوسط اليفي	- الندوة الوطنية حول الفلاحة - استصلاح الأراضي - برنامج التشجير الوطني - برنامج التشغيل اليفي

2001/1999	- برلين: إصلاح جديد للسياسة الفلاحية المشتركة بالإتحاد الأوروبي ظهور تنظيمات التنمية الريفية	- تحضير وانطلاق المخطط الوطني للتنمية الريفية -إجراءات جديدة لدعم الأنشطة الفلاحية ومحاولة تنسيق البرامج الفرعية (الغابات،الري الفلاحي...)
2002	قمة جوهانسبورغ العالمية: التنمية المستدامة قمة الغذاء العالمية بعد 5 سنوات (مكافحة الجوع في العالم)	- توسيع المخطط الوطني للتنمية الفلاحية ليشمل البعد الريفي: المخطط الوطني للتنمية الريفية - توقيع اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي
2003	- المنظمة العالمية للتجارة: دورة الدوحة، إجراءات خاصة لصالح التنمية الريفية في البلدان النامية، سياسة مشتركة جديدة للإتحاد الأوروبي (تدخل حيز التنفيذ 2006-2013) - الأساس الأول: الإنتاج الفلاحي وتنظيم الأسواق - الأساس الثاني: التنمية الريفية والبيئة	- تحضير الإستراتيجية الوطنية للتنمية الريفية المستدامة
2005	فلاحة المؤسسة (الإتحاد الأوروبي) الهدف الرئيسي للسياسات الفلاحية الإعلان عن نهاية المساعدات الفلاحية للصادرات (المنظمة العالمية للتجارة-هونغ كونغ) وانطلاق سياسات تنمية ريفية مستدامة متميزة .	- تكييف أجهزة العم مع الأنشطة الفلاحية - محاولة إحداث تلاحم بين الأنشطة الفلاحية وغير الفلاحية
2006		- صياغة سياسية التجديد الريفي وتدعيم تطبيق الإستراتيجية الوطنية للتنمية الوطنية للتنمية الريفية المستدامة

الملحق 03

الجزائر وأهداف الألفية للتنمية الأسرية

- الهدف الأول: ضمان التعليم الابتدائي للجميع

المعدل الصافي لالتحاق الأطفال بالتعليم الابتدائي خلال الفترة 1999-2004: 97 % يسمح لنا هذا الاتجاه بافتراض أن هدف التحاق الأطفال بالمدارس بنسبة 100 % ممكن التحقيق. معدل تعلم السكان من فئة 15-24 سنة: 90 % سنة 2002 يمكن أن يبلغ هذا المعدل 100% في الأجل المحدد.

- الهدف الثاني: ترقية المساواة بين الجنسين

- المساواة في التعليم بالنسبة للإناث والذكور

- تطور كمي لعدد الإناث في التعليم العالي (2000-2005)

- معدل التأنيث (2000-2005) انتقل على مستوى التدرج من 52.6 % إلى 55.5 % وفي ما بعد التدرج من 39.0 % إلى 43.6 % وبالنسبة للحاصلين على دبلوم من 57.1 % أي 61.0 % وعلى مستوى سلك التدريس من 27.0 إلى 34.1 %

- تزايد حجم الإناث الناشطات بوتيرة سنوية تتجاوز 5 % بين 1997 و 2004، بينما تزايد تشغيل الذكور بـ: 2.5 % وقد كان هذا التزايد المتسارع بحكم أن السكان الإناث المشتغلات تزايدن بمعدل سنوي يقدر بـ: 6.3 % مقابل 4.2 % لتشغيل الذكور.

الهدف الثالث: تقليص وفيات الأطفال الأقل من 5 سنوات

-من 1985 إلى 2004 انتقل معدل وفيات الأطفال من 50.5 في الألف إلى 30.5 في الألف

- سنة 2002 نسبة الأطفال المطعمين ضد الحصبة تتمثل 90.6 % مقابل 85.7 % سنة 1992 بينما مازال المجتمع الريفي يسجل بعض التأخر قياسا بالمجتمع الحضري (88.9 % مقابل 92.1 %)

- في عام 2015 سيبلغ معدل التطعيم ما يقارب 98 %

- انتقل معدل الوفيات من 75.5 لكل 100.000 ولادة حية سنة 1995 إلى 37 لكل 100.000 ولادة حية سنة 2004.

الملحق 04

بعض تعاريف مصطلح الإقليم: العلاقات بين الإقليم التنمية الريفية والتنمية المحلية

مكونات الإقليم، الإقليم المؤسسي، الإقليم ذو محور تنموي معين، الإقليم الجدير بالذكر

1- الإقليم الجغرافي: هو جزء من فضاء محدد بعناصر جغرافية طبيعية مثال الجبال
الوديان، الصحراء

2- الإقليم المؤسسي: هو نتيجة تقسيم إداري يتمثل داخل الوطن: ولاية، بلدية....

3- الإقليم ذو محور تنموي معين: هو إقليم محدد لتطوير نشاط معين يسمح بتنفيذ
مشاريع بمقتضى وجود موارد ملائمة (فلاحة، مناظر طبيعية، مناجم، ...)

إذا كان المشرع الجوّاري للتنمية الريفية المندمج "م.ج.ت.ر.م" هدفه اندماج التدخلات
حول نشاط محوري في إقليم محدد فسيُعتبر كعامل مبلور لإقليم ذي محور تنموي معين
فيُمكن تعريف هذا الإقليم بمناطق خاصة ذات محور تنموي معين وتتوسع في المفعول
على المناطق:

✓ منطقة سياحية

✓ منطقة اقتصادية

الإقليم الجدير بالإدراك:

هو فضاء يشعر سكانه بالانتماء إليه بمقتضى القرب الثقافي، العادات والتقاليد، والتاريخ
المشترك ، فالإستراتيجية الوطنية للتنمية الريفية المستدامة تأخذ بعين الاعتبار في تطبيقها هذه
الخصوصيات رغم أن الإقليم الجدير بالإدراك لا يقتصر على الفضاءات الريفية بل يدمج
الفضاءات الحضرية.

الإقليم المناسب:

هو ذلك الإقليم الذي يدمج المكونات الأربعة للإقليم المذكور أعلاه

- العمل الجوّاري الذي يساعد على وضع مشاريع تنموية

- يسمح بتعاضدية الوسائل قصد الوصول إلى الحد الأدنى للتنمية

- يسمح بعقلنة وترشيد الموارد

- هو الحلقة الأفضل لتجسيد التنمية المحلية

على أساس التعاريف السابقة الذكر والتشخيص الشامل للوسط الريفي، فإن التنمية الريفية تتطابق مع التنمية المحلية في الـ 979 بلدية المصنفة ريفية لكون نسبة عمرائها دون 50% وأن معدل الكثافة السكانية للكيلومتر المربع دون معدل المنطقة التي تنتمي إليها وإقليم هذه البلديات يعتبر كإقليم مناسب.

أما على مستوى 562 بلدية مصنفة حضرية فإن التنمية الريفية يمكن اعتبارها كتتمية خصوصية حول موارد طبيعية وبشرية تثمن وفي هذه الحالة يمكن اعتبار هذا الإقليم ذات محور تنموي معين أو جدير بالإدراك.